فتـــح الأغـــــلاق
عن جواهر نظم الأخلاق

تأليـــف:
أحمد بن حبيب بن أحمد بن محمذفال بن متالي

حقوق الطبع محفوظة للناشر
الطبعة الأولى:1433 الموافق:2012
مطبعة أمل
هاتف: 32 37 17 36 – 48 21 25 45 – 65 03 05 22

شكر .. وتقدير:

يسرنا ونحن نقدم هذه الباكورة الجنية من ثمار المكتبة المتالية أن نتقدم بأحر الشكر وأخلصه وأعظم التقدير لأخينا الفاضل: محمد (ادنيدن) بن عبد الرحمن على ما قدم من تمويل سخي من أجل إنجاز هذا العمل، ولا غرابة فيما فعل فهو الكريم ابن الكريم الذي ما فتئ يقدم للمعالي كل غال ورخيص.

فشكرا له، وجزاه الله خيرا وأثابه أحسن الثواب على ما قدم ويقدم في سبيل نشر الخير والعلم ومساعدة أهله.

ثم إن الشكر موصول لأخينا الفاضل: محمد بن المصطفى بن اسماعيل على الجهد الخاص الذي أولاه لهذا العمل، وتسخيره له وقته حتى خرج بحمد الله على الصورة المرضية، فشكرا له.

ثم شكرا لكل من ساهم من قريب أو بعيد بقليل أو كثير في سبيل إنجاز هذا العمل، فجزى الله الجميع خيرا.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المصطفى بن حبيب بن احمد بن متالي.

تعريف بالناظم

هو: لمرابط محمذفال بن المختار (متالي) ابن محمذ بن أحمد بن أعمر بن أبج بن ييج الفودي التندغي، وأمه جليت بنت محمذ بن حبيب بن احمد بن يحيى بن أبج، في أبج يجتمعان.

ولد سنة 1205 للهجرة على بعد ثلاثين كلمترا إلى الشمال الغربي من مدينة روصو عاصمة ولاية اترارزه حاليا في مكان يسمى "بوك"بكاف معقودة .

مات عنه أبوه صغيرا ولم يعد سنته الثانية فتربى في كنف أمه وخاله مع أخيه الصغير "انجبنان" الذي ولد بعد وفاة أبيهما .

وقد تفرس فيه أخواله النبوغ والتزموا بوصاة أبيه في شأنه من معاملته معاملة خاصة فتربى في رعايتهم معززا مكرما ، ولم يختلف اثنان على أنه لما بلغ المبلغ الذي يحفظ من بلغه من أمثاله فيه القرآن كان حافظا للقرآن مجودا له بالقراءة السائدة في محيطه وأنه مع ذلك لم يخط حرفا في لوح ولم يأخذ عن شيخ.

ويجمع الرواة والنقلة على أنه بلغ ما بلغ من العلم والاستقامة في حدود عامه الثاني عشر وأن علمه كان فتحا وهبة من الله تعالى لا منة لأحد فيه عليه، وقد وثق ذلك وأكده تلميذه ابن أخيه العلامة حيمده بن انجبنان بن متالي في نظمه:"الجنان العالية في السيرة المتالية" ويجمع الرواة والنقلة على أنه جلس للتدريس والفتوى والإرشاد منذ عامه الذي فتح عليه فيه ولم يتجاوز الثانية عشر من عمره وأنه انثالت عليه طلبة العلم من مختلف البلاد وتلقاه الناس في المنطقة بالقبول فكانت أفواج طلاب العلم تفد إليه من كل وجهة كما كان قبلة المستفتين والمفتين على حد سواء فقل أن تحدث نازلة في المنطقة أو يتوقف عند معضلة إلا وكانت فتواه فيها وإجابته عليها الحكم الفيصل والكلمة الأخيرة كما كان العلماء في عصره يبعثون إليه بمؤلفاتهم وفتاواهم بغية تقريظها وتسليمها وكان في الجانب التصوفي قطب العصر وإمام أهل الحقيقة في زمنه رحل إليه الناس لتربية قلوبهم وتغذية أرواحهم، وكان رحمه الله شاذليا يلقن مريديه طريقة أبي الحسن الشاذلي بسلسلة محمد بن ناصر الدرعي.

فلما بزغت شمسه وأذعن لعلمه القاصي والداني تألفت حوله حلق طلاب العلم في شتى الفنون وصار كعبة العلم في البلاد وعلمها الأوحد فبوأه ذلك مكانة اجتماعية متميزة في المنطقة عند الأمراء والعلماء وخاصة الناس وعامتهم وكانت الصلة بينه وبين علماء البلاد قائمة على أساس الاعتراف

التام بمكانته العلمية والاجتماعية وكانت هذه الصلة يطبعها الود والاحترام وكانت وفودهم ورسائلهم تصل إليه تباعا في مختلف قضايا الساعة.
وقد صحبه وتخرج على يده خلق كثير نذكر منهم على سبيل المثال أبناؤه أحمد و محمد وعبد الرحمن وحبيب وابن أخيه حيمده بن انجبنان وأبناء عمومته، أحمد بن الحسن وغلام بن همر والمامون بن محمد وأمغر وابنه أحمد والحابيب بن محمد بن منيرة ولكبيد بن جبه وغيرهم. وآده محمد مولود وأبوه احمد فال، وأبو محمد بن مولود بن احمد الجواد، وأوفى الطبيب الشمشوي المشهور وعبد الودود الألفغي النحوي المشهور وأحمد بابا بن حامتو والطاهر بن مينوك، وخلائق كثير.
وقد خلف شيخنا مكتبة حافلة بشتى الكتب والمؤلفات في مختلف فروع العلم وقد ظلت هذه المكتبة محفوظة من بعده طيلة أزيد من عقدين لكن عاديات الزمن عدت عليها بعد ذلك، وعندما دخل الاستعمار البلاد اضطرت مجموعة الشيخ إلى الهجرة نحو الشمال (آدرار فالمغرب) فتخففوا من بعض هذه المكتبة وتركوه في أماكن غير آمنة فعدت عليه يد الضياع وحملوا البعض منها في هجرتهم فلما أدركهم الاستعمار أحرق ما وجد من الكتب في وقعة "لبيرات" بمنطقة آدرار، ولم يبق من تلك المكتبة إلا القليل النادر بأيدي أفراد لم يستطيعوا الحفاظ عليه والذي أكاد أجزم به أن أكثر مؤلفات الشيخ قد أحرقت في تلك الوقعة.
ومن أهم كتب الشيخ ومؤلفاته التي وصلتنا:
1- كتاب فتح الحق في فقه النفس؛
2- كتاب صلاح الآخرة والأولى في صلاح الآخرة والأولى، وهو تفسير للقرآن الكريم لا تتوفر منه إلا نسخة واحدة بخط الشيخ وقد ضاع بعضها؛
3- قرة عين النسوان، وهو كتاب جليل في العقيدة وفقه الصلاة والصوم؛
4- كتاب اختصار كشف القناع عن شهية السماع، في الأدب والتصوف؛
5- كتاب نظم الشهداء، جمع فيه الشيخ من استشهد في المعارك زمن النبي ﷺ مع أنسابهم وبعض الاستطرادات المفيدة؛
6- كتاب تسديد النظر، في علم المنطق وآداب المناظرة؛
7- كتاب الحميل بسعادة المحيى والممات، في الأذكار والأدعية وأوراد الطريقة الشاذلية؛
وللشيخ كتب أخرى كثيرة منها ما عثرنا عليه ومنها ما سمعنا عنه ولم نصل إليه، مثل كتاب الشافية وكتاب هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، واختصار كتاب البهنسي في علم الأسرار والحكمة، وله أيضا فتاوى وأنظام كثيرة في

مختلف فنون المعرفة، ويوجد مجموعان لأجوبة طرح أسئلتها عليه تلامذة له منهم:أوفى الطبيب الشمشوي المشهور، وعبد الودود الألفغي، وأحمد بن المختار المالكي.

كما أن للشيخ نظما يسمى النصيحة في التوجيه والإرشاد، شرحه ابن أخيه حيمده بن انجبنان بشرح سماه الروضة الغناء على النصيحة الحسناء، وله مجموعة من المقطعات النظمية المختلفة عقد بها كثيرا من مسائل العقيدة والأصول والتفسير والفقه واللغة ومسائل في الطب وغير ذلك.

كما أن له شعرا جيدا أكثره في النصح والتصوف والرثاء.

ومن أهم ما ترك لنا من آثار هذا النظم:"نظم الأخلاق" في شمائل المصطفى ﷺ ومعجزاته وخصائصه ومولده ومبعثه وهجرته، ولعل الشيخ كان يريد أن يجعله نظما شاملا لسيرتهص فاخترمته المنية قبل إتمامه أو لعل جزء المغازي منه قد ضاع فيما ضاع من كتب الشيخ.

توفي الشيخ رحمه الله بعد صلاة ظهر أحد أيام الإثنين من شهر ربيع الثاني سنة سبع وثمانين ومائتين وألف للهجرة،وقد أرخ له تلميذه ومريده العلامة المختار بن ألما اليدالي على طريقة الفشتالية بقوله:

وأشرف باب الحلم والعلم والتقى على الموت من موت الإمام المبجل
سلالة متالي الذي عاش طائعا بعيد صلاة الظهر وسط التنفل

ويقول حيمده بن انجبنان في نظمه "الجنان العالية":

وقد توفي رحمة الرحمن عليه في شهر ربيع الثاني
لنحو سبع مع ثمانين معا ألف بعيد مائتين لمعا
ولثمانين وكاثنتين عاش وكان الموت بالإثنين

وقد دفن رحمه الله تعالى بمقبرة انوعمرت على بعد حوالي ثلاثة وستين كلومترا جنوبي انواكشوط العاصمة.

المصطفى ولد حبيب ولد احمد ولد متالي

تعريف بالشارح:

هو العلامة الأستاذ أحمد بن حبيب بن احمد بن محمذفال بن متالي، ولد حاولي سنة 1943 بمنطقة اترارزه قرأ القرآن حفظا وتجويدا على ثلاثة قراء من بني يحيى، أولهم الشيخ محمذفال بن محمد بن محمد، ثم الشيخ أحمد بن محمذ بن أحمد بن عبيد ، ثم الشيخ محمد عبد الرحمن بن آبا بن جبه، ثم انتقل إلى تحصيل العلم فكان أول من تتلمذ عليه في ذلك هو العلامة محمد عبد الرحمن (النح) بن احمد بن أمغر اليحيوي، ثم رحل إلى العلامة المختار بن ابلول الحاجي، ثم إلى مدرسة لفريوه على العلامة محمد عالي بن نعمه، ثم سافر إلى مدرسة آل آلما اليداليين ودرس على الشيخ لمرابط محمد سالم بن آلما ر دحا من الزمن، ثم لما توفي درس على ابنيه الجليلين التاه ومحمذفال، ثم عاد وجلس للتدريس في حيه برهة من الزمن، ولكن وفاة والده رحمه الله وتتابع سنوات الجفاف على البلاد رتبت عليه مسؤوليات كبرى ألجأته إلى النزول إلى الحضر، فنزل بالعاصمة انواكشوط، وفيها التقى ببعض من علماءها فذاكرهم وذاكروه وأخذ عنهم واستفاد منهم، نذكر منهم على سبيل المثال: العلامة بداه بن البوصيري، والعلامة انه بن زين بن الصفي وغيرهما.

انكب منذ بداية حياته العلمية على النظر والتحصيل والتأليف، فعقد قسم "معاني الحروف" من كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام ووضع على ذلك النظم طرة مفيدة، كما نظم أحكام الصوم وشرحها، وله طرر وتعليقات مفيدة على بعض المعلقات وجزء كبير من شعر عنترة العبسي.

وله نظمان أحدهما عقد به نسب الأنصار والثاني عقد به كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي.

وللأستاذ حفظه الله شعر جيد كثير منه في مدحه عليه الصلاة والسلام وبعض منه في أغراض أخرى كالإخوانيات والرثاء والغزل.

والأستاذ حفظه الله هو الآن شيخ محظرة آل متال والقائم عليها.

يعتبر شرحاه لنظمي: "الشهداء"و"الأخلاق" من أهم آثاره العلمية؛

أما شرحه لنظم "الشهداء" فهو الآن قيد الطبع، وأما شرحه لنظم "الأخلاق" فهو الذي نقدمه بين يديك الآن.

وقد أراد الأستاذ لهذا الشرح أن يكون ملائما لطلبة العلم في هذا العصر فابتعد فيه عن التطويل والإفاضة وذكر الخلاف وما إلى ذلك، مكتفيا بتوضيح معاني النظم وتجليتها وردها إ لى أصولها مثبتا من ذلك ما أثبته الشيخ رحمه الله ـ فمن المعلوم أن الشيخ أثبت أشياء كثيرة مختلفا في ثبوتها

ولكنها مذكورة مشهورة قد استفاض ذكرها في الكتب وكان علماء هذا الشأن قد تساهلوا فيما يتعلق بالفضائل والمناقب فذكروا منها أشياء لم يصح بها الإسناد لكنها اندرجت تحت شامل التعظيم والتوقير والتعزير للجناب النبوي .-

فالأستاذ حفظه الله ذهب مذهب الشيخ في ذلك، كما أن هنالك أشياء ذكرها الشيخ في النظم لم يقع هو عليها فيما طالعه من الكتب فأبقاها كما هي فلعل الشيخ وقف عليها فيما وقف عليه والله تعالى أعلم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا النظم قد شرحه شيخ جليل من تلامذة الشيخ لمرابط رحمه الله هو العلامة محمد فال بن آبن ولا يزال شرحه مخطوطا ، كما علق العلامة: زين بن اجمد على بعض أبيات قسمي المعجزات والخصائص منه بنظم ميزه عن الأصل باللون الأحمر على الطريقة الشنقيطية.

غير أننا نجد أن هذا النظم كان بحاجة كبيرة إلى هذا الشرح الذي وضعه عليه الأستاذ حفظه الله .

ولم يشأ الأستاذ أن يضع لهذا الشرح اسما أو عنوانا، فلما سألناه عن ذلك أجابنا بأنه اقتدى في ذلك بالشيخ الوالد رحمه الله فإنه قل أن يضع لكتبه أسماء أو عناوين، فارتأينا نحن أن نعنون لهذا الشرح بهذا الاسم الكاشف عن حقيقته "فتح الأغلاق عن جواهر نظم الأخلاق".

والله المستعان.

المصطفى ولد حبيب ولد احمد ولد متالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على النبي الكريم

الحمد لله الذي اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، وجعل سيدنا ونبينا ورسولنا هو الأساس صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما سطر اسمه بقلم.

(أما بعد) فإنه لما كان نظم والدنا وقدوتنا العالم العلامة محمذ فال بن متالي المسمى ب"الأخلاق" نظما جمَّ النوال، قليل المثال، جمع ما لم يجمع في غيره نظما مع جودة النظم والاختصار، فإنه احتوى على كثير مما في المطولات الكبار، مما يتعلق به ﷺ، إلا أنه لم يتح له فيما مضى أن يتوج بشرح يناسب حاله، يخرج أحاديثه ويفصل أقواله، ويبين غامضه ويحل إشكاله، راودتني نفسي في أكثر من مرة للتصدي لذلك ثم أُحجم لقلة تأهلي وتأهبي وعدم تجولي في أصله وتقلبي، إلا أني استخرت الله تعالى مرة في التصدي لذلك، بعد أن أشار علي به من يظن بي ما لم أكن متصفا به، ولا منزلا قدري بقربه، فمال قلبي إلى تطبيق إشارته، واعتمدت فضل الكريم باستخارته مستعينا بحوله وقوته، معتمدا في نقلي على كتاب "الشفا في التعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض، وكتاب "الشمائل" للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، وشرحه "الفوائد الجليلة البهية" للعلامة سيدي محمد بن قاسم المعرف ب"جسوس" و"لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري"، و"الخصائص الكبرى" للحافظ جلال الدين السيوطي، وكتاب "شمائل الرسول" للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، وربما نقلت من "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني وغير ذلك، وأسأل الله الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام أن يعينني على ما قصدت ، ويجعله لي ذخرا عنده، إنه سميع مجيب.

مقدمة النظم

قال الشيخ محمذ فال بن متالي بن محمذ بن أحمد بن أعمر بن أبجَ الشنقيطي التندغي الفودي:

حمـــدا لمـــن قـــدس نيـــرات وخـــص رهصـــها بمعجـــزات
لـم يحـظ مرسـل بهـــا ولا ملـك حتـى أضـاء صبحـه كـل حلـــك

"حمدا" مصدر نائب عن فعله، والحمد الثناء بالجميل على الجليل سواء كان في مقابلة نعمة أم لا، و"من" اسم موصول واقع عليه تعالى ، و"قدَّس" طهَّر، والتقديس التطهير، ومنه {إنك بالواد المقدس طوى}، و"نيِّرات" مفعول به لِقَدّسَ، وهو وصف محذوف تقديره جماعات أو أرواحا أو أجسادا، والمراد الأنبياء.

"الرِّهْصُ" بالكسر: الأصل، والمراد به محمد ﷺ، لأنه أصل كل شيء، بل هوّ علة في وجود الدنيا، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم والبيهقي أن آدم رأى على قوائم العرش مكتوبا (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فسال الله تعالى بحق محمد ﷺ أن يغفر له، فقال له الرب تعالى: (سألتني بحقه ولولاه ما خلقتك)، فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده ﷺ، وآدم هو أبو البشر ، وللبشر خلق الله ما في الأرض، وسخر لهم الشمس والقمر، والليل والنهار، قال تعالى: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا}، وقال: {وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر}الآية.

قال الشيخ أبو عثمان الفرغاني: لم يكن داع حقيقي من الابتداء إلى الانتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية التي هي أصل جميع الأنبياء، وهم: كالأجزاء، والتفاصيل، لحقيقته، فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كلّ لبعض أجزائه ، وكانت دعوة الكل لجميع أجزائه، والإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: {وما أرسلناك إلا كافة للناس}، والأنبياء والرسل وجميع أممهم، وجميع المتقدمين والمتأخرين داخلون في كافة الناس، وكان هو داعيا بالأصالة، وجميع الأنبياء والرسل يدعون الخلق إلى الحق عن تبعيته ﷺ، فكانوا خلفاءه ، ونوابه في الدعوة. -انظر بنيس- "والمعجزات" جمع معجزة وهي علامة النبي متحديا بها، سميت بذلك لأن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، فإن لم يتحد بها، أي لم يقل : إن أتيت بكذا صدقتني، ولم يقل من يتحداه لا أصدقك حتى تفعل كذا ، فهي علامة، أي تسمى كذلك، فالعلامة أعمُّ من المعجزة، والمعجزة أخصُّ، لأنها يشترط فيها التحدي، ويشترط فيها أيضا أن تكون مما يعجز عنه البشر عادة، قاله في فتح الباري. وقد وقع النوعان لنبينا ص في عدة مواطن. قوله: "لم يحظ مرسل ..الخ"، يعني أن

علامات نبوته ص التي من ضمنها معجزاته وكراماته لم يحظ مرسل بها ، أي لم تجعل من حظوته أي نصيبه، فلم يعط مثلها أحد، وماله من الفضائل والتقريب والاصطفاء لم يعط لملك، والمراد والله تعالى أعلم بهذا هو القرآن العظيم، لأنه هو أظهر آياته وأوضح معجزاته وأكثرها: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ص قال: "ما من الأنبياء نبي إلا وأعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة". قوله: "حتى أضاء صبحه...الخ" يعني أن معجزاته ص لم تزل تتوالى مستمرة إلى الآن حتى أضاء صبحه ، أي نوره كل حلك ، والحلك الظلمة، وذلك لأن المعجزة العظمى وهي القرآن لا تزال مستمرة باقية تهدي إلى الحق حتى يأتي وعد الله، وفي قوله : "أضاء" و"صبحه" استعارة تخييلية ، إذ المراد بالإضاءة الإزاحة ، وبالصبح دينه ص، وكذلك الحلك ، إذ المراد به الكفر، وجامع ما بين الجميع ظاهر ، والضمير في قوله: "صبحه" يعود على "الرهص" والمراد به محمد ص، ويمكن عوده على "من" الواقعة عليه تعالى - والله تعالى أعلم-.

والعمـــي والصـــمّ أرى وأسـمعا وأبصـر الأجهـر والأعشـى معـا

قال في "الشفاء": قال الله تعالى لمحمد ص: (إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفاً فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب). "والأجهر" هو الذي يبصر بالليل، ولا يرى في النهار، "والأعشى" بعكسه، وقيل بالعكس، والمراد بهما في البيت : من في قلبه بعض هداية قبل البعث ممن أسلم بعد كسلمان الفارسي ، وأنظاره، "وأرى" "وأسمع" "وأبصر" أفعال معطوفة على "أضاء" في البيت السابق، "والعمي" "والصم" مفعولان لأرى وأسمع على اللف والنشر المرتب – والله تعالى أعلم-.

وألهـــم الإفصـــاح عجمـــاوات بـــالحق آيـــات مفصـــلات

الظاهر والله تعالى أعلم أن قوله "ألهمْ" عطف على قوله في البيت الأول "قدس" والإلهام التلقين، أي حمدا لمن قدّس نيرات، ولقن العجماء الإفصاح بالحق حال كون ذلك الإفصاح آيات ، أي علامات على نبوته ص وصدقه، ومعنى مفصلات مبينات، وسيأتي إنطاق البهائم له ص في باب المعجزات:

وعـــمم الضـــلال والســـدادا وخـص مـن شـــاء بمـــا أرادا
ببعثـــه سفينـــة مـــن ســـاج إنعامـــه بهـــا نجـــاة النـــاجي

قوله "عمم الضلال" أي جعله عاما، أي يجوز أن يعم جميع الناس، والسداد أي الهداية كذلك، أي يمكن هو أيضا أن يعم الجميع وخص الله تبارك وتعالى بمشيئته وإرادته من شاء من خلقه بما يشاء له منهما ، والباء في قوله "ببعثه سفينة" تتعلق بقوله "وخص" أي بعثته ص كانت سببا لخصوصية أقوام بالضلالة، وهو الخسران المبين – أعاذنا الله منه- ولآخرين بالهداية وهي الفوز والفلاح، وعبر عنها في البيت بالنجاة، يعني أنه ص بعثه الله حال كونه سفينة من شجر إنعامه الأملس، وذلك لأن الساج شجر أملس تتخذ منه السفن، وتلك السفينة بها نجاة الناجي، وبها هلاك الهالك، أي من آمن به ص فاز وأفلح، ومن لم يؤمن به خسر وضلّ – نعوذ بالله من ذلك-:

مـن كـان رحمـة مـن الرحمـــن عمـــت ذوي المفـــاز والخســـــران

"من" موصول اسمي، صلتها الجملة بعدها وهي بدل من سفينة في البيت السابق، وهذا معنى لطيف نبه عليه الناظم رضي الله عنه، فإنه لما ذكر في البيت السابق ما معناه أنه ص كان سببا في نجاة الناجي وهلاك الهالك أعقب ذلك بفضيلة ظاهرة ، وخصلة باهرة، وهي أنه مع ذلك بعث رحمة عامة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم ، قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، قال السمرقندي: رحمة للعالمين، الجن والإنس، وقيل: لجميع الخلق، رحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب، رحمة للمؤمن بالهداية، قال ابن عباس: هو رحمة للمؤمنين والكافرين، إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة، وحكي أن النبي ص قال لجبريل عليه السلام: هل أصابك شيء من هذه الرحمة ؟ قال: نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت بثناء الله عز وجل علي بقوله: {ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين}، وقال أبو بكر محمد بن طاهر زين الله تعالى محمدا بزينة الرحمة ، فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من هذه الرحمة فهو الناجي من كل مكروه ، والواصل إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله تعالى يقول: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}، فكانت حياته رحمة ، ومماته رحمة، وقال ص: "حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم" والمراد بقوله "ذوي المفاز" في البيت المومنون ، فالمفاز مصدر فاز بمعنى أفلح، قال تعالى: {قد أفلح المؤمنون}، والمراد بذوي الخسران هم الكافرون – والله تعالى أعلم-.

فصل في النسب الشريف:

صـــلى وســـلم المفـــيض ســـيبه على ابـــن عبـــد الله نجـــل شيبـــه
عمـرو المغيـرة سـليل لقصـــــي ابـن كـلاب مـرة كعـب لـــــؤي
غالـــب فهـــر مالـــك بـــن النضـــر كنانـــــة خزيمـــــة بـــن البـــر
مدركـــة اليـاس وهـو ابـن مضـــر نـزار مـع معـــد عـدنان الأبـــــر

"المفيض" اسم فاعل أفاض، أي أكثر، والسيب العطاء، ثم سرد الناظم رضي الله عنه في الأبيات الأربعة النسب الزكي المتفق عليه وهو من عبد الله إلى عدنان، وذلك لأن المقام يستدعي ذكر ذلك، وهو محمد بن عبد الله من زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، تجتمع فيه مع عبد الله، وهو ابن شيبة الحمد الملقب عبد المطلب من زوجته فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة ، تلتقي فيه مع شيبة ، وهو عمرو العلا الملقب هاشم، من زوجته سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام النجارية، وهاشم هو ابن المغيرة الملقب عبد مناف من زوجته عاتكة بنت مرة بن هلال السلمية، ابن قصي من زوجته حبى بنت حليل الخزاعية، ابن كلاب من زوجته فاطمة بنت سعد بن سبل من أزد اليمن، ابن مرة من زوجته هند بنت سرير بن الحارث، ومرة هو ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا انتهى النسب الشريف متفقا عليه بين الرواة والنسابين على هذه الصورة وما فوق عدنان مختلف فيه، والإجماع على أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، والأحاديث الشاهدة بذلك كثيرة ، قاله المهدوي الفاسي في شرح دلائل الخيرات:

فصل في أوصافه الخَلقية والخُلقية:

مـن نفـي وصـف عنـه كفـر مطلقـا ولـو بـلا ذم لـدى مـن حققـــا

"من" مبتدأ، و"نفي" مبتدأ آخر خبره كفر، والاثنان خبر "من" يعني أن من نفى عن النبي ص وصفا من أوصافه المعينة له متفقا عليه كمن قال: لا خاتم بين كتفيه، أو ليس بربعة يحكم بكفره، ولو بلا إرادة ذم، هذا معنى البيت، قال سيدي المهدوي الفاسي رحمه الله تعالى في شرح دلائل الخيرات عند قول المتن في الربع الأخير الزمزمي المكي التهامي وهذه الأوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده في حقه ص، إذ هي من جملة مشخصاته

المعينة له، فمن قال ليس بعربي ، أو ليس بقرشي فكافر، كما إذا قال: ليس الذي كان بمكة، أو لم يكن بالمدينة، ولا توفي بها، لأن هذا كله جحد له ص، وكذا لو قال: لم يخلق من نطفة، وإنما هو كعيسى وآدم عليهما السلام ، أو قال أنه لم يكن آدمي بشرا، فكل ذلك نص العلماء على كفر قائله ومدعيه اهـ. وعلى هذا فكل وصف ثابت له متفق عليه يجب اعتقاده له، ولا يبعد أن يجري على نافيه ما يجري على ما ذكر.

تنبيهات: الأول: اعلم أن تسمية النظم بالأخلاق إنما هو من باب تسمية الشيء باسم بعضه وذلك لأن الأخلاق جمع خلق بضمتين أو بضم فسكون وهو الطبع والسجية، أي صورة الإنسان الباطنة، وأوصافها ومعانيها المختصة بها، والنظم مشتمل على ذلك ، وعلى أوصافهص الخلقية نسبة إلى الخلق بفتح وسكون، وهو الصورة الظاهرة، وأوصافها ومعانيها، وكذلك على علامات نبوته ومعجزاته ومولده وهجرته ووفاته إلى غير ذلك مما له تعلق به، كما يعلمه من قرأ النظم. الثاني: ذكر جسوس في شرح الشمائل مقدمة ينبغي الإلمام بها، أو ببعضها هنا قال: ينبغي أن نقدم قبل الشروع في المقصود مقدمة لم نسبق إليها فيما نعلم ليقوى باعث الرغبة فيما ذكر من شمائله ص، فنقول مقصود المصنف ذكر ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من شمائله ص وحسنه الظاهر والباطن، ومعرفة ذلك مما يتأكد بل يتعين على كل مؤمن لوجوه ، الوجه الأول: أن معرفة صفاته السنية ونبوته البهية وسيلة إلى امتلاء القلب بتعظيمه، وتعظيمه وسيلة إلى تعظيم شريعته لأن حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به، وتعظيم الشريعة وسيلة إلى العمل بها، والوقوف عند حدودها، والارتباط بأمرها ونهيها، وإيثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها، وذلك هو معنى الانقطاع إلى الله الذي لأجله خلق الإنسان {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وهو وسيلة إلى السعادة الأبدية والسيادة السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذي هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال الطالبين (اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا). الوجه الثاني: أن معرفتها تتضمن معرفة حسنه وإحسانه ص، وذلك وسيلة إلى محبته لأن أسباب المحبة وإن تكاثرت فمدارها على أمرين الحسن والإحسان فإن النفوس مجبولة على حب الحسن كما أنها مجبولة على حب المحسن إليها، ولا حسن يماثل حسنه ص، كما لا إحسان يماثل إحسانه ص إلينا، إذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت ، وبطلعته ظهرت ، ومحبته ص هي روح الإيمان الذي هو أصل كل سعادة وسيادة، وهي أيضا موجبة لمعيته

لحديث المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت، وقال ص ما اختلط حبي بقلب أحد إلا حرم الله جسده على النار. الوجه الثالث: أن السعي في معرفتها خدمة لجنابه صلى الله عليه وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره، وتقرب وتودد واستعطاف واستنزال لغزير بره وامتنانه فإن الكرام إذا مدحوا أجزلوا المواهب ، وقد أعطى ص العباس بن مرداس لما مدحه مائة من الإبل وخلع على كعب بن زهير حلته لما مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

إن الرسول لسيف يستضاء بـــه مهند من سيوف الله مسلـــول

وفي ذلك أيضا تعرض لنفحات الرحمة الإلهية لأنه إذا كانت رحمته تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وسندهم وممدهم ص، وبالجملة فأدنى انتساب إليه ص يحصل غاية النفع والشرف إذ لم يخلق الله خلقا أكرم عليه من محمد ص فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله ص من العز والشرف، قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: ما في الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثل محمد ص، فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المومنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد ، وكما أن غلام الوالي لا يتعرض له إذا سكر مثلا إكراما للوالي فكذلك خدام النبي ص لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكراما له ص، فقد تفعل الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الأعمال مع عدم الاستناد لرسول الله ص الاستناد الخاص، ولشيخنا العلامة محمد بن عبد الرحمن بن زكري في هذا المعنى من قصيدته الهمزية:

وإذا ما الجناب كان عظيمـــا مد منه لخادميـــه لـــــواء
وإذا عظمت سيادة متبـــــو ع أجـــل أتباعـــه الكبـــراء

الوجه الرابع: أن معرفة صفاته معينة على شهود ذاكره لذاته، وفي رؤيته ص يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كثيرة فخيمة ، فقد ورد أن لله عبادا من نظر في وجه أحدهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وورد هم القوم لا يشقى جليسهم، وما نال هؤلاء ذلك إلا بنوره المشرق عليهم ومدده الساري فيهم ص. الوجه الخامس: أن في ذكرها وسماعها تلذذا بحبيب القلوب، وقرة العيون وتنعما بسماع أوصافه ص وهو ضرب من الوصال به ص ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من إمتاع حاسة السمع واللسان بأوصاف الحبيب الذي هو وسيلة إلى حضوره بالقلب، فإذا فات النظر إليه بالبصر لم يفت التمتع به بالسمع والنظر إليه بالبصيرة ، قال بعضهم:

يا واردا من أهيل الحي يخبرني عن جيرتي شنف الأسماع بالخبـر

ناشدتك الله يا راوي حديثهم حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

ولأبي مدين الغوث رحمه الله:

ونحيا بذكراكم إذا لم نراكم ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا
ولولا معانيكم تراها قلوبنا إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن غبنا
لمتنا أسى من بعدكم وصبابة ولكن في المعنى معانيكم معنا
يحركنا ذكر الأحاديث عنكم ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا.

ولابن الجزري في مدح الشمائل مشيرا للمعنى:

أخلائي إن شط الحبيب وربعه وعز تلاقيه وناءت منازله
وفاتكم أن تنظروه بعينكم فما فاتكم بالسمع هذي شمائله

الثالث: اعلم أن الناظم رضي الله عنه ذكر أوصافه ص الخلقية والخُلقية مبعثرة في النظم جملة تباعا للصحابة الذين وصفوه ص فإن أحدهم كان يقول كان ص ويأتي بما يتذكره من أوصافه فلا يفردوا عضوا منه ولا قامة ولا شعرا ولا خلقا عن خلق في بعض الأحاديث، وأما غيره ممن ألف في شمائله ص فكان يفرد كل شيء منه بما جاء فيه من الأحاديث فيقول باب ما جاء في كلامه ص، وما جاء في شعره مثلا، ويقولون في كتاب الخلق ما جاء في تواضعه، ما جاء في زهده مثلا، أما الناظم رضي الله عنه فقد بوب أولا للخلق بالفتح وتكلم عليه ثم أتبعه بباب الخلق، وبدأ الناظم رضي الله عنه بالخلق بالفتح أي أوصافه ص الظاهرة فقال:

وكان فخما بادنا مفخما ليس مطهما ولا مكلثما
مدور الوجه خميص أزهر ضخم الكراديس بهي أسمر

أخرج الترمذي عن الحسن بن على قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا عن حلية رسول الله ص وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال كان رسول الله ص فخما مفخما و"الفخم" بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة العظيم في نفسه و"المفخم" المعظم في القلوب والعيون و"البادن" اسم فاعل بدن بمعنى ضخم والضخامة تكون بعظم الأعضاء وقد تحصل بالسمن وسياتي قوله متماسك البدن وذلك لأن عظم أعضائه ص لم يخرجها عن حد الاعتدال، قوله: "ليس مطهما... الخ" "المطهم" القليل لحم الوجه والنحيف الجسم الدقيقه و"المكلثم" المجتمع لحم الوجه الكثيره وقد ورد هذا من حديث علي قال ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وهذا ما أشار له الناظم بقوله: "مدور الوجه" وهو معنى قوله "ليس مطهما ولامكلثما" وهو قول علي وكان في وجهه تدوير أي تدويرما، فلم يكن مستديرا كل الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك ويعبر عنه بأنه كان فيه سهولة

والسهولة ضد الحزونة والحاصل أنه كان بين الاستدارة والأسالة قاله البيضاوي وأبوعبيد، قوله: "خميص" أي ضامر البطن يقال خمص بطنه مثلثة أي ضمر ومعناه هنا أنه ص مستوي البطن والصدر وكذلك يفسر به ماروي عن أبي هريرة من قوله مفاض البطن فقد ورد في حديث علي سواء البطن والصدر قال شارحه والمعني أن صدره وبطنه متساويان، بطنه لضموره لا يزيد على صدره، وصدره لكونه عريضا مساو لبطنه وفي حديث أم معبد لم تعبه ثجلة قال أبوعبيد هو كبرالبطن، قوله: "أزهر" صفة لونه وهو الأبيض المستنير "والكراديس" جمع كردوس بضمتين كل عظمين التقيا في مفصل نحو المنكبين والركبتين والوركين والمراد أنه جسيم الأعضاء قاله جسوس، "والبهي" الحسن تعميم بعد تفصيل إشارة إلى تعذر تفصيل أحوال حسنه ص "والأسمر" هو الذي تخالط بياضه حمرة وهذه اللفظة أنفرد بها حميد عن أنس وروي عنه غيره أزهر اللون قاله العراقي:

ربعــة قــد طائـــل ممـــاشيه ولـــومن الطـــول بأقصـــى القاصـــيه

أشار الناظم رضي الله عنه في البيت إلى صفة قوامه وقد اتفق من وصفه على أنه ص ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وفي الصحيحين عن البراء بن عازب كان رسول الله ص أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير، وأخرج البيهقي في الدلائل عن علي قال كان رسول الله ص ليس بالطويل ولا بالقصير وهو إلى الطول أقرب وفي خبر هند أطول من المربوع وأقصر من المشذب، قال جسوس في الشرح ولا منافاة بين هذه الروايات لأنها في نفي القصر ونفي الطول البائن، قوله: "طائل مماشيه.. الخ"، يعني أن محل كونه ربعة هو إذا مشى وحده، وأما إذا ماشى غيره طالهم جميعا، ولو كانوا في غاية الطول، وكذلك إذا جالسه تكون كتفه أعلى منهم جميعا، وهذا العلو الحسي إشارة إلى العلو المعنوي ، فلما كان لا يساويه أحد في رتب الكمال، بل هو فيها فوق الجميع كان فوق الجميع حسا.

ســبط العظــام أنــور المجـــرد أجـرد أجمـل الـورى مـن بعـــد

"السبوطة": الحسن في طول كما في المصباح ، وفي القاموس ورجل سبط سبط العصب، قال شارحه والسبط بسكون الباء وكسرها الممتد الذي ليس فيه نتوء ولا تعقد، والعصب يريد بها ساعديه وساقيه، وقال بعضهم سبط القصب بالقاف بدل العين، وهو كل عظم فيه مخ، والمعنى فيما ذكروا متقارب، والمراد أنه ص غير متقبض الأعضاء بل سبطة ممتدة في حسن أي امتدادا غير فاحش وهو ما أشار إليه هند بن أبي هالة في حديثه بقوله: طويل الزندين وقوله: سائل الأطراف، قوله: "أنور المجرد" أي مشرق

العضو الذي هو موضع التجريد من الثوب وفي خبر هند أنور المتجرد بفتح الراء أي مكان التجرد أو بالكسر بمعنى العاري عن اللباس قاله جسوس، قوله: "أجرد" أي غير أشعر، والأشعر من عم الشعر جميع بدنه فالأجرد من لم يعمه الشعر فيصدق بمن في بعض بدنه شعر كالمسربة والساعدين وقد كان له ص في ذلك وفي أعلى الصدر شعر كما يأتي، قوله: "أجمل الورى من بعد" يشير به إلى ما قالته أم معبد في حديثها عنه ص فقد قالت بعد أن ذهبت في بعض تفاصيل حسنه ص أبهى الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب والله تعالى أعلم.

يهابه رائيه فجأة ومن خالطه أحب خلقه الحسن

يعني أن من رآه ص بديهة أي أول رؤية هابه أي خافه وأجله وعظمه لجلالته وفخامته والمهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله تعالى وجلاله، ومحبته فإن القلب إذا امتلأ بذلك حله النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة واكتسى ثوب المحبة فأخذ بمجامع القلوب هيبة ومحبة وخنعت له الأفئدة وقرت به العيون وأنست به القلوب إن سكت علاه الوقار وإن نطق أخذ بالقلوب والأسماع وفي البردة:

كأنه وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم

قال العلماء ولم يظهر للخلق كمال مهابته وجلالته رحمة من الله تعالى بخلقه ولو ظهر لهم ذلك لتلاشوا واضمحلوا ولم يقدروا على التلقي منه، يروى أنه ص جاءه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له ص هون عليك فإني لست بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته، قوله: "ومن خالطه.. الخ" يعني أن من خالطه ص مخالطة معرفة أحبه لما يتحققه من كمال جماله وجلاله، وجمعه المحاسن الظاهرة والباطنة والذي ذكره الناظم هنا ورد في حديث علي كرم الله وجهه بقريب من لفظه، ففيه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه.

ألين راحة من الحرير وريحه أطيب من عبير

في صحيح البخاري عن أنس رضي الله قال ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ص ولا شممت ريحا أوعرقا قط أطيب من ريح أوعرق النبي ص، ووقع عند البيهقي ولا شممت مسكا ولا عنبرا ولا عبيرا أطيب من عرق النبي ص والراحة في البيت الكف والعبير اخلاط تجمع بالزعفران أو هو الزعفران نفسه والله تعالى أعلم.

في السمع والصوت يفوق من عداه وكان أبرد من الثلج يداه

أشار الناظم رضي الله عنه بقوله:"في السمع.. الخ"، إلى قوة حواسه ص، فقد كان ص يسمع ما لا يسمعه غيره ويرى كذلك ما لا يراه، فقد ورد أنه كان يرى في الثريا اثني عشر نجما وكان صلى الله عليه يعلو صوته صوت غيره، كان عالي الصوت أخرج البيهقي وأبو نعيم عن البراء قال خطبنا رسول الله ص حتى أسمع العواتق في خدورهن وأخرج أبو نعيم عن بريدة قال صلى النبي ص يوما ثم انفتل فنادى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور، وسيأتي قول الناظم وكان عالي الصوت، قوله: "وكان أبرد.. الخ"، أخرج البيهقي من حديث أحمد بن حازم عن أبي عروة قال حدثنا أسباط بن نصر عن سماك عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله ص صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا، قال وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار ورواه مسلم عن عمر بن حماد به نحوه وأخرج الإمام أحمد عن جابر بن يزيد عن أبيه قال صلى بنا رسول الله ص الفجر بمنى فانحرف فرأى رجلين من وراء الناس فدعا بهما فجاءا ترعد فرائصهما فقال ما منعكما أن تصليا مع الناس قالا يا رسول الله إنا كنا قد صلينا في الرحال، قال فلا تفعلا إذا صلى أحدكم في الرحال ثم أدرك الصلاة فليصلها معه فإنها له نافلة، قال فقال أحدهما استغفر لي فاستغفر له، قال ونهض الناس إلى رسول الله ص ونهضت معهم وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلدهم قال فما زلت أزحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله ص فأخذت بيده فوضعتها إما على وجهي أو صدري قال فما وجدت شيئا أطيب ولا أبرد من يد رسول الله ص، قال وهو يومئذ في مسجد الخيف وفي رواية عنه أي يزيد بن الأسود فوجدتها أبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك.

أشنب جل ضحكه التبسم يرتل الكلام إذ يكلم

الشنب رونق الأسنان ودقتها وصفاء مائها قاله جسوس، وقال القاضي عياض وهو رونق الأسنان وماؤها وقيل دقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب واللفظة وردت في حديث هند ابن أبي هالة وكذلك قوله:"جل ضحكه التبسم" وأخرج الترمذي عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما كان ضحك رسول الله ص إلا تبسما وأخرج مثله عن جابر بن سمرة ويفهم مما في حديث هند وما في النظم أنه ص ربما ضحك وهو كذلك فقد جاء في حديث عبد الله بن مسعود في آخر أهل النار خروجا أن النبي ص ضحك حتى بدت نواجذه رواه البخاري والتبسم هو أول الضحك والضحك هو انبساط الوجه حتى تبدو الأسنان من السرور، قوله:"يرتل الكلام.. الخ"،

يعني أنه ص ليس يسرد الحديث سردا بل يرتله ويبينه، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنه ص كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه وورد عنها أيضا أن رسول الله ص لم يكن يسرد الحديث كسردكم كذا في البخاري، وأخرج الترمذي عنها ما كان رسول الله ص يسرد الحديث سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه، وعن أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه.

وكان ما لم ينزل الوحي النبي طيب نفس أو يعظ أو يخطب

ورد هذا في حديث أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ص أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسها ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب، ويعلم من هذا أنه في هذه الأوقات الثلاثة لا يكون كذلك، أما وقت نزول الوحي فإنه كان أشد الأوقات عليه فإنه كان يفصم عنه وإن جبينه يتفصد عرقا وأما في الوقتين الأخرين فإنه يكون حادا قلقا وذلك والله تعالى أعلم لما يتجدد له من مشاهدة عالم الملكوت وخوفه على أمته.

ولم يمر في طريق وتبع إلا درى منها السلوك المتبع

أخرج البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي ص يمر في طريق فيبتعه احد إلا عرف أنه سلكه من طيبه عليه الصلاة والسلام وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب، وقد كان ص يصافح المصافح فيظل يجد ريحها وكان يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بطيب الرائحة وفي صحيح مسلم أنه ص نام عند أم سليم فعرق فسلتت عرقه في قارورتها فاستيقظ فقال ما هذا تصنعين يا أم سليم فقالت نسلت عرقك لنجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وروى الطبراني أن رجلا استعان النبي ص في تجهيز ابنته فلم يجد ما يعينه به فقال له آتني بقارورة وعود من شجرة فسلت له ص من عرقه في القارورة وقال له مرها فلتتطيب به فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين.

كامل أذن سهل خد أدعج أسنانه براقة مفلج

أخرج الواقدي عن أبي هريرة قال كان رسول الله ص شثن القدمين والكفين ضخم الساقين عظيم الساعدين ضخم العضدين والمنكبين بعيد ما بينهما رحب الصدر رجل الرأس أهدب العينين حسن الفم حسن اللحية تام الأذنين وروى محمد بن سعد عن الواقدي أن عليا رضي الله عنه بعثه النبي ص إلى اليمن فطلب منه حبر من يهود أن يصف له النبي ص فوصفه علي بما

استحضره ثم سكت فقال له الحبر وماذا؟ قال علي هذا ما يحضرني قال الحبر حسن اللحية حسن الفم تام الأذنين قال علي هو هو هو رسول الله ثم أسلم الحبر، قوله:"سهل خد" السهولة ضد الحزونة وهي في الأصل ما غلظ من الأرض، والمراد بها هنا أنه ص في وجهه لحم لم يصل به إلى حد الانتفاخ وذلك هو المعبر عنه بالاستدارة وإلا فقد مر أنه ص ليس مطهما، والمطهم القليل لحم الوجه ولا مكلثما وهو الكثير لحم الوجه المجتمعه، وروي عن علي كان أبيض اللون مشربا حمرة أدعج العينين سبط الشعر دقيق المسربة سهل الخد ، قوله:"أدعج" أي أدعج العينين قال الجوهري الدعج شدة سواد العينين مع سعتهما أخرج ابن كثير عن إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال كان علي إذا نعت رسول الله ص قال كان في الوجه تدوير أبيض أدعج العينين أهدب الأشفار، قوله: "أسنانه براقة" أي شديدة البريق والبريق اللمعان وقد ورد عن عبد الله بن مسعود في وصفه ص أقنى الأنف براق الثنايا، قوله:"مفلجٌ" أي مفلج الأسنان أي منفرجها وهو خلاف متراص الأسنان وقد ورد هذا في حديث هند وفي حديث ابن عباس أفلج الثنيتين والمراد العليين دون السفليين لأن المدح خاص بالعليين قاله جسوس في شرح الشمائل.

عظيم هامة دقيق سربته معكن البطن وكانت عكنته
أحسن من سبائك النقدين أوطف عاري الصدر والثديين

الهامة الرأس وعظم الرأس يدل على كمال القوى الدماغية وبكمالها تكمل الإنسانية وورد عن علي ضخم الرأس وفي حديث هند عظيم الهامة، والمسربة والسربة شعر يمتد من نقرة الصدر إلى السرة ومعنى دقته أنه غير منتشر فقد وصفه بعضهم بأنه كالخيط أو كالخط وبعضهم بأنه كالقضيب واتفقوا على دقة مسربته ص، قوله:"معكن البطن" أي فيه تثن والعكنة بالضم ما انطوى وتثنى من البطن، والسبائك جمع سبيكة القطعة المذوبة، والأوطف طويل شعر أشفار العين مع انعطافها، قالت أم معبد وفي أشفاره وطف، قوله: "عاري الصدر والثديين" أي من الشعر والذي في خبر هند عاري الثديين والبطن، ولعل ما في النظم تصحيف والصواب: (عاري البطن والثديين) فإن الناظم كان يحرص كثيرا على الإتيان بألفاظ الحديث للتبرك بها.

على ذارعيه كثير الشعر ومنكبيه وأعالي الصدر

في خبر هند أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر كما في النظم ولا منافات بين هذا وما مضى من قوله عاري الصدر لأن المراد به ثم ما سوى أعاليه والذي هنا أعاليه والله تعالى أعلم.

رجِـــل شـــعر متماســـك البـــدن ذو حاجـــب أزج مـــن غيـــر قـــرن
بينَهمـــا عـــرق يـــدره الغضـــــب أقنـــى علـــى صـــفحته مـــاء الذهـــب

قوله: "رجِل شعر" أي في شعره ص تثني وتكسر يسير وهذا إشارة إلى صفة شعره الخلقية، فقد كان شعره ص بين الجعودة والسبوطة والجعد من الشعر هو القطط كشعر السودان والسبط هو شديد الاسترسال كشعر الروم والرجل هو ما بين ذلك وقد وصفه أكثرهم بأنه ص رجل الشعر، قوله:"متماسك البدن" أي غير مسترخي اللحم بل هو ص ضرب اللحم وفي خبر هند بادن متماسك، قوله:" ذو حاجب ..الخ"، يعني ذو حاجبين أزجين والحاجب الأزج هو المقوس كالنون الطويل الدقيق المستوفي بحيث لا تعدوا منه شعرة الأخرى في النبات والاستواء، والقرن اتصال الحاجبين فيما بينهما والمراد أنه ص لم يكن أقرن بل هو أبلج وهذا هو الذي في خبر هند وفي خبر أم معبد أنه ص أقرن وجمع بينهما بأنه يحسبه من لم يتأمله أقرن لوفور شعر حاجبيه ومن تأمل مع قرب وجد بينهما فاصلا دقيقا ، قال الأنطاكي والعرب تستملح البلج والعجم القرن قال في جمع الوسائل فكأنه ص جمع بين لطافة العرب وظرافة العجم، قوله: "بينهما عرق.. الخ"، يعني أن بين حاجبيه عرق يدره أي يظهره الغضب وفي ذلك دليل قوته الغضبية وتلك هي التي عليها مدار حماية الديار وقمع الأشرار وكمال الوقار إلا أنه ص لا يخرج عن مقتضى العدل في الرضا والغضب ولا يغضب إلا لله وليس غضبه كغضب غيره فهو ص لا يغضب للدنيا وما كان لها فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له وما ذكره الناظم رضي الله عنه هو في حديث هند بلفظه، قوله:" أقنى" يعني أقنى العرنين كما في حديث هند والقنى طول الأنف ودقة أرنبته وحدب في وسطه أي فهو ص ليس بأشم ولا أفطس بحسب نظر المتأمل وأما غير المتأمل فيحسبه أشم كما في حديث هند والشمم ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها، قوله: "على صفحته.. الخ"، الضمير يعود عليه ص أي على صفحة وجهه أي عرضه ماء الذهب وهذا كقول هند في حديثه أقنى العرنين له نور يعلوه، ويمكن أن يكون الضمير فيهما أي حديث هند والنظم عائدا على الأنف وكل ذلك صالح في المعنى والله تعالى أعلم.

وكـان عـالي الصـوت فيـه صـحل أنجـل واسـع الجبـين أشكـــــل

تقدم معنى قوله: "وكان عالي الصوت" في شرح قوله سابقا: "في السمع والصوت ..الخ"، قوله: "فيه صحل" أي بحة يسيرة وهي أحلى في الصوت من أن يكون حادا قال أبو عبيد وبالصحل يوصف الظباء وقالت أم معبد في صوته صحل، قوله: "انجل" أي واسع العينين يقال نجلت العين نجلا كفرح إذا كانت واسعة الشق، قوله:" واسع الجبين" الجبين في الأصل يقال لما فوق الصدغ عن يمين الجبهة وشمالها فلكل إنسان جبينان والجبهة ما بينهما وقد يطلق الجبين على الجبهة وهو المراد هنا ومعنى واسعه واضحه ليوافق ما في رواية صلت الجبين قاله جسوس، و"الأشكل" هو من في بياض عينيه حمرة قاله أبو عبيد ووقع في صحيح مسلم تفسير الشكلة بطول أشفار العين قال ابن كثير وقول أبي عبيد أصح وأشهر، والحمرة في بياض العين تدل على القوة والشجاعة.

والوجـه مـرآة عـريض الصـــدر تلألـؤ الوجـــه طلـــــوع البـــــدر

قال أنس رضي الله عنه لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ص المدينة أضاء منها كل شيء ومن ثم كانت الجدرات تلاحك وجههص أي يرى شخصها فيه لاستنارته وصقالته، والملاحكة شدة الملاءمة والوجه مبتدأ ومرآة خبره يعني صقيل مستنير، قوله: "عريض الصدر" هو ما في حديث هند سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، والجمل الثلاث كل واحدة منها تستلزم الأخرى، وعرض الصدر علامة النجابة والقوة والجلالة قاله جسوس، قوله: "تلألؤ الوجه ..الخ"، يشير به إلى قول هند رضي الله عنه يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وهي ليلة أربعة عشر لأن القمر فيها في نهاية إشراقه وإضاءته وفي هذا إشارة إلى أنه ص كانت تشرق من طلعته الشريفة الأنوار وتتلألأ منه الأضواء في الليل والنهار ويرحم الله القائل:

لم لا يضيء بك الوجود وليله فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق وببـدر وجهـك كل ليل مقمر

وقد حذف الناظم رضي الله عنه أداة التشبيه من كل من الجملتين مبالغة ثم إن تشبيهه ص بنحو الشمس والقمر إنما يصح على ضرب من التجوز لأن الأولى عكس الأمر أي تشبيه الشمس والقمر به ص إذ الأضعف هو الذي يشبه بالأقوى فما يقع من تشبيهه ص بالشمس والقمر والسراج إنما هو للتمثيل بأحسن ما يعرف في الوجود وإلا فهذه الأضواء من نوره خلقت وبه

استنارت فهي الفروع ونوره الأصل وهي المتأخرة ونوره الأول وهي التي تطرأ عليها الطوارئ ونوره المصون المحفوظ منها بل هو الذي لا يزال يتزايد ويستفيض فليس المراد حقيقة التشبيه وطريقته الأغلبية انظر جسوس على الشمائل.

يفتـــر عـــن كلؤلـــــؤ أو بـــرد ليـــس بطـــاو بشـــره عـــن أحـــد

الافترار الضحك و"يفتر" يضحك و"اللؤلؤ" الدر و"البرد" بالتحريك حب الغمام وفي حديث هند يفتر عن مثل حب الغمام، قال في شرح الشمائل حب الغمام هو البرد وهو على هيئة اللؤلؤ شبه أسنانه ص به في بياضه وصفاءه وقيل إن حب الغمام هو اللؤلؤ لأنه يحصل من ماء المطر النازل من الغمام إلى السحاب قال أي جسوس، وهذا أشبه بباب التشبيه لما في الأول من البرودة ولما في الثاني من زيادة تشبيه الفم بالصدف والريق بماء الرحمة في بحر النعمة قاله في جمع الوسائل ، قوله:"ليس بطاو..الخ"، جاء في حديث هند ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه والبشر طلاقة الوجه وبشاشة البشرة يعني أن احتراسه من الناس وتحفظه منهم أي من كثرة مخالطتهم المؤدية إلى سقوط هيبته وجلالته من قلوبهم غير مفرط فيه حتى يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه فيعبس فيه بل كان ذلك كله وسطا معتدلا.

وكـــان جيـــده كجيـــد دميـــــه اصـفى مـن الفضـة كـث اللحيـــه

الجيد العنق والدمية في الأصل الصورة من العاج والمراد هنا الصورة المبالغ في تحسينها فقد شبه عنقه بجيد الدمية في الاستواء والطول والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال وقوله: "كجيد دمية" خبر كان و"أصفى من الفضة" خبر ثان يعني أن عنقه ص أشرف بياضا وأجمل من لون الفضة، قوله:" كث اللحية" أي كثير شعر اللحية فهو ص عظيم اللحية قال جسوس في شرح هذا الوصف وهو في حديث هند ومعلوم أن عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا وأن الطول الزائد غير ممدوح شرعا وقد رأى بريد الفارسي النبي ص في المنام فوصفه لابن عباس وقال في وصفه قد ملأت لحيته ما بين هذه إلى هذه يعني الأذنين قد ملأت نحره أي عنقه فقال ابن عباس لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق ذلك اهـ.

ومسهـــا إن هـــم أمـــر أكثـــره ينكـت فـي الأرض بنحـو المخصـره

همه الأمر هما ومهمة حزنه وشغل باله، قوله:" ينكت في الأرض..الخ" المخصرة بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الصاد المهملة هي عصا أو قضيب يمسكه الرئيس ليتوكأ عليه ويدفع به عنه ويشير به لما يريد، سميت

بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالبا قاله في فتح الباري. أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه قال كنا جلوسا مع النبي ص ومعه عود ينكت به الأرض فنكس وقال ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة فقال رجل من القوم ألا نتكل يا رسول الله قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقرأ {فأما من أعطى واتقى} الآية. وقال المهلب نكته الأرض بالمخصرة أصل في تحريك الأصبع في التشهد نقله ابن بطال قال ابن حجر وهو بعيد وإنما هي عادة لمن يتفكر في شيء يستحضر معانيه فيحتمل أن يكون ذلك تفكرا منه ص في أمر الآخرة بقرينة حضور الجنازة ويحتمل أن يكون فيما أبداه بعد ذلك لأصحابه من الحكم المذكورة وفي رواية للحديث المذكور كنا مع النبي ص في جنازة بدون ذكر البقيع والكل في الصحيح.

وليس في اللحية والرأس الشريف عشرون بيضا موت ذي القدر المنيف
لأن ذا تكرهه الغواني وكره شيئ منه كفر الشاني

"موت" منصوب على الظرفية أي عند وقت موت ذي القدر المنيف وهو النبي ص و"ذا" في البيت الثاني إشارة إلى الشيب والمعنى لم يكن في رأس النبي ص ولحيته ما يبلغ العشرين من الشيب وذلك لأن النساء تكره الشيب طبعا وإذا كرهن شيبه ص كان ذلك كفرا وما علل به الناظم رضي الله عنه قلة الشيب فيه ص هو ما علل به ابن حجر الهيثمي، وعلله جسوس بعدم حصول الملاءمة الكاملة مع الشيب لما فيه من إزالة بهجة الشباب ورونقه وإلحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم عيبا لأنه يدل على الضعف ومفارقة قوة الشباب والنشاط ثم قال وأما قول ابن حجر ومن كره من النبي ص شيئا كفر فلا يصح على إطلاقه قال في جمع الوسائل، لأن الكراهة الطبعية خارجة عن الأمور التكليفية قال أنس رضي الله عنه فتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعنه أيضا ما كان في رأس رسول الله ص ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة بيضاء ، وصح عن ابن عباس ولم يشنه الله بالشيب.

رحيب كف شثنها كالقدمين شبح الذراعين خميص الاخمصين

"الكف" اليد و "رحيبها" أي واسعها حسا ومعنى جاء في حديث هند رحب الراحة، والراحة الكف قال شارحه أي واسع الكف حسا ومعنى ولحسان ابن ثابت رضي الله عنه:

له راحة لو أن معشار جودها على البر صار البر أندى من البحر
له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

قوله:" شثنها" الضمير للكف المراد بها الكفان فقد ورد في حديث هند شثن الكفين والقدمين والمعنى ممتلئ الكفين والقدمين لحما وقد مر قول الناظم رضي الله عنه:"ألين راحة..الخ"، فكفاه ص وقدماه ممتلآن لحما مع اللين والسبوطة وقد روي من غير وجه أنه ص شثن الكفين والقدمين، قوله رضي الله عنه "شبح الذراعين" أي طويل الذراعين والذراع هو ما بين الكوع والمرفق أخرج يعقوب بن سفيان عن صالح مولى التوامة قال كان أبو هريرة ينعت رسول الله ص قال كان شبح الذراعين ضخم الكفين والقدمين ، قوله: "خميص الاخمصين" أي ضامر بطن القدمين بمعنى أن وسط قدمه مرتفع عن الأرض لكن لا جدا فقد روي عن أبي هريرة أن رسول الله ص كان يطأ بقدمه كلها ليس لها أخمص وما ذكره الناظم رضي الله عنه هو ما في حديث هند وجمع بينهما بأن المنفي شدة الخمص والمثبت يسيره والله تعالى أعلم.

وعند نغض الكتف العلامه حياته كبيضة الحمامه
عليه شعر حوله خيلان وكان حيث يدخل الشيطان

"نغض الكتف" بضم النون وسكون الغين - ويقال فيه ناغض - العظم الرقيق الذي على طرفها وهو الغضروف والعلامة المراد بها خاتم النبوءة وعبر عنه بها لأنه علامة خاصة به ص ولذلك كان كل من كان يريد التأكد من شأنه ص يدور حول ظهره ليرى الخاتم فإذا رءاه عرفه وتأكد من شأنه، و"حياته" ظرف يتعلق بالخبر المحذوف الذي يتعلق به الظرف الأول أي علامة النبوة موجودة عند نغض كتفه مدة حياته، وقوله:" كبيضة الحمامة" حال، قال جابر بن سمرة ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة وأخرج البيهقي عن سلمان الفارسي قال أتيت رسول الله ص فألقى رداءه وقال يا سلمان انظر إلى ما أمرت به قال فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمام وأخرج البخاري عن السائب بن يزيد قال ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله إن بابن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوءه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة ثم قال البخاري قال ابن عبيد الله الحجلة من حجل الفرس الذي بين عينيه ونقل ابن الجوزي أن الحجلة أنثى الحجل وهو طائر القبج والزر بيضه وعن عبد ابن سرجس قال كلمت نبي الله ص وأكلت معه ورأيت العلامة التي بين كتفيه وهي في طرف نغض كتفه اليسرى كأنه جمع بمعنى الكف المجتمع وقال بيده فقبضها، عليه خيلان كهيئة التآليل، قوله:" عليه شعر.. الخ" تقدم قريبا قول عبد الله بن سرجس عليه خيلان.. الخ، وقال

الترمذي في الشمائل حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عاصم ناعزة بن ثابت حدثني علباء بن أحمر قال حدثني أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال قال لي رسول الله ص يا أبا زيد ادن مني فامسح ظهري فمسحت ظهره فوقعت أصابعي على الخاتم قلت أي قال علباء وما الخاتم؟ فقال شعرات مجتمعات قال جسوس أي ذو شعرات أو ما فيه شعرات أو عليه شعرات وظاهره أنه لم ير الخاتم بعينه فأخبر عما وصلت إليه يده وهو الشعر الذي كان عليه قال جسوس وإنما قدرنا ما قدمنا ليحصل الجمع بين الأحاديث، قوله:"وكان حيث.. الخ" هو إشارة إلى الحكمة في كون الخاتم عند نغض الكتف اليسرى قال السهيلي كان عند نغض الكتف لأنه يقال هو الموضع الذي يدخل الشيطان منه إلى الإنسان فكان هذا عصمة له ص من الشيطان وقيل جعل بين كتفيه إشارة إلى أنه لا نبي بعده ياتي من وراءه وقال ابن كثير إن هذا أحسن ما قيل في ذلك والله تعالى أعلم.

في ساقه حموشة ويخطو كأنما من صبب ينحط

الحموشة في الساق دقة فيه روي عن جابر بن سمرة قال كان في ساقي رسول الله ص حموشة قال ابن كثير أي لم يكونا ضخمين، قوله:" ويخطو ..الخ" إشارة إلى صفة مشيه ص وقد روي عن غير واحد أنه ص يمشي كأنما ينحط من صبب، والصبب الحدور وهذا كناية عن سرعة مشيته ص ففي خبر هند ذريع المشية أي واسع الخطو إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكذلك عن علي كرم الله وجهه وروي عن أبي هريرة ما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله ص إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث، ويفهم من هذا أنه كان يبارك له ص في مشيه.

سبط البنان كان منهوس العقب وفي التفاته جميعا ينقلب
عبل الذراعين غليظ العضدين سائل الاطراف مسيح القدمين

السبوطة الطول في حسن كما تقدم والبنان الأصابع و"منهوس العقب" ضبطه الجمهور بالسين وقال صاحب مجمع البحرين وابن الأثير روي بالمهملة والمعجمة وهما متقاربان ومعناه قليل لحم العقب وورد هذا في حديث هند بن أبي هالة، قوله:"وفي التفاته.. الخ" في حديث هند إذا التفت التفت جميعا وفي حديث علي كرم الله وجهه إذا التفت التفت معا والمعنى واحد والمعنى أنه صلى الله عليه وسل يلتفت بجميع بدنه لا بلي العنق لما في ذلك من التلون وأمارة الخفة وعدم التصون قاله جسوس ، وفي ألفية العراقي:

يقبل كله إذا ما التفتا وليس يلوي عنقا تلفتا،

قوله عبل الذراعين الخ، الذراع هو العظم من الكوع إلى المرفق والعضد العظم فوق الذراع ومعنى عبل الذراعين أي غليظهما ، قوله:" سائل الأطراف" فسره جسوس في حديث هند بطويل الأصابع ممتدها ولا أدري لما لم يترك الأطراف على معناها الأصلي وهو أنها تقال للذراعين والساقين فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصفه ص قال كان شبح الذراعين ومعناه طويلهما وتقدم في النظم سبط العظام وعن بعضهم سبط القصب ومعنى السبوطة الطول في حسن كما تقدم فيكون المعنى طويل الذراعين والساقين وغيرهما من الأطرف كالبنان فلا معنى لخصوص البنان بذلك دون الساقين والذراعين لما رأيت والله تعالى أعلم، قوله مسيح القدمين أي ليس لهما أخمص وروي عن أبي هريرة كان يطأ بقدمه كلها ليس لها أخمص وتقدم قول الناظم خميص الاخمصين أي ضامر بطني القدمين وقد ورد هذا أيضا في حديث هند وجمع بينهما بأن المنفي شدة الخمص والمثبت يسيره كما ذكرنا سابقا والله تعالى أعلم.

سبابة الرجل تطول الباقي أحسن تصوير القديم الباقي

السبابة هي الإصبع التي تلي الإبهام يعني أنها أطول قليلا من باقي أصابع قدمه قال ابن كثير في الشمائل قال يزيد بن هارون حدثني عبد الله بن يزيد بن مقسم قال حدثتني عمتي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قالت رأيت رسول الله ص بمكة وهو على ناقة وأنا مع أبي وبيد رسول الله ص درة كدرة الكتاب فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله ص قالت فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون مطولا، و"أحسن" في البيت الظاهر أنها فعل ماضي فاعله "تصوير" والجملة فيها معنى التعجب أي ما أحسن تصوير القديم الباقي لنبينا محمد ص وهذا إجمال بعد تفصيل وتعميم بعد تخصيص إشارة إلى العجز عن الإحاطة بصفات جماله وباهر كماله فهو كقول البراء ابن عازب: ما رأيت شيئا قط أحسن منه، وكقول عائشة رضي الله عنها :

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

فصل في جملة من أخلاقه ص

الأخلاق جمع خلق بضمتين، وضم وتسكين، وهو السجية والطبيعة فهو عبارة عن أوصاف الصورة الباطنة والسجايا النفسية التي طبع الإنسان عليها، كما أن الخلق بالفتح عبارة عن أوصاف الصورة الظاهرة، وكما حاز

ظاهره ص الجمال كله على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل، هذا والمحاسن الظاهرة أعلام على الأخلاق الباطنة ، ولأجل ذلك لما اختص ص من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه مخلوق كان ذلك آية باهرة ، وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه بما لم يشاركه مخلوق فيه، قال البوصيري:

فاق النبيئين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كـرم

مـن دون أدنـى وصـف جـزء خلقـه يخـرس كـل ناطـق عـن نطقـه

كـــلا ولا يـــدرك بالأفهـــام فضـلا عـن أن يسطـر بـالأقلام

وفـي الهـدى المتلـو بـاري الخلـق أثنـى عليـه بعظـيم الخلـق

وجمـع الصـدق لـه والعـدل وكـان يـدعى بـالأمين قبـل

ضمن الناظم رضي الله عنه الأبيات الأربعة مقدمة هامة منطوقها ومفهومها الإقرار بالعجز عن النطق بأقرب وصف من أوصافه ص الخلقية للأفهام، بل بالعجز عن إدراكه بالأفهام فضلا عن أن يسطر بالأقلام، ثم استدل على ذلك وبرهن بأن الله تبارك وتعالى أثنى عليه بالخلق العظيم، فقد قال: {ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم}، وهذا شيء عظيم جدا فلم يترك لكاتب مجالا ولا لقائل مقالا، ثم نبه أيضا على أنه صلى الله عليه جمعت فيه أخلاق ثلاثة هي: الصدق، والعدل، والأمانة، حتى أنه كان يدعى بالأمين قبل أن يبعث، وهذا كأنه من توابع الاستدلال على ما قال إذ جمع هذه الثلاثة صعب المنال، قال الشيخ أبو الحسن الحراني رضي الله عنه لما كان عرفان قلبه عليه الصلاة والسلام بربه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام: بربي عرفت كل شيء، كانت أخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الله إلى الناس كلهم، فكل من كان الله ربه فمحمد ص رسوله وكما أن الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين اهـ. ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه ص، ويتضح معنى قوله لا يعرفني حقيقة غير ربي، قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعب الإيمان: من ذا الذي يصف خلقه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين، فقال عز من قائل: {وإنك لعلى خلق عظيم}، فلا أعظم مما عظم الله عز وجل و"أدنى" في النظم من الدنو أي القرب، و"كلاَّ" بمعنى حقا أو نعمْ، والغالب فيها أن تكون حرف ردع، و"فضلا" كلمة يؤتى بها دالة على أن ما بعدها أولى بالحكم مما قبلها والله تعالى أعلم.

والله لا يعطـــي مـــن الـــذكاء مـــن بـــدء ذي الـــدنيا للانقضـــاء
فـــي جنـــب عقـــل ذي المقـــام العـــالي إلا كحبـــــة مـــــن الرمـــــال

ورد ما قاله الناظم رضي الله عنه عن وهب بن منبه فقد قال: قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ص إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا، وفي رواية: فوجدت في جميعها أن النبي ص أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا، وقال في الشفاء: وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة قدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، قلت: والعقل هو أصل كل فضيلة، والأساس لكل خصلة جميلة، فعنه يتشعب جميع الفضائل وينبعث جليل الشمائل ففي ما ذكر إشارة إلى العجز عن النطق بشرح أخلاقه كما تقدم فضلا عن أن تسطر بقلم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

خـــافض طـــرف دائـــم الأحـــزان يطـــرق للفـــرح بالأجفـــان

"الطرف" اسم جامع للبصر، يعني أنه ص يخفض بصره دائما إذا لم ينظر إلى شيء، لأن ذلك شأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه، وفي خبر هند: "خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء" قوله: "دائم الأحزان" أي متواصل الأحزان لا ينفك حزنه عن حزن يعقبه وحزنه ص ليس على فوت مطلوب ولا حصول مكروه، وإنما هو للاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الأمور، ولاستغراقه في شهود جلال الله تعالى وكبريائه وعظمته وغلبة محبته على قلبه ، ولاهتمامه بأمر أمته وملاحظته عاقبة أمرهم وشدة شفقته عليهم قاله جسوس، وقال الترمذي: الحكيم هو لما فاته من كمال اللقاء والوصال والشهود في هذه الدار، لأنها لا تسع ذلك ، بل محله الدار الآخرة فكان في غاية الاشتياق إلى كمال التلاقي، قوله: "يطرق للفرح الخ" يعني أنه ص إذا فرح أطرق ببصره، أي خفضه ليكون أبعد من الأشر والمرح عند الفرح فإن الناس يحدقون النظر إذا فرحوا وينظرون بملء أعينهم وهو ص لا يستخفه ذلك ولا يحركه.

يـــومئ بالكـــف وإن تعجبـــا قلبهـــا يعـــرض مهمـــا غضبـــا

"يومئ" أي يشير، و"الكف" اليد ، يعني أنه ص إذا أشار إلى إنسان ليجلس أو يقوم مثلا أشار بكفه كلها ولا يقتصر على بعضها، لأنه من أفعال

المتكبرين وأخلاق المتجبرين، قوله: "وإن تعجبا قلبها" يعني أنه ص إذا تعجب في أمر قلب كفه بأن يجعل باطنها أعلى كما هو شأن كل متعجب ، وقيل قلبها من الهيئة التي كانت عليها حالة التعجب إلى ظاهرها أو باطنها، قوله "يعرض ..الخ" يعني أنه ص إذا غضب أعرض عما يقتضيه الغضب، وعدل إلى الحلم والكرم والعفو، وفي حديث هند: "إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها"، وفيه "وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه".

لـم ينتقـم لنفسـه لأنـه أدبـه رب أجـل شأنـه

"لم ينتقم لنفسه" أي لم ينتصر لها قالت عائشة رضي الله عنها: "وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وفي رواية عنها "ولا ينل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل"، وفي حديث هند: "لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها"، قوله "لأنه أدبه الخ" يعني أنما كان رسول الله ص لا ينتصر لنفسه ولا يغضب لها لأنه أدبه ربه فقد روى عنه صلى الله ليه وسلم أنه قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي، يشير إلى قوله تعالى: {خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}، وأمثالها من الآيات وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه ص فقالت: كان خلقه القرآن، أي متأدبا بآدابه ومتخلقا بمحاسنه ومؤتمرا بأوامره ومنزجرا بزواجره ثم ذكر الناظم رضي الله عنه بعض الأمثلة لعدم انتقامه لنفسه فقال:

كقصـة الشـجة والرباعيـه وجـاذب مـؤثر بحاشـيه
ردائـه ورافـع الصـوت لـدى أوسـع خلـق الله عفـوا أحمـدا
وذات سـم الشـاة وابـن الأعصـم وجـذب جيـد وهـو ذو تبسـم

"قصة الشجة" هي أن قريشا يوم أحد كسروا رباعيته وشجوا وجهه حتى أدمى فقال بعض أصحابه: "لو دعوت عليهم ، فقال ص: إني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي واهد قومي فإنهم لا يعلمون"، قوله: "وجاذب مؤثر.. الخ" هو ما روي الطبراني والحاكم والبيهقي عن رجل من أحبار يهود الذين أسلموا يقال إن اسمه زيد بن سعنة قال: لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد ص حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فكنت أتلطف لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا إلى أجل وأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت له ألا تقضيني يا محمد

حقي إنكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع فو الله لولا ما أحاذر قربه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ص ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فقد خبرتهما أشهدك أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، قوله: "ورافع الصوت لدى.. الخ" القصة والله تعالى أعلم هي ما روى القاضي عياض عن صفوان ابن عسال قال: بينا النبي ص في سفر إذ ناداه اعرابي بصوت جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له أغضض من صوتك فإنك نهيت عن رفع الصوت، قوله: "وذات سم الشاة" هي امرأة من يهود خيبر أهدت له شاة مصلية سمتها وكانت قد سألت عن ما يحبه ص من الشاة فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم فقدمت إليه ص فأخبر أنها مسمومة وقد حز منها حزة وكذلك فعل بشر بن البراء وكان معه فاستقدم المرأة وسألها عما حملها على ذلك فقالت إن كنت نبيا فإنها لا تضرك وإلا أرحت الناس منك فعفا عنها ص على الصحيح كما قال القاضي عياض، وكذلك روى ابن إسحاق وروى أبو داوود أنه قتلها وجمع بينهما بأنه عفا عنها أولا فلما مات بشر بن البراء من الأكلة التي أكل معه ص قتلها به ويقال أنه بعد الحول وقيل مات في الحال، والمرأة يقال إن اسمها زينب بنت الحارث بن سلام وقيل هي امرأة سلام بن مشكم، قوله: "وابن الأعصم" هو لبيد بن الأعصم وقد سحر النبي ص في مشط ومشاطة وجعل ذلك في بير ذروان فتغير مزاج النبي ص من ذلك فجاء جبريل فأخبره بذلك فبعث إلى السحر من نزعه من البير فبرئ رسول الله ص وعفا عن اليهودي، قوله: "وجذب جيد.. الخ" روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت مع النبي ص وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابي جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ص ثم قال: المال مال الله وأنا عبده ثم قال: ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم؟ قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي ص ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر وأمثلة حلمه ص أكثر من أن تحصى وما هذا إلا قليل من كثير، فلا حليم إلا وقد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو ص لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا ومع

إسراف الجاهل إلا حلما كيف لا وقد روي أنه ص لما نزلت عليه {خذ العفو وأمر بالعرف} الآية، سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك ، وقال له تعالى {واصبر على ما أصابك} الآية، وقال {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل}، وقال {ليعفو وليصفحوا} إلى غير ذلك من التعليمات القرآنية والتأديبات الإلهية.

يرتب الخلق بقدر رتبه يجلس حيث ينتهي المجلس به

الرتب جمع رتبة وهي المنزلة يعني أنه ص ينزل الناس منازلهم، فقد ورد في حديث علي: الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة، وورد أيضا يكرم كريم كل قوم، قال جسوس أي بما يناسبه من التعظيم والتكريم ويوليه عليهم أي يجعله واليا عليهم ترغيبا له في الإسلام ومراعاة للأهلية في الولايات وتنفيرا من تولية الأسافل، قوله: "يجلس حيث.. الخ" في حديث علي: وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك أي لا يقصد صدر المجلس ليجلس فيه لكرم أخلاقه ومزيد تواضعه، قال جسوس في الكلام على هذا الحديث: وكان هذا في أول الأمر ثم ابتنوا له دكانا بعد ذلك ليسمع البعيد ويعرفه الغريب أو مراده في غير المسجد.

لا يحسب الجليس أن أحدا أكرم منه ثم عند أحمدا

قال علي رضي الله عنه يعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ومعناه أنه ص يعطي كل جليس نصيبه من البشر والكرامة اللائقين به لكمال خلقه وحسن معاشرته ص، أخرج الترمذي عن عمرو بن العاص: فكان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت أني خير القوم، وسيأتي الحديث بتمامه عند قول الناظم على أشر القوم البيت، و"ثم" في البيت بفتح المثلثة ظرف بمعنى هناك أي في المجلس والله تعالى أعلم.

يبدأ من لقي بالسلام سكوته أربى من الكلام

أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه: وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة، وأخرج أبو داود بإسناد جيد عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ص: إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام، وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه قيل: يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ قال أولاهما بالله تعالى ، قوله: "سكوته أربى.. الخ" يعني أن سكوته ص أكثر من كلامه، وفي حديث هند: ولا يتكلم

في غير حاجة، طويل السكوت، وذلك لدوام فكرتهص فكان لا يتكلم من غير ضرورة دنيوية أو دينية فلا يتكلم بلا فائدة حسية أو معنوية ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعني.

لـــيس بمـــداح ولا عيـــاب ولا بفحـــاش ولا صخـــاب

قال الحسين بن علي سألت أبي عن سيرة النبي ص في جلسائه فقال: كان رسول الله ص دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، والمداح وزن مبالغة من المدح، والمراد هنا نفيها لا نفي أصل الفعل لأنهص قد يقع منه ذلك، وأما النفي في الوصف الآخر أي قوله: "ولا عياب" قيل أن المراد منه نفي أصل الفعل أي لا يعيب شيئا وفي الصحيحين: ما عاب طعاما قط إن اشتهى أكل وإلا ترك ، وقال ابن حجر إن المراد نفي المبالغة، وأما في الوصفين الأخيرين، فالمراد نفي أصل الفعل اتفاقا لأنه ص لا يفحش ولا يصخب، والفحش هو ما خرج عن مقداره من قول وفعل وهو في القول أكثر والصخب بالصاد المهملة ويقال بالسين الصياح.

يصـغي لمـن حـدث يقطـع الكـلام ممـــن تجـــاوز بنهـــي أو قيـــام

"يصغي" أي يميل سمعه لمن حدث أي يستمع له ، وفي الحديث: أكرم حديث أخيك بالإصغاء، قوله: "يقطع الكلام.. الخ" يعني أن المتكلم عند النبي ص يصغي إليه حتى يتجاوز الحق فيقطع حديثه إذن بأن ينهاه أو يقوم عنه، قال علي رضي الله عنه: ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهار أو قيام. رواه الترمذي والبيهقي في الدلائل.

وقـــال إن مـــن أشـــر النـــاس مـــن تركـــوه لاتقـــاء البـــاس

أخرج الترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ص فقال: بئس ابن العشيرة أو أخو القبيلة ، وفي رواية البخاري بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة من غير شك، ثم أذن له فلما خرج قلت يا رسول الله: قلت ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه ، وفي رواية البخاري متى عهدتني فحاشا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره قال جسوس شارحا للحديث فبين النبي ص أنه إنما ألان له القول تأليفا له واتقاء لفحشه، والرجل هو عيينة بن حصن الفزاري كما قال النووي وهو رئيس قومه، فلو لم يلن له ص القول لأفسد حال عشيرته وزين لهم العصيان ورسول الله ص كان يتألفهم بالبذل رحمة بالأمة واستكثارا لها فضلا عن

الملاطفة، قال القرطبي ففيه تعليم الأخيار كيف يتخلصون من شر الأشرار وإن مداراة من يتقى شره من أخلاق المؤمنين ولله در القائل:

ما دمت حيا فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المدارات

أربى من العذرا حياء وأشد ولا يواجه بمكروه أحد

قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحي عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال: كان النبي ص أشد حياء من العذراء في خدرها، والحياء بالمد لغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من فعل ما يعاب عليه أو تركه، وشرعا: خلق يبعث على اجتناب القبيح وارتكاب الحسن ومجانبة التقصير في حق كل ذي حق، ويقال إن به ملاك الأمر كله في حسن معاملة الحق ومعاشرة الخلق ومن ثم قال ص: "الحياء كله خير" وهو أقسام منها: حياء الكرم كاستحيائه ص ممن طول القيام بعد انتهاء وليمته على زينب حتى نزل {ولا مستأنسين لحديث} الآية، وحياء المحب من محبوبه حتى إذا خطر بقلبه هاج الحياء منه من غير أن يدري ما سببه، وحياء العبودية أن يشهد تقصيره فيها فيزداد خوفه وخجله، وحياء المرء من نفسه بأن تشرف همته فيستحي من رضا نفسه بالنقص فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كأن له نفسين تستحي إحداهما من الأخرى، وهذا أكمل أنواع الحياء قاله المناوي، وقوله: "أربى" في البيت بمعنى أزيد، و"العذراء" البكر من النساء، سميت بذلك لبقاء عذرتها، قوله: "ولا يواجه..الخ" قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن زيد حدثنا سلم العلوي سمعت أنس بن مالك يقول إن النبي ص رأى على رجل صفرة فكرهها قال فلما قام قال لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة قال أي أنس وكان ص لا يكاد يواجه أحدا بشيء يكرهه وقد رواه أبو داوود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة وأخرج أبو داوود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ص إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان ولكن يقول ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

ولا يمد رجله في صحبه كي لا يضيق على شخص به

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه في وصفه له ص: لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد.

ومن يصابره لحاجة يقف مصابرا حتى يكون المنصرف
كقابض لليد أو من لقما أذنه وإن يخير خار ما
لم يكن إثما أيسر الأمرين مهما يكونا غير دينيين

قال علي رضي الله عنه في وصفه ص: من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، وروى عن أنس رضي الله عنه: ما التقم أحد أذن رسول الله ص فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ، قوله: "وإن يخير.. الخ" قالت عائشة رضي الله عنها: ما خير رسول الله ص في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، قوله: "مهما يكونا غير دينيين" وجدت في بعض التقاييد أنهما إذا كانا كذلك يختار أكثرهما أجرا والله تعالى أعلم.

يمـــازح الأصـــحاب والصـــبيانا يجيـــب مـــن دعـــاه أيـــا كانـــا

المزاح هو الانبساط مع الغير من غير إيذاء له وبه يفارق الهزء والسخرية، روي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ص من أفكه الناس مع صبي، وأخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك: أن رجلا أتى النبي ص فاستحمله فقال رسول الله ص إنا حاملوك على ولد ناقة فقال يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ص وهل تلد الإبل إلا النوق، وأخرج أبو داوود عن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر على النبي ص فسمع صوت عائشة عاليا على رسول الله ص فلما دخل تناولها ليلطمها وقال ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ص فجعل النبي ص فحجزه وخرج أبو بكر مغضبا فقال رسول الله ص حين خرج أبو بكر كيف رأيتني أنقذتك من الرجل فمكث أبو بكر أياما ثم استأذن على رسول الله ص فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما فقال رسول الله ص قد فعلنا قد فعلنا، وروي عن أنس بن مالك أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهر، وكان يهدي النبي ص هدايا البادية فيجهزه النبي ص إذا أراد الخروج، فقال النبي ص إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه، وكان رسول الله ص يحبه وكان رجلا دميما فأتاه النبي ص وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال من هذا؟ أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ص فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ص حين عرفه فجعل النبي ص يقول من يشتري العبد فقال يا رسول الله إذن تجدني والله كاسدا فقال رسول الله ص لكن عند الله لست بكاسد أو قال له أنت عند الله غال، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا أبو التياح، حدثنا أنس قال: كان رسول الله ص أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال أحسبه قال فطيما، قال فكان إذا جاز رسول الله ص فرءاه قال: أبا عمير ما فعل النغير، قال نغر كان يلعب به، قال ابن كثير في الشمائل وقد رواه

الجماعة إلا أبا داود من طرف عن أبي التياح قال جسوس ثم اعلم أن المزاح المباح هو ما كان كمزاحه ص، ومزاحه عليه الصلاة والسلام إنما كان على سبيل الندور لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وتأليفه ورفع خوفه وزوال خجله، وأما الإفراط فيه والمداومة عليه فهو مذموم منهي عنه، فقد أخرج الترمذي في جامعه أن النبي ص قال: لا تمار أخاك ولا تمازحه، ويرحم الله القائل:

أفد طبعك المكدود بالجـــد راحة يجم وعلله بشيء من المـــــزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكـــن بمقدار ما يعطى الطعام من الملـح

قول الناظم رضي الله عنه "يجيب من دعاه.. الخ"، هو ما في حديث هند: وكان يجيب من دعاه، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان أحد أحسن من خلق رسول الله ص ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك، وقال أنس: ويجيب دعوة العبد قال شارحه أي لضيافة أو حاجة قرب محلها أو بعد اهـ.

وكانـــت الأمـــة تاخـــذ يـــده تمضـــي بـــه حيـــث أرادت قصـــده

أخرج البخاري أن كانت الأمة لتاخذ بيده ص فتنطلق به في حاجتها، وفي رواية له أيضا أن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيئ فتأخذ بيد رسول الله ص فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وفي التعبير باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة لساعدها على ذلك، وفي ذلك صبره على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابة من سأله حاجة وبروره للناس وقربه منهم ليصل ذوو الحقوق إلى حقوقهم ، ويسترشد الناس بأقواله وأفعاله وأحكامه، وفي ذلك تنبيه منه لحكام أمته ونحوهم على أن يتأسوا به في ذلك والله تعالى أعلم.

مجلســـــه للعلـــــم والأمانـــــه والصـــــبر والحيـــــاء والرزانـــــه

"الرزانة" الوقار والأدب، يعني أنه ص إذا جلس مع أصحابه يكون ذلك المجلس مجلس علم لأنه يكون مشغولا بتزكية نفوسهم وتكميل قواهم، وأمانة أي منهم على ما يقع فيه، وصبر أي منه ص على الجفاة، وحياء ولذلك كانوا يجلسون معه على غاية الأدب كأنما على رؤوسهم الطير، ورزانة أي أدب ووقار وهيبة وإجلال لا ترفع فيه الأصوات ، وعن علي رضي الله عنه مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا توبن فيه الحرم ولاتنثى فلتاته متعادلين، ومعنى لا تؤبن فيه الحرم لا تنتهك فيه حرمة أحد بغيبة ونحوها، ومعنى لا تنثى فلتاته أي لا تشاع ولا تذكر لأنها غير

موجودة من باب {ولا يسألون الناس إلحافا}، ومعنى متعادلين متساوين لا يتكبر بعضهم على بعض ويرحم الله القائل :

فلا تحقرن شخصا من الناس علـــه ولـــــي إله العارفين ولا تـــــدري
فذو القدر عند الله خاف عن الورى كما أخفيت عن علمهم ليلة القـدر
ولا يـــــرد ســـــائلا لحاجـــــه إلا بلـــين القـــول أو بالحاجـــه

قال علي رضي الله عنه: ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وهذا من كمال سخائه ومروءته وحيائه ص، وقد روي أن النبي ص كان إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي أعرض عن السائل منتظرا لما يأتي به الله من رزق وكره الرد فلما نزل قوله تعالى: {وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا} كان يقول يرزقنا الله وإياكم من فضله أو يعدهم بعطاء كما وقع له مع كثيرين ، ويروى أن الصديق لما استخلف وجاءه مال قال: (من كان له عند رسول الله ص عدة فليأتنا فوفاهم)، وربما أعطى رسول الله ص سائلا ورغبه في الاستعفاف، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ص فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا من الصبر، قال جسوس وفي هذا الحديث جواز سؤال من كان من الأعيان لاسيما إن كان ذا سلطان، قال بعضهم:

اســـأل الخيـــر إن ســـألت كريمـــا لـــم يـــزل يعـــرف الغنـــى واليســـارا
فســـؤال الكـــريم يـــورث عـــزا وســـؤال اللئـــيم يـــورث عـــارا
و إذا لـــم يكـــن مـــن الـــذل بـــد فـــالق بالـــذل إن لقيـــت الكبـــارا
لـــيس إجلالـــك الكبيـــر بـــذل إنمـــا الـــذل أن تجـــل الصـــغارا
ويقبـــل الإهـــدا وعـــذر المعتـــذر ولجفـــاء الغربـــاء مصطبـــر

أخرج الترمذي الشمائل عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ص يقبل الهدية ويثيب عليها أي يجازي، قال في النهاية الإثابة هي المجازات في الخير بأكثر منه، قال العسقلاني في رواية وكيع وصلها ابن أبي شيبة عنه بلفظ ويثيب ما هو خير منها اهـ.قال جسوس فهذا من عظيم خلقه ص، قال ابن حجر: فيسن التأسي به في ذلك، قوله:" وعذر المعتذر"أي ويقبل عذر المعتذر، والاعتذار محو أثر الموجدة، والعذر ما يبديه الشخص لاسترضاء واجد عليه مما صدر منه وما قاله الناظم رضي الله عنه ورد عن جرير بن

عبد الله في صفته ص وقد رغب النبي ص في قبول عذر المعتذر ، ففي الجامع الصغير من رد متنصلا من ذنب لم يرد على الحوض، قوله:" ولجفاء الغرباء..الخ" الجفاء الغلظة وسوء الأدب، وفي حديث علي ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، قال جسوس وذلك لعلمه ص بأن ما يصدر من الغريب لا يكون من أجل الاستخفاف بجانبه ص، بل من سوء الطبع، قال أي علي حتى كان أصحابه ص يستجلبونهم ليستفيدوا من مسألتهم ومبالغتهم في السؤال ما لا يقدرون عليه بأنفسهم مهابة له ص.

ويحلب الشاة ويعقل البعير ويخصف النعل وياكل الشعير
مع متغير الإهالة وقد أعان سلاخا أساء ما قصد

قيل لعائشة رضي الله عنها ما ذا كان رسول الله ص يعمل في بيته؟ قالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه، وفي رواية عنها كان يخيط ثوبه ويخصف نعله، وفي قولها كان بشرا من البشر إخبار بأنه يعمل في بيته ما يعمله عامة البشر تواضعا وإرشادا للتواضع، ولا يترفع عن الأعمال العادية تكبرا كعادة الملوك ومن ثم قالت يفلي ثوبه الخ، و"البعير" الجمل البازل أو الجذع وقد يكون للأنثى، ومعنى يخصف النعل يخرزها، قوله: "ويا كل الشعير مع متغير الإهالة" يعني أنه ص يأكل الشعير وقد يأكله مع متغير الإهالة وهي الدهن المستخرج من الشحم، روى عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ص يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب والسنخة المتغيرة من طول المكث وأشار الناظم رضي الله عنه في البيتين والذين يليانهما إلى عظيم تواضعه ص، والتواضع لغة التذلل والخضوع ، وعرفا خروج الإنسان عن مقتضى حاله وتنزله عن مرتبة أمثاله وعدم نظره إلى حقوق مرتبته وعند المحققين أن لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا مزية ويرى الحالة التي هو فيها أعظم من أن يستحقها ، قال بعض العارفين ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال إني ألم ير لنفسه مقالا ولا حالا، قوله:" وقد أعان سلاخا..الخ" لم أقف على الحديث بهذا وقد أخبرني بعض الشيوخ أنه ص وجد شخصا يسلخ شاة ولم يكن يحسن السلخ فقال له ص انزع يدك أرك فنزع يده فأدخل ص يده فسلخ سلخا بارعا فصار السلاخ بعد ذلك لا يبارى فيه فكأنه تعلمه منه أو وجد بركة سلخه ص معه والله تعالى أعلم.

و يرقع الثوب و يهنأ البعير ذا شملة بيضا يصافح الفقير
يأكل مع خادمه ويطحن معها إذا عيت يقم يعجن

أخرج القاضي عياض في الشفا عن عائشة رضي الله عنها والحسن وأبي سعيد وغيرهم، قال: وبعضهم يزيد على بعض كان ص في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق، ومعنى "يهنأ البعير..الخ" أي يطليه بالهناء وهو القطران وذا شملة بيضا حال أي يطليه حال كونه مشتملا بثوب أبيض ومعنى" يقم" يكنس البيت والله تعالى أعلم.

وكان يوتى بإناء فيه ما فيدخل اليد به وربما
كان ببارد وكان يردف ما ريئ فارغا ولا يستنكف

روي عن أنس رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله ص إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك ، قوله: "وكان يردف" هو بضم الياء من أردف على الدابة إذا حمل معه غيره، قال في الشفا، وكان ص يركب الحمار ويردف خلفه، وفي البخاري أنه ص ركب على إكاف عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة وراءه، قوله: "ما ريئ فارغا" يعني أنه ص إما أن يكون في مهنة أهله وإما في مصلحة أمته وإما في عبادة ربه ولا يرى فارغا، قوله:" ولا يستنكف" أي لا يتكبر، وفي النسائي لا يأنف أن يمشي مع المسكين والأرملة ، وقال العراقي:

يمشي مع المسكين والأرملة في حاجة من غيرما أنفة،
يردف خلفه على الحمار على إكاف غير ذي استكبار
يمشي بلا نعل ولا خف إلى عيادة المريض حوله الملا

بيده نحر في الوداع بدنا لإصلاح الصحاب ساع

أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ص نحر بيده سبع بدن قياما وضحى بالمدينة بكبشين أملحين أقرنين، قوله:" في الوداع" أي في حجة الوداع، قوله: "لإصلاح الصحاب..الخ" قال علي رضي الله عنه ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة أي لا يدعهم يشتغلون بما لا يعنيهم، والصحابة رضي الله عنهم يسألونه عما يصلحهم وهو يخبرهم به أي بالذي ينبغي لهم من الأحكام اللائقة بهم وبأحوالهم ومكانهم والمعارف التي تسعها عقولهم ومن ثم اختلفت وصاياه لأصحابه لاختلاف أحوالهم فقال لبلال أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا، وقال لآخر أمسك عليك بعض مالك فإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ، وقال له

رجل أوصني فقال له استح من الله كما تستحي رجلا صالحا من قومك، وقال له آخر أوصني فقال لا تغضب.

يخفف الصلاة إن جاء أحد حتى إذا سأله عما قصد
عاد لها وحيثما بكى الصبي خفف رأفة صلاته النبي

قال في الشفا ويروى أنه ص كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وقال أيضا في الشفا ومن شفقته على أمته أنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته.

ويكره الإيطان للمكان لها ويأباه العظيم الشان

قال علي رضي الله عنه كان رسول الله ص لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، قال القاضي عياض في معناه أي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما، وقد ورد نهيه عنه مفسرا في غير هذا الحديث.

ذو لين جانب وقد ركب في بني قريظة الحمار المقتفي
وحسن عشرة وإطعام الطعام والحلم والوقار مع لين الكلام
ورحمة اليتيم والتوقير لشيبة المسلم و الخطير

قال علي رضي الله عنه: كان رسول الله ص دائم البشر سهل الخلق لين الجانب، قال شارحه أي سريع العطف جميل الصفح أو هو قليل الخلاف أو هو كناية عن السكون والوقار والخضوع والخشوع ، قوله:" وقد ركب في بني..الخ" قال أنس بن مالك ، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف ، قوله: "وحسن عشرة "عطف على قوله "لين" أي ذو حسن عشرة وهي بالكسر اسم مصدر عاشره معاشرة أي خالطه، قال القاضي في الشفا: وأما حسن عشرته ص وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة، قال علي في وصفه عليه الصلاة والسلام كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة، قوله:" وإطعام الطعام" هو بالكسر عطف على قوله "حسن" أي وذو إطعام الطعام وإطعامه وكرمه صلى الله وعليه وسلم مشهور معلوم بالضرورة وسيأتي الكثير من الأمثلة له في النظم والشرح ، وفي البخاري أن رجلا سأل النبي ص أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأما حلمه ووقاره ولين كلامه ص فقد تقدم بعض الكلام عليها في النظم والشرح، قوله رضي الله عنه: "ورحمة اليتيم"أي وذو رحمة اليتيم فهو ص رحيم بالمومنين جميعا وبالأيتام على وجه الخصوص روى البخاري عن سهل بن سعدعن النبي ص أنا

وكافل اليتيم هكذا في الجنة وقال بأصبعيه السبابة والوسطى، وأما توقيره لشيبة المسلم فهو مقصد من مقاصد شريعته وخليقة من أخلاقه ص ، روى الترمذي عن أنس أن النبي ص قال: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، وعن علي في حديثه عن مجلسه ص: يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، وقال ص إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم رواه أبوداود وأما توقيره للخطير فهو كذلك والخطير هو العظيم في قومه فقد قال ص :إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، قال جسوس وهذا الحديث كاد أن يكون متواترا ، وعن علي: يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، وقال رسول الله ص :انزلوا الناس منازلهم رواه أبو داود عن عائشة.

ولا يقومـــــون لـــــه تكرمـــــا ويطرقـــــون حيثمـــــا تكلمـــــا

الضمير في "يقومون" لأصحابه ص قال الترمذي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ص وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك لكمال تواضعه وحسن معاشرته لهم فآثروا إرادته على إرادتهم وقد ذكر الترمذي هذا الحديث في باب التواضع وتعليل كراهيته ص لقيامهم بما ذكر وعليه فلا يكون فيه دليل على منع القيام وجعل بعضهم هذا الحديث من شواهد منعه كحديث لا تقوموا كما يقوم الأعاجم بعضهم لبعض، وممن أجاز القيام للداخل الإمام النووي وذكر ابن رشد أن القيام للرجل على أربعة أوجه: وجه يكون فيه محظورا لا يحل وهو أن يقوم إجلالا وتعظيما لمن يحب أن يقام إليه تكبرا وتجبرا على القائمين إليه، ووجه يكون فيه مكروها وهو أن يقوم إجلالا وتعظيما لمن لا يحب أن يقام إليه ولا يتكبر على القائمين إليه فهذا يكره لشبهه بفعل الجبابرة وما يخشى أن يدخله من تغيير نفس المقوم إليه، ووجه يكون فيه جائزا وهو أن يقوم تجلة وإكبارا لمن لا يريد ذلك ولا تشبه حاله حال المتجبرين ولا يخشى تغيير نفسه لذلك وهذه صفة قليلة إن لم تكن معدومة، ووجه يكون فيه حسنا وهو أن يقوم للقادم عليه من سفر فرحا بقدومه يسلم عليه وما أشبه ذلك، وفي بعض شراح المختصر استحباب القيام لمن نزل به سرور فيهنأ وللعالم وللصهر وللوالدين، قال المواق في سنن المهتدين: قال الشيخ محي الدين النووي ويستحب القيام لمن كان فيه فضيلة من علم أو صلاح أو شرف مصحوبة بصيانة للبر والإكرام، قول الناظم رضي الله عنه: "ويطرقون..الخ" الضمير لجلسائهص من الصحابة والإطراق خفض البصر مع سكوت وسكون وإنما يطرق جلساءه ص إذا تكلم استجماعا لسماع كلامه أو لما ألبسه الله سبحانه

من العز والمهابة والعظمة التي ليست من تلقاء نفسه ولا صنع له فيها ، وقال علي رضي الله عنه في حديثه وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير اهـ.

ويقبل الثناء من مقارب في مدحه ويبد منه حبي

"الثناء" المدح و"المقارب" المقتصد في المدح أي الذي يطابق قوله الواقع أي الذي لا يتجاوز به قدره ولا يقصر به دونه وقد قال رسول الله ص لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم والإطراء المبالغة في المدح حتى يتجاوز الحد كما قالت النصارى مرة عيسى هو الله وأخرى هو ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وقال علي رضي الله عنه في وصفه ص: ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، والمكافئ قيل هو المقارب كما في النظم، وقيل إن المراد به المكافأة في الدين بأن يكون المادح مسلما ظاهرا وباطنا أي لا يقبل ثناء الكافر والمنافق، قوله: "وبيد منه.. الخ" اليد النعمة أو المال يعني أن من مدحه ص مدحا مقاربا قبل مدحه وكافأه عليه بنعمة وقد ورد أنه أعطى كعبا بن زهير لما مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

أعطاه بردة كانت عنده وقيل إنه أعطاه مائة من الإبل والله تعالى أعلم.

وكان لا يدخر شيئا لغد ويحمل الثمن إن لم يجد

روى الترمذي عن أنس كان رسول الله ص لا يدخر شيئا لغد، قال جسوس أي لنفسه لما كان عليه من غاية الكرم والإيثار ولكمال ثقته بالله تعالى وتوكله عليه، وقد يدخر لعياله قوت سنتهم، ففي الصحيحين أنه ص كان يدخر لأهله قوت سنتهم ولكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيؤثرهم عليهم وعلى نفسه فلم يكن ادخاره لخشية العدم بل لأجل الكرم، قوله: "ويحمل الثمن.. الخ" روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ص اشترى من يهودي إلى أجل.

ويوثر الداخل بالوساده يعزم إن أبى الذي أراده

روي هذا عن أنس رضي الله فقال في وصفه ص: يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوب ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى.

وكان وصالا لرحمه ولا يوثرهم عمن يكون أفضلا

قال القاضي عياض في الشفا ووصفه ص بعضهم فقال: كان يصل ذوي رحمه من غير أن يوثرهم على من هو أفضل منهم، وقال ص إن آل بني

فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها، قال بعضهم المراد بفلان الحكم بن العاص، والله تعالى أعلم.

أجود من مر الرياح المرسله في رمضان من لقا جبريل له

أخرج الترمذي في الشمائل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ص أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ص أجود بالخير من الريح المرسلة، وفي كتاب الصيام من صحيح البخاري: وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه البني ص القرآن فإذا لقيه جبريل.. الخ، قال العسقلاني في هذه الرواية بيان سبب الأجودية.

وليس يكره مباح اللعب وكان يحمل على الظهر الصبي

"مباح اللعب" هو الذي لا يشتمل على محرم أو مكروه قولا وفعلا كلعب الصبيان بحيوان أو غيره وقد مر في مزاحه ص للصبي قوله يا أبا عمير ما فعل النغير؟ والنغر طائر كان يلعب به الصبي، وروى البخاري عن أنس أن رسول الله ص مر على صبيان يلعبون فسلم عليهم، وكالدف في الأعراس والأفراح في الأعياد، ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ص يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو، وفي البخاري عن الربيع قالت جاءني النبي ص يدخل حين بني علي فجلس على فراشي فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد فقال دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين، قال ابن حجر وفيه جواز إقبال الإمام إلى العرس وإن كان فيه لهو ما لم يخرج عن حد المباح، قوله: "وكان يحمل.. الخ" قال القاضي عياض في الشفا وقد صلى عليه الصلاة والسلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

كان يحب الطيب والنساءا والخيل، يصغي الهرة الإناءا

روى أحمد والنسائي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة، وفي النسائي عن أنس بن مالك لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ص من الخيل، قوله:" يصغي الهرة.. الخ" يعني يميل الإناء لها لتشرب، وروى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية كان يصغي للهرة الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها، وفي الموطإ عن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن أبي قتادة الأنصاري قالت

دخل علي أبو قتادة فسكبت له وضوءا فجاءت هرة لتشرب منه فأصغى لها الإناء حتى شربت، قالت كبشة فرآني انظر إليه فقال أتعجبين يا ابنة أخي قالت فقلت نعم فقال قال إن رسول الله ص قال إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات.

ويـــذهب الهـــم عـــن الحزيـــن ويعقـــد التســـبيح باليميـــن

يعني أنه ص إذا أنس من أحد من أصحابه حزنا أو هما كالمه أو باسطه أو قال له ما يسليه همه، فقد روى ابن إسحاق عن جابر رضي الله عنه أنه التقى به ص بعد أحد وهو حزين فقال له ص يا جابر مالي أراك مغتما، فقال جابر مات أبي يوم أحد وترك عيالا وعليه دين فقال له أفلا أبشرك يا جابر قال نعم فقال إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا وقال له تمن علي ـ الحديث ـ قوله: "ويعقد التسبيح.. الخ" يعني تسبيح الصلاة والله تعالى أعلم ، فقد روى الترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عمر كان ص يعقد التسبيح اهـ.

يعجبـــه الفـــال يواســـي الشعـــرا ولـــيس مـــن شـــيء يـــرى تطيـــرا

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ص لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفال قالوا وما الفال يا رسول الله قال كلمة طيبة، وفي رواية ويعجبني الفال الصالح الكلمة الحسنة. وعن أبي هريرة قال النبي ص لا طيرة وخيرها الفال، قالوا: وما الفال يا رسول الله، قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم، وأخرج أبو داود بسند حسن عن بريدة أن النبي ص كان لا يتطير من شيء، والطيرة بوزن عينة مصدر الطير إذا تشاءم كالتطير، وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر ويسمونه السانح، وإن طار يسرة تشاءم به ورجع ويسمونه البارح، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية عن النبي ص ثلاثة لا يسلم منهن أحدا، الطيرة، والظن والحسد، فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ، وإنما نهى الشارع عن الطيرة لأنها من سوء الظن بالله فهي خاصة بالسوء، وأعجبه الفال لأنه من حسن الظن به تعالى فهو خاص بالخير أخرج الترمذي وصححه من حديث أنس أن النبي ص كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد قول الناظم رضي الله عنه: "يواسي الشعرا" أي يعطيهم لا على المكافأة وإلا فقد تقدم قوله: "وبيد منه حبي" ومما يروى أنه ص أعطى قينة وردت عليه المدينة، ويقال

أنه قال لبعض أصحابه إذهب بها فاقطع عني لسانها أي أعطها عني شيئا لئلا تقول في الله تعالى أعلم.

وكـان فـي الـدعاء يرفـع يديـه حتـى يـرى الرائـي بيـاض إبطيـه

قال البخاري في الجامع الصحيح باب رفع الأيدي في الدعاء، وقال أبو موسى الأشعري دعا النبي ص ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه ، قال ابن حجر هذا طرف من حديثه الطويل في قصة قتل عمه أبي عامر الأشعري وقد تقدم موصلا في المغازي في غزوة حنين اهـ. قال البخاري وقال ابن عمر رفع النبي ص يديه وقال "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" قال ابن حجر وهذا طرف من قصة غزوة بني جذيمة، وفي الحديثين الرد على من أنكر رفع اليدين في الدعاء غير الاستسقاء متمسكا بحديث أنس وهو في الصحيح "لم يكن النبي ص يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء وجمع بينه وبين ما تقدم وما في معناه بأن المنفي صفة خاصة لا أصل الرفع قاله ابن حجر، قال وحاصله أن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة إلى أن تصير اليدان حذو الوجه مثلا وفي الدعاء حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما "حتى يرى بياض إبطيه "، بل يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره، قال المنذري وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح، قال ابن حجر، قلت ولا سيما مع كثرة الأحاديث الواردة في الإثبات فإن فيه أحاديث كثيرة أفردها المنذري في جزء، سرد منها النووي في الأذكار وفي شرح المهذب جملة، وعقد لها البخاري في الأدب المفرد بابا، قال العلماء السنة في كل دعاء لرفع البلاء أن يرفع يديه جاعلا ظهور كفيه إلى السماء، وإذا دعا لحصول لشيء جعل باطن كفيه إلى السماء والله تعالى أعلم.

ويسـأل النـاس عـن النـاس ولا يطلـب عـورة ويـوهي الضلـلا
ويمـدح الحـق وحـين يغضـب لله لا يقـام منـه الغضـب

قال علي رضي الله عنه في وصفه لهص "ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه"، والمراد بالناس المسؤولين خواص أصحابه وأفاضلهم ويحتمل أن يكون المراد عامة الناس، وقوله "عن الناس" أي محاسنهم ومساويهم ليعامل كلا بمقتضى حاله وما يليق بأمثاله، ومعنى "يمدح الحق" أي الواقع من غيره أي يمدح فاعله، ومعنى "ويوهي الضللا" أي يضعفه بتقبيحه وتقبيح فاعله أي بذمه أو ذم فاعله بأن يقول فيه هو قبيح ساقط تنفيرا عنه وتحذيرا منه، وسؤاله ص الناس عما في الناس

ليس من الغيبة المنهي عنها لما يترتب عليه من المصالح العامة وفيه إرشاد الحكام وغيرهم ممن يكون له أتباع من العلماء والصالحين أنه ينبغي لهم أن يتعرفوا أحوال الناس ليعاملوا كلا بما يستحقه قاله ابن حجر الهيثمي ، قوله "ولا يطلب عورة" أي لا يتجسس عن الأمور الباطنة التي تخفى ، فلا تعارض بينه وبين قوله "ويسأل الناس عن الناس"، لأن ذلك في الأمور الظاهرة التي تناط بها الأحكام الشرعية والمصالح البشرية قاله المناوي وغيره، وقال في جمع الوسائل المعنى لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه عن الناس عن الغير، والجملة وردت عن علي رضي الله عنه ، قوله "وحين يغضب لله الخ" هو ما قاله هند بن أبي هالة "ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها"، وقالت عائشة رضي الله عنها: "ما رأيت رسول الله ص منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضبا" اهـ.

أسرع به رضا وأبعد عضبا ويتلقى صحبه مرحبا

قال القاضي عياض:"وكان رسول الله ص أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا"، قوله"ويتلقى صحبه مرحبا" أي يتلقاهم إذا قدموا عليه قائلا مرحبا والله تعالى أعلم.

وكان عن تذكيرهم لا يغفل مخافة الملل أو أن يغفلوا
ويتحرى لهم مظنه تقبل الوعظ مقيم السنه

يعني أنه ص لا يغفل عن تذكير أصحابه وإرشادهم ونصحهم وتعليمهم مخافة أن يغفلوا عما استفاد وه من أقواله وكريم أحواله أو يملوا ذلك، قال علي رضي الله عنه "لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا"، وفي رواية "أو يميلوا إلى الدعة والرفاهية"، قوله "ويتحرى لهم الخ "، البيت يعني أنه مع كونه صلى لله عليه وسلم لا يغفل عن تذكيرهم كأن يتحرى لهم الأوقات المناسبة لتقبلهم الوعظ منه أي الأوقات التي ينشطون فيها للاستماع للوعظ ففي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله ص "يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا" قال ابن حجر ، قال الخطابي "الخائل" بالمعجمة هو القائم المتعهد للمال ، يقال خال المال يخوله تخولا إذا تعهده وأصلحه، والمعنى كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم ليلا نمل.

لكل حال عنده عتاد وللمريض منهم عواد

"عتاد" بفتح العين أي تأهب واستعداد أو شيء حاضر معد لكل ما يحدث من الأمور المهمة لما عنده ص من العلم، والمعنى أنه لا ينزل به ص أمر إلا وجد منه المخرج لما عنده من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل، ولكل متق حظ من ذلك، قال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا } وقال جل من قائل: {ومن يتق الله يجعل له مخرجا}، والجملة وردت في حديث هند بلفظها، قوله "وللمريض منهم الخ" الضمير المجرور ب"من" يعود إلى أصحابه ص وفي البخاري أنه ص "عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعرض عليه الإسلام فأسلم"، وقال أنس رضي الله عنه "ويعود المريض"، قال جسوس: أي كيف كان ولو عبدا أو وضيعا، "وكان ص يدنوا من المريض ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله ويقول: كيف تجدك أو كيف أصبحت أو أمسيت أو كيف هو ويقول: لا بأس عليك طهور إن شاء الله، أو كفارة وطهور ، وقد يضع يده على المكان المؤلم ويقول: بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك"، وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ص كان إذا أتى مريضا أو أوتي به قال: "اذهب الباس رب الناس أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما"، وفي الترمذي من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده اسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبعا فإن الله تعالى يشفيه قال حسن صحيح، وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ص كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا، قال جسوس والصحيح أن هذا غير خاص بتربة المدينة ولا بالريق الزكي والله تعالى أعلم.

ولـــيس خلقـــه بالاكتســـاب ولا بشـــيء بـــل مـــن الوهـــاب

أشار الناظم رضي الله عنه إلى ما قاله القاضي عياض في الشفاء، قال: وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة "بحسن الخلق" وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد ص على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم}، قالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه"، وقال ص: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، قال أنس: كان رسول الله ص أحسن الناس خلقا، وعن علي رضي الله عنه مثله، وكان فيما

ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته ولم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والصدر واسع ومن مكارم أخلاقه قضية في الخاتم

المراد بالصدر "القلب" ومعنى سعته أنه لا يمل ولا يضجر قلبه ولا يضيق صدره من الناس مع اختلاف طبائعهم، قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام: كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة، قوله: "ومن مكارم أخلاقه الخ" قضية الخاتم هي القضية المشهورة وملخصها أن أمهات المؤمنين اجتمعن وأتاهن النبي ص فسألنه أيتهن أحب إليه فقال: لا أخبركن حتى الغد وأعطى كل واحدة منهن خاتما بدون علم باقيهن فلما جاء الغد قال لهن مجتمعات أحبكن إلي صاحبة الخاتم، فظنت كل واحدة منهن أنها الأحب إليه والله تعالى أعلم.

وبسط عز العرب للرداء للأب والأم وكالشيماء

يعني أن من مكارم أخلاقه ص في الوفاء وحسن العهد ما صنعه لأبيه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى وأمه منها أي من الرضاعة وهي حليمة بنت أبي ذؤيب والقصة هي ما روي عن عمرو بن السائب قال كان النبي ص يوما جالسا فأقبل أبوه من الرضاعة فبسط له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فبسط لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام ص فأجلسه بين يديه، قوله: "وكالشيماء" قضيتها أنها أتت مسبية في سبي هوازن ولما شق عليها المسلمون قالت لهم إني أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله ص فقالت: يا رسول الله إني أختك ، قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة منك في ظهري، فعرفها رسول الله ص فنشر لها رداءه وقال لها: إن أحببت أقمت عندي معززة مكرمة وإن أحببت متعتك ورجعت إلى أهلك فاختارت قومها فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم تزل فيهم بقية من نسلهما قاله بنيس على الهمزية.

وكان يرسل بنات الانصار يلعبن مع عائشة البر البار
ومن خديجة عطاؤه كثر واستاذنت عليه هالة فسر

يعني أن النبي ص كان يعطي كثيرا من أجل خديجة رضي الله عنها وذلك من حسن أخلاقه ووفاءه ص ، أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها "ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ص يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء

ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد".
قوله: "واستاذنت عليه هالة الخ" هي بنت خويلد أخت خديجة ، أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: استاذنت هالة بنت خويلد على رسول الله ص فعرف استيذان خديجة فارتاع ، وفي رواية فارتاح بالحاء المهملة لذلك فقال: اللهم هالة قالت : أي عائشة فغرت ، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها، وقول عائشة في الحديث فعرف استيذان خديجة أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك، ومعنى ارتاع في الحديث فزع، والمراد من الفزع لازمه وهو التغير، وأما على رواية ارتاح فمعناه سر وهي التي للناظم رضي الله عنه، قال عياض في الشفا ودخلت عليه ص امرأة من قريش فهشلها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا في أيام خديجة وحسن العهد من الإيمان.

وكـــان يبعـــث إلـــى ثويبـــــــه بالصـــلة العـــدل نبـــي التوبـــــه

ثويبة هي مولاة لأبي لهب يقال إنه أعتقها ليلة مولده ص لما بشرته به وكانت ترضعه ص قبل ذهاب حليمة به وكان ص من حسن عهده وصلته للرحم يبعث إليها بالصلة والكسوة، قال في الشفا وكان ص يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد.

ولـيس فـي غيـر الثـواب قصـــده ولـــم تقـــع بآدمـــــي يـــــــده

قال علي رضي الله عنه: وكان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، قوله: "ولم تقع بآدمي الخ" روى الترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ص شيئا بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادما ولا امرأة ، وقولها إلا أن يجاهد في سبيل الله أي فيضرب إن احتاج لذلك، وقد وقع ذلك منه في الجهاد حتى قتل أبي بن خلف بيده في أحد ولم يقتل بيده ص أحدا غيره، قيل وأشقى الناس من قتل نبيا أو قتله نبي قاله في شرح الشمائل.

علـى أشـر القـوم كـان يقبـــل بوجهـــه وبالحـديث يعـــــــدل

الذي يتبادر من معنى البيت أنه ص يقبل على أشر القوم بوجهه ويعدل عنه بالحديث، وقد أخرج الترمذي في الشمائل عن عمرو بن العاص قال كان رسول الله ص يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفه بذلك ويمكن حمل

البيت عليه فمعناه ويعدل بالحديث إليه، قال جسوس في شرح الحديث أي يتألفه بما ذكر من الإقبال والحديث ليزداد رغبة في الإسلام، وفيه إشارة إلى أن المؤمن الضعيف أحوج إلى الإرشاد والهداية من غيره فالشفقة عليه أكثر ولهذا يكون توجه المشائخ إلى المريد المبتدئ أكثر من توجههم إلى المنتهي، ومن هذا القبيل قوله ص: "إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار" اهـ.

يوالف الصحب كثير المشوره ... وليس يثبت بوجه بصره

قال علي رضي الله عنه كان رسول الله ص يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم، قال جسوس: أي يجمعهم عليه بحسن خلقه ومواساته، وربما مازحهم ص ويولفهم فيما بينهم ويجعلهم كنفس واحدة بحيث لا يبقي بينهم تباغض، قال تعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}، وقال تعالى: {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}، قوله: "كثير المشوره" أي أنه ص يشاور أصحابه كثيرا وذلك مما كان يوالفهم به، قال تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر}، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال ما رأيت أحدا من الناس أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ص، قوله: "وليس يثبت الخ" قال القاضي عياض: وروي عنه ص أنه كان من حياءه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره اهـ.

ولم يقل لخادم قط لما ... وقام حتى قدماه ورما

في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ص المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ص فقال: يا رسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك قال: فخدمته في السفر والحضر والله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا؟، قوله: "وقام حتى الخ" روي في الصحيح عن المغيرة بن شعبة قام ص حتى انتفخت قدماه فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا.

لجوفه بالليل صوت المرجل ... ويكثر الذكر قصير الأمل

المرجل القدر، أخرج الترمذي عن عبد الله بن الشخير قال أتيت رسول الله ص وهو يصلي بالليل ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وفي هذا كما قال ابن حجر دليل على كمال خوفه ص من ربه جل وعلا ومعلوم أن

الخشية والعمل على قدر العلم والمعرفة وهو ص سيد العارفين بالله تعالى، وقد قال ص وإني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية، وقال: والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، هذا وخوف الأنبياء إنما هو من رؤية غير الأكمل الذي هو كالنقص في حقه، فإن رؤيته كافية في الانقباض والخجل، ولذا قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس المراد من خوفهم أن ينكفوا وينزجروا عن المخالفات لأنهم معصومون، بل لأن يكونوا في مقام العبودية والأدب وأيضا فلكمال علمهم بالإنقلابات واطلاعهم على ضروب التصرفات يرد عليهم من الخشية ما يرد فإن من ورد على ملك وهو آمن منه قاطع بأنه لا يصدر منه إليه إلا الإحسان والبر لأمارات ودلائل قامت عنده على ذلك إذا رآه في حضرته يعزل ويضع ويطرد ويعاقب بأنواع العقوبات التي لا تنحصر يدخله من هيبته وخوفه ما يضطرب من أجله قلبه وجوارحه وترتعد فرائصه ويصفر لونه ويصير الخوف في حضرة الملك ضروريا له لا يستطيع دفعه عن نفسه مع استحضاره لأمارات الأمن، قوله: "ويكثر الذكر" لا شك أنه ص أكثر الخلق ذكرا وأكثرهم عبادة لأنه أكمل العارفين بما يجب له تعالى من امتثال أمره والاستسلام لقهره والاستهتار بذكره، وقد روى البغوي وأبو نعيم عنه ص "ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكون من المتاجرين ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين"، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا}، قوله: "قصير الأمل" مر قول الناظم رضي الله عنه وكان لا يدخر شيئا لغد وشرحه وفيه الإشارة إلى المقصود، والله تعالى أعلم.

ياتي عليه الشهر والشهران لا توقد نار في البيوت مسجلا

أخرج الإمام أحمد عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يمر بنا هلال وهلال وما يوقد في بيت من بيوت رسول الله ص نار، قال أي عروة يا خالة على أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت على الأسودين التمر والماء.

ولا يتابع العشاء والغدا له ثلاثا يتوسد اليدا

العشاء بالفتح ما يؤكل آخر النهار، والغداء ما يؤكل أوله والمعنى أنه ص لا تأتي عليه ثلاثة أيام يتغدى في أولهن ويتعشى في آخرهن، وقد أخرج البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها: ما شبع آل محمد ص منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا، وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ص ثلاثة أيام تباعا من خبر الشعير حتى مضى لسبيله، وأخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله ص لم

يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم لا على ضفف، قوله: "يتوسد اليدا" أخرج الترمذي في الشمائل عن البراء بن عازب أن رسول الله ص كان إذا أخذ مضجعه وضع يده اليمنى تحت خده وقال: "رب قني عذابك يوم تبعث عبادك".

وشد في الخندق خير الانبيا من جوعه الأحشاء مع ما أوتيا

يعني أنه ص شد على بطنه حجرا من الجوع ووقع ذلك وهو وأصحابه يحفرون الخندق فقد أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا للنبي ص فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، قال ابن حجر: زاد يونس أي بعد قوله بحجر من الجوع، وفي رواية أحمد أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ص على بطنه حجرا من الجوع وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك، فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر ، وقال الكرماني لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء ولا يتحلل شيء مما في البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل، قوله: "مع ما أوتيا" أي فعل ذلك من الجوع مع أن الله تعالى عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا، قال في الشفا: قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، وقال لي إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت: لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك، وفي حديث آخر أن جبريل نزل عليه فقال له إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت.

مات ولم يشبع من الشعير ودرعه رهن لدى كفور

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ص ثلاثة أيام تباعا من خبز الشعير حتى مضى لسبيله، وفي رواية ما شبع آل رسول الله ص من خبز بر حتى لقي الله عز وجل، قال القاضي عياض: وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله ص ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، وعن ابن عباس نحوه قاله عياض، وعن عائشة رضي الله عنها

قالت: لم يمتلئ جوف النبي ص شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى، قوله: "ودرعه الخ" أخرج الترمذي عن أنس: ولقد كانت له درع عند يهودي فما وجد ما يفكها حتى مات ص، والكفور بمعنى الكافر وهو أبو الشحم اليهودي.

لـم يتـرك الـدرهم والدينـــــارا ويـاكـل الـدجاج والحبـــــــارى

قال في الشفا: قالت عائشة رضي الله عنها: ما ترك رسول الله ص دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا، وعن عمرو بن الحارث: ما ترك رسول الله ص إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة، قوله: "ويأكل الدجاج الخ" جمع دجاجة بالفتح وهي الأنثى من الديوك ، وقد تطلق على الذكور أخرج الترمذي عن زهدم الجرمي قال كنا عند أبي موسى الأشعري فأوتي بلحم دجاج فتنحى رجل من القوم فقال أي أبو موسى مالك؟ قال إني رأيتها تأكل شيئا فحلفت أن لا آكلها ، قال أي أبو موسى: ادن فإني رأيت رسول الله ص يأكل لحم دجاج، والحبارى بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وفتح الراء وألفه للتأنيث طائر معروف يقع على الذكر والأنثى، أخرج الترمذي عن سفينة مولى رسول الله ص قال أكلت مع رسول الله ص لحم حبارى، قال ابن القيم: لحمه حار يابس بطيء الهضم وأما لحم الدجاجة فهو حار رطب خفيف على المعدة سريع الهضم جيد الخلط يزيد في الدماغ والمني ، ويصفي الصوت ويحسن اللون ويقوي العقل ويولد دما جيدا وهو مائل إلى الرطوبة، ولحم الديوك أسخن مزاجا وأقل رطوبة قاله جسوس.

وينصـــف الشـــريك إذ يواكـــل وبالأصـــابع الـــثلاث ياكـــل
وربمـــا بـــالرابع اســـتعانا ولعقهـــا مـــن بعـــد أكـــل كانـــا

الشريك هو الآكل معه ص يعني أنه إذا أكل مع أحد عامله بالإنصاف ، فإذا كان بطيء الأكل تريث في أكله لِيلا يأكل أكثر مما يأكل وذلك من أدب الأكل، وري عن عمرو بن أبي سلمة قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ص وكانت يدي تطيش في الصفحة فقال لي رسول الله ص : "يا غلام سم الله وكل مما يليك" متفق عليه. وعن جبلة بن سحيم قال أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرا، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن ناكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ص نهى عن الإقران، ثم يقول: "إلا أن يستأذن الرجل أخاه" متفق عليه. وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ص ياكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها. رواه مسلم. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ص أمر بلعق الأصابع والصفحة وقال : "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" رواه مسلم. وفي

الإكمال: من اضطر إلى أكثر من ثلاث أصابع لخفة الطعام وعدم تلفيفه بالثلاث فليدعمها بالرابعة اهـ.

ويشـرب الحليـب ممزوجـا بمـا ويمسـك المنطـق عمـا أطعمـا
لكـن أحبـه إليـه اللحـم وياكـل الثريـد معـه لحـم

الحليب اللبن والمزج الخلط يعني أنه ص يشرب اللبن المشوب بالماء، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ص أوتي بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر رضي الله عنه فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال: "الأيمن فالأيمن" متفق عليه. قوله: "ويمسك المنطق الخ" يعني أنه ص لا يعيب طعاما قدم إليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ص طعاما قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه.متفق عليه. قوله: "لكن أحبه الخ" روي عن أبي الشيخ عن أبي سمعان قال سمعت علماءنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله ص اللحم وهو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ، وعن جابر بن عبد الله قال: أتانا رسول الله ص في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم أي فأضافونا به أخرجه الترمذي، والثريد هو الخبز المفتت في مرق اللحم أو الخبز المأدوم بالمرق سواء معه لحمٌ وهو الأغلب أو لم يكن معه قاله جسوس.

والثفـل والسـاقط والمنخـول مـا طعـم قـط يشـرب الشـهد بمـا

الثفل بثاء مثلثة مضمومة وهو في الأصل ما يرسب من كل شيء أو ما يبقى بعد العصر، والمراد به هنا ما يبقى من الطعام في القدر بعد تفريغه من أعلاه وهو منصوب عطف على قوله الثريد أي وياكل الثفل والساقط، فقد أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ص كان يعجبه الثفل قال عبد الرحمن الدارمي يعني ما بقي من الطعام ، قال جسوس في شرح الحديث أي في القدر ولعل سبب إعجابه به أنه منضوج غاية النضج القريب إلى الهضم فهو أهنا وأمرأ ، وأما الساقط فقد كان ص يلتقطه وياكله وورد الترغيب في أكله، روى أبو الشيخ من أكل ما يسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق ، وروى الديلمي من أكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر أورده في الإحياء بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده وجاء في التقاط ما يقع من الطعام أنه مهر الحور العين، قال في المواهب وهي أحاديث واهية، قوله: "والمنخول ما طعم قط" المنخول هو المنقى من النخالة، والنبي ص لم يطعمه قط بل لم يره بعينه فقد أخرج الترمذي عن سهل بن سعد أنه قيل له أأكل رسول الله ص النقى؟ يعني الحوارى فقال سهل ما رأى رسول الله ص

النقى حتى لقي الله عز وجل والحوارى بضم الحاء المهملة وتشديد الواو مفتوحة هو الذي نخل مرة بعد مرة وهو تفسير مدرج في الحديث، وقوله: ما رأى رسول الله الخ أي فضلا عن أن يأكله فقيل لسهل هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ص؟ قال: ما كانت لنا مناخل فقيل كيف كنتم تصنعون بالشعير؟ قال كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نعجنه، قوله: "يشرب الشهد بما" الشهد هو العسل يعني أنه ص يشرب الماء الممزوج بالعسل، أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: كان أحب الشراب إلى رسول الله ص الحلو البارد قال جسوس يحتمل أن يكون المراد بالحلو البارد الماء الممزوج بالعسل، قال ابن القيم فإن فيه من حفظ الصحة ما لا يهتدي لمعرفته إلا أفاضل الأطباء؟

أول بدعـــة علـــى التحقيـــق بعــد الرســول منخــل الدقيــق

تقدم آنفا قول سهل بن سعد ما كانت لنا مناخل أي في زمنه ص يوخذ منه أنها كانت لهم بعده قال جسوس ولذا قيل المنخل أول بدعة في الإسلام قال المناوي قال الغزالي وهذا لا يقتضي أن اتخاذ المناخل منهي عنه وإن كان أبدع بعد رسول الله ص لأن المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع بعد بقاء علته، وليس نخل الطعام كذلك لأن القصد تطييب الطعام وهو مباح ما لم ينته للتنعم المفرط اهـ.

ولـيس فـوق العبـد روح القـدس مرتفعـــا فـــي مأكـــل وملـــبس
يلـــبس مـــا يجـــده فمـــره قميصـــا أو روميـــة أو حبـــره
أو بـــردا أو عبـــاءة أو منطقـــه مـــن أدم بفضـــة محلقـــه

"روح القدس" هو محمد ص وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ص قال: "إنما أنا عبد آكل كما ياكل العبد" قاله في الشفا. وقال جسوس: وروى الشيخان أنه ص كان له كساء ملبد يلبسه ويقول: "إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد"، أي فلم يكن رسول الله ص يتأنق في لباسه ، ولم تطلب نفسه التعالي فيه ميلا للتواضع والعبودية وإشارة إلى أن هذا الطريق أسلم بالنسبة إلى كل طريق وأن كرم المؤمن وعزه إنما هو بتقوى الله لا بارتكاب أوجه الترفعات الدنيوية، ولأن المباهات والتزين من شأن النساء والمحمود للرجال هو نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وعدم اسقاطه لمروءة لابسه ومن ثم كان ص يلبس ما يجده كما قال الناظم وغيره مما يناسب لباس قومه، "والقميص" قال في القاموس معلوم ، وقد يؤنث ، ولا يكون إلا من القطن وأما الصوف فلا. وأخرج الترمذي عن أم سلمة قالت: كان أحب الثياب إلى

رسول الله ص القميص. وأخرج الدمياطي كان قميص رسول الله ص قطنا قصير الطول والكمين. قوله: "رومية" صفة لجبة محذوفة ، والجبة ثوبان بينهما قطن إلا أن تكون من قطن فقد تكون غير محشوة ، والرومية نسبة إلى الروم، أخرج الترمذي عن المغيرة أن النبي ص لبس جبة رومية ضيقة الكمين، "والحبرة" كعنبة وسكنت الباء للضرورة نوع من برود اليمن تتخذ من قطن أو كتان مخططة بخطوط حمر وربما كانت بخضر أو زرق، أخرج البخاري عن قتادة عن أنس قال: قلت له أي الثياب أحب إلى النبي ص؟ قال: الحبرة ، والبرد كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب قاله الجوهري، أخرج البخاري عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله ص وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة.. الحديث. وقد مر في أول الخلق قوله: "أو عباءة" قال في القاموس: العباية والعباءة ضرب من الأكسية ، وقد مر أنه ص له كساء ملبد كان يلبسه. قوله: "أو منطقه" المنطقة كمكنسة ما يشد به الوسط، والأدم الجلد المدبوغ، وقد روي أنه ص له منطقة حلقتها من الفضة.

والأكـل والجلـوس بـالأرض ولا منفـــردا أو ذا اتكـــاء أكـــــلا

"والأكل" مبتدأ، والجلوس معطوف عليه، وبالأرض خبر، يعني ياكل على الأرض أي جالسا عليها بلا حائل، ويجلس كذلك عليها، وهذا لا يعني أن جلوسه دائما كذلك وأكله ، بل معناه أنه لا يترفع عن الجلوس بالأرض والأكل بها، وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ص متوكئا على عصا فقمنا له فقال: "لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا" وقال: "إنما أنا عبد آكل كما ياكل العبد وأجلس كما يجلس العبد". وقوله: "ولا منفردا" يعني أنه ص لا ياكل منفردا أي لا ياكل وحده، وهذا ينبغي والله تعالى أعلم أن يكون في غالب أحواله ، فقد أخرج الطبراني من حديث ابن عمر "كلوا جميعا ولا تفرقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة وطعام الأربعة يكفي الخمسة والستة". وعند البزار من حديث سمرة نحو حديث ابن عمر وزاد في آخره "ويد الله على الجماعة"، قال ابن حجر: فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة، وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ص: "طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة" قال ابن المنذر: يؤخذ من حديث أبي هريرة استحباب الاجتماع على الطعام وأن لا ياكل المرء وحده. وقوله: "وذا اتكاء" أي لا ياكل متكئا، أخرج الترمذي عن أبي جحيفة قال، قال رسول الله ص: "أما أنا

فلا آكل متكئا"، قال جسوس: لأن وقت الأكل وقت تواضع وشكر لله تعالى ، والأكل متكئا صفة المتكبرين وهذا ظاهر إن فسر الاتكاء بالميل على شق حالة الأكل ، ومنه الاعتماد على اليد اليسرى عند الأكل فإنه نوع من الاتكاء كما قال مالك، ومنه الأكل مطضجعا وإما إن فسر بالجلوس على وجه يتهيأ معه الإكثار من الأكل كالمتربع وبه فسره القاضي عياض فلأنه من فعل المستكثرين من الأطعمة المتنعمين المشغوفين بكثرة الأكل ، وعلى كل حال فهو حرام في حقه ص.

أكثـــر مـــا يجلـــس الاستقبـــال وعنـــد نومـــه لـــه اكتحـــال

"أكثر" مبتدأ "ما يجلس" في تأويل المصدر مضاف إليه ما قبله، أي جلوسه ، "والاستقبال" خبر المبتدإ والمعنى أن أكثر ما يتوجه إليه جالسا جهة القبلة ، قوله: "وعند نومه..الخ" أخرج الترمذي في الشمائل عن ابن عباس قال: كان النبي ص يكتحل قبل أن ينام بالإثمد ثلاثا في كل عين ، وعن يزيد ابن هارون أن النبي ص كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين.

جلوســـه أكثـــره أن يحتبـــي والقرفصـــا ويتربـــع النبـــي

قال أبو سعيد الخدري: كان رسول الله ص إذا جلس في المجلس احتبى بيديه ذكره في الشفا. قال: وكذلك كان أكثر جلوسه ص محتبيا، وعن جابر بن سمرة أنه ص تربع وربما جلس القرفصاء وقال في الصحاح: احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامة ، وقد يحتبي بيديه، قال جسوس: الاحتباء جلسة الأعرابي لقيامه مقام الاستناد إلى الجدار، ونهي عنه وقت الخطبة لأنه يستجلب النوم،"والقرفصاء" هي أن يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه، أي يجعل كلا منهما تحت إبط.

وهـو أقـر النـــاس فـي حبوتـــه وربمـــا أخـــذ مـــن لحيتـــه

قال في الشفا: روي عن خارجة بن زيد أنه كان يقول: كان النبي ص أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه ، "وربما أخذ.. الخ"، روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ص كان ياخذ من لحيته من عرضها وطولها، ذكره ابن حجر العسقلاني قال: وهذا أخرجه الترمذي وحكى الطبراني اختلافا في قدر ما يؤخذ منها هل له حد أم لا؟ فأسند عن جماعة الاقتصار على أخذ الذي يزيد منها على قدر الكف. وعن الحسن البصري أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم يفحش. وعن عطاء نحوه، وقال: إن الرجل لو ترك لحيته لا يتعرض لها حتى أفحش طولها وعرضها لعرض نفسه لمن يسخر به ، واستدل بالحديث المتقدم قاله في فتح الباري.

يـلازم المـدرى ويصـبغ الثيـــاب بصـــفرة ويترجـــل الرحـــاب
غبـا وقـد صـلى بمخصوفيـــن ويســـرح اللحيـــة مرتيـــن

أخرج الخطيب البغدادي في الكفاية عن عائشة رضي الله عنها قالت: خمس لم يكن النبي ص يدعهن في سفر ولا حضر: المرآة ، والمكحلة، والمشط، والمدرى، والسواك. "والمدرى" بكسر الميم والسكون المهملة عود تدخله المرأة في رأسها لئلا ينضم بعض شعره إلى بعض، قوله: "ويصبغ الثياب بصفرة" أخرج الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر قال: رأيت رسول الله ص وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران، وأخرج الطبراني من حديث أم سلمة أن رسول الله ص صبغ إزاره ورداءه بزعفران، وقال عبد الله بن عمر في حديث النعال السبتية الذي أخرجه البخاري: وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله ص يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها. وقوله: "ويترجل الرحاب" الرحاب – بضم الراء- الواسع والمراد به هنا النبي ص ، ويترجل يمتشط ، ومعنى "غبا" أنه يفعله يوما ويتركه آخر ، أخرج الترمذي عن رجل من أصحاب النبي ص أنه كان يترجل غبا ، وأخرجه النسائي أيضا، وروي عن عبد الله بن مغفل قال: نهى رسول الله ص عن الترجل إلا غبا، قال ابن العربي: موالاته تصنع، وتركه تدنس وإغبابه سنة ، قوله: "وقد صلى بمخصوفين"، أخرج البخاري عن سعيد بن أبي سلمة قال: سألت أنسا أكان النبي ص يصلي في نعليه قال: نعم. قوله: "ويسرح اللحية مرتين" أخرج الترمذي عن أنس قال كان رسول الله ص يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لا يفارق رسول الله ص سواكه ومشطه، وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته.

وفـي مـروط المحصنـــات وإلـــى أنصـاف سـاق إئتـــــزاره ولا
يـــدنس ثوبـــه وربمـــا ضفـــر ويجمـع اللـبن بالتمـر المبـر

"إئتزاره" في البيت مبتدأ خبره ما قبله، يعني أنه ص يأتزر في المروط الخاصة بالنساء وأزرته إلى أنصاف ساقيه لا تتعدى ذلك، أخرج الترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله ص ذات غداة وعليه مرط من شعر أسود ، والمرط – بكسر فسكون – كساء طويل واسع من خز أو صوف أو شعر أو كتان يؤتزر به، قاله جسوس. وأخرج الترمذي عن الأشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينما أمشي في المدينة إذا إنسان خلفي يقول: إرفع إزارك فإنه أتقى وأبقى فالتفت فإذا هو رسول الله ص فقلت: يا رسول الله إنما هي بردة ملحاء بالهمزة، قال: أما لك في أسوة ، فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه، وأخرج الترمذي أيضا عن

سلمة بن الأكوع قال: كان عثمان بن عفان يأتزر إلى أنصاف ساقيه، وقال: هكذا كانت أزرة صاحبي يعني النبي ص ، قوله: "ولا يدنس ثوبه" أي لا يتسخ، قال جسوس في شرح الشمائل: لما كان ص لا يبدوا منه إلا طيب كان علامة ذلك ألا يتسخ له ثوب. قوله: "وربما ضفر" الضفر: نسج الشعر، أخرج الترمذي عن أم هانئ قالت: رأيت رسول الله ص ذا ضفائر أربع ، والضفائر جمع ضفيرة كغدائر جمع غديرة، وهما بمعنى ، قال في الإحياء: وكان ص يخرج كل أذن من بين ضفيرتين ، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدوا سوالفه تتلألأ ، وقال أبو الربيع بن سبع: يخرج الأذن اليمنى من بين غديرتين تكتنفانها، واليسرى كذلك تتوقدان كأنهما الكواكب الدرية بين سواد شعره ص.

كـــان فـــراش نومـــه مـــن أدم يلقـى مـن الجـوع شـديد الألـــم

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما كان فراش رسول الله ص الذي ينام عليه من أدم حشوه ليف، والأدم بفتحتين جمع أديم: الجلد المدبوغ أو الأحمر أو مطلق الجلد قاله في القاموس، والليف شيء يخرج في أصول سعف النخل لأول خروجها تحشى به الوسائد والفرش، وتفتل منه الحبال، وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي ص من الزهد في الدنيا والبعد عن شهواتها ، والرضا بما قل منها ، قال جسوس: وهو الأفضل أن يكون لكل من الزوجين فراش وهو الذي ذكره في الإكمال قائلا أنه أصلح للجسم وأقل لاستدعاء المواقعة أو الأفضل اجتماعهما في فراش واحد وهو الذي ذكره النووي قائلا إنه الذي كان النبي ص يفعله مع ملازمته قيام الليل فإذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها لاسيما إن علم من المرأة الحرص على المباشرة فيجمع بين وظيفته وحقها المندوب وعشرتها بالمعروف. قوله: "يلقى من الجوع.. الخ" أخرج الترمذي عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ص الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ص عن بطنه عن حجرين قال جسوس وكان عادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد الحجر على بطنه ليتقوم به صلبه فتسهل عليه الحركة ومن كان جوعه أشد ربط حجرين فكان ص أكثرهم جوعا فربط حجرين، ومما ينبغي أن يتنبه له هنا أن بين جوعه ص وجوع غيره فرقا، وذلك لأن جوعه ص كان في بعض الأحيان اختيارا منه وطلبا للأجر وموافقة لأصحابه في حالهم تسلية لهم ولغير ذلك من الفوائد، قال تاج الدين السبكي رضي الله عنه: الذي أعتقد أن جوعه ص كان جوعا اختياريا لا اضطراريا، وأنه ص كان يقدر على طرده عن نفسه إما بأن تنصرف عنه شهوة الطعام والشراب مع بقاء

القوة بإذن الله وإما بتغذية الله المغنية له عن الطعام والشراب وإما بتناول الغذاء فقد كان ص قادرا على ذلك، وسماعي مرات من الشيخ الوالد رحمه الله وهو معتقدي أنه ص لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه في نفسه وعياله ومعاشه، وأحفظ أن الشيخ الإمام رحمه الله أقام من مجلسه من قال كان النبي ص فقيرا قياما صعبا وكاد يسطو به وكان يقول في قوله ص "اللهم أحيني مسكينا" المراد به استكانة القلب للمسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته والحق معه في هذا، فإن من جاءت إليه مفاتح خزائن الأرض وكان قادرا على تناول ما فيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم اهـ. وقال الحليمي في شعب الإيمان: من تعظيمه ص ألا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا، قال في جمع الوسائل: ومما أكرم الله سبحانه به نبيه عليه الصلاة والسلام أنه مع تألمه بالجوع حفظ كمال قوته وصان نضارة جسمه فكان أشد رونقا وبهاء من أجساد المترفين ولا يظن به الجوع أحد ممن رآه وقد أشار البوصيري رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله:

وشد من سغب أحشاءه تحت الحجارة كشحا مترف

فقف على قوله: "مترف الأدم" وإنما آثر ص هذه الحالة مع أنه يستوي في حقه الغنى والفقر إن استغنى شكر بل كان أشكر الشاكرين وإن افتقر صبر بل كان أصبر الصابرين، تواضعا وميلا إلى ما يناسب حالة العبودية وامتثالا لقول الله تعالى: {ولا تمدن عينيك} الآية. ومخالفة لكسرى وقيصر إشارة إلى أنهم عجلت طيباتهم في حياتهم الدنيا، وإظهارا لحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عنها بالكلية، وفي الحديث: "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء" وأنشدوا:

فلو كانت الدنيا ثوابا لمحسن إذن لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء وقد شبعت فيها بطون البهائم

وليتأسى به الضعفاء لأنه في مقام التشريع والاقتداء فيزهدون في الدنيا والله تعالى أعلم.

فصل: في ذكر بعض مما خصه الله به تعظيما لقدره وتكريما له

ومن عظيم ما له من مفخر نقش اسمه على قديم الحجر

قال في الشفا: وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب "محمد تقي مصلح وسيد أمين" ، وأخرج أبو نعيم من طريق حريش بن أبي حريش عن طلحة قال: وجد في البيت حجر منقور في الهدمة الأولى عليه كتابة فدعي رجل فقرأه فإذا فيه "عبدي المنتخب المتوكل المنيب المختار مولده بمكة ومهاجرة طيبة لا يذهب حتى يقيم السنة العوجاء ويشهد أن لا إله إلا الله أمته الحمادون ويحمدون الله بكل أكمة ياتزرون على أوساطهم ويظهرون أطرافهم"، وذكر السمنطاري أنه شاهد ببعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب "لا إله إلا الله" وعلى الآخر "محمد رسول الله".

ذكر في التوراة والإنجيل وغير ذا كصحف الخليل

قال تعالى: {الذين يتبعون الرسول النبيء الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل}، وأخرج البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله ص قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)، وأخرج ابن سعد والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ص مكتوب في الإنجيل (لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)، وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه قال إن الله تعالى أوحى إلى داوود في الزبور (يا داوود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا نبيا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني أبدا قد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر).

وقد دعا به وأعلم الخليل وأعلم الكليم ربه الجليل

أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية قال لما قال إبراهيم {ربنا وابعث فيهم رسولا منهم} الآية. قيل له (لقد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان)، وأخرج الحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله ص "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام" وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال لما أمر إبراهيم بإخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة إلا قال أنزل هاهنا يا جبريل فيقول لا حتى أتى مكة فقال جبريل أنزل يا إبراهيم قلت حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ها هنا يخرج النبي الأمي من ذريتك ابنك الذي تتم به الكلمة العليا، وأخرج عن الشعبي قال في محلة إبراهيم عليه السلام (إنه كائن من ولدك شعوب

وشعوب حتى ياتي النبي الأمي الذي يكون خاتم الأنبياء)، قوله: "وأعلم الكليم" الكليم هو موسى عليه السلام وقد أخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ص يقول: "لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا في معسكر موسى فانتهبوه فدعى عليهم موسى فأوحى الله إليه لا تدع عليهم فإن منهم النبي الأمي النذير البشير ومنهم الأمة المرحومة أمة محمد الذين يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله عنهم بالقليل من العمل".

وكان في المحل من نبوته وآدم منجدل في طينته

أخرج أحمد والبخاري في التاريخ عن ميسرة الفخر قال قلت: "يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال وآدم بين الروح والجسد"، وأخرج أحمد والحاكم عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ص يقول "إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وآدم لمنجدل في طينته".

وفي الأذان عهد آدم ومع سما إلهنا على العرش وقع

قوله: "عهد آدم" منصوب على الظرفية والعامل فيه وقع آخر البيت أي وقع ذكره في الأذان في عهد آدم، أخرج أبو نعيم في الحلية وابن عساكر من طريق عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص "نزل آدم بالهند واستوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالأذان الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين وأشهد أن محمدا رسول الله مرتين قال آدم من محمد قال آخر ولدك من الأنبياء"، قوله: "ومع سما إلهنا..الخ" قال عياض روى ابن القانع القاضي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ص "لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلمي". وتقدم هذا ونظيره في شرح أول بيت من النظم.

وبعثه للثقلين حققا وقيل كان للأنام مطلقا
وأخذ الميثاق بالإيمان به على جميع الانبياء فانتبه

"الثقلان" الإنس والجن، ولا خلاف أنه ص أرسل إليهما جميعا اتفاقا قال تعالى: {وما أرسلناك إلا كافة للناس} وفي الحديث "وبعثت إلى الناس كافة"، قال في القاموس والناس يكون من الإنس والجن و"الأنام" كسحاب الخلق أو الجن والإنس أو ما على وجه الأرض قاله في القاموس، قال السيوطي: الإجماع أنه ص مبعوث إلى الإنس والجن واختلف في بعثه إلى الملائكة ورجح السبكي أنه مبعوث إليهم قاله في الخصائص، قوله: "وأخذ الميثاق..الخ" قال تعالى: {وإذا أخذا الله ميثاق النبيئين لما ءاتيناكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه}، قال القرطبي: الرسول هنا محمد ص في قول علي وابن عباس واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين كقوله تعالى: {ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة} إلى قوله: {ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه} قال فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يومنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وينصروه إن أدركوه وأمرهم أن ياخذوا بذلك الميثاق على أممهم، وقال في الشفا: قال أبو الحسن القابسي اختص الله تعالى محمدا ص بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية ، قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث الله نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليومنن به، وقيل أن يبيننه لقومه وياخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ص لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه، ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد.

فصل في حفر زمـزم

وهي العين التي فجر الله لإسماعيل وهاجر أمه لما تركهما إبراهيم بالحرم بلا ماء ولا زاد وقد دامت باقية بعد إسماعيل حتى غاضت لما كثر بغي جرهم وكانوا قد خبئوا فيها ما يقدم للبيت من الهدايا.

وحفـر شـيبة لبيـــر زمزمـا عـاداه قومـه بـه فعظمـا
لمـا رأوا لـــه مـن الآيـات مـن أجـل نجلـه الـذي سـياتي

"حفر" مبتدأ خبره "عاداه قومه به"، أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن علي بن أبي طالب قال: بينا عبد المطلب نائم بالحجر أتي فقيل له احفر المضنونه قال وما المضنونه؟ فذهب عنه حتى إذا كان الغد فنام في مضجعه ذلك فأتي فقيل له احفر طيبه قال وما طيبه؟ فذهب عنه فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام فأتي فقيل له احفر زمزم قال وما زمزم؟ قال لا تنزف ولا تذم ثم نعت له موضعها فقام يحفر حيث نعت له فقالت قريش ما هذا يا عبد المطلب؟ قال أمرت بحفر زمزم فلما كشف عنه وبصروا بالطي قالوا يا عبد المطلب إن لنا فيها حقا معك إنها شرب إسماعيل قال ما هي لكم قد خصصت بها من دونكم قالوا أتحاكمنا؟ قال نعم قالوا بيننا وبينك كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب في ركب من بني أبيه وركب معه من كل بطن من أفناء قريش نفر وكانت الأرض مفاوز فيما بين الشام

والحجاز حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد فني ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة ثم استسقوا القوم حتى قالوا ما نستطيع أن نسقيكم وإنا نخاف مثل الذي أصابكم فقال عبد المطلب لأصحابه ما ذا ترون؟ قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته حتى يكون آخركم فيدفعه صاحبه فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم ففعلوا ثم قالوا والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لا نضرب في الأرض ونستقي لعل الله يسقينا لعجز فقال لأصحابه ارتحلوا فارتحلوا فلما جلس على ناقته فانبعثت به انفجرت عيون تحت خفها بماء عذب فأناخوا وشربوا واستقوا إبلهم وأوعيتهم ثم دعوا أصحابهم هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاءوا واستقوا ثم قالوا يا عبد المطلب قد والله قضي لك إن الذي سقاك هذا الماء بهذه المفازة لهو الذي سقاك زمزم انطلق فهي لك فما نحن بمخاصميك، وأخرج البيهقي عن الزهري قال: أول ما ذكر من عبد المطلب جد رسول الله ص أن قريشا فرت من الحرم خوفا من أصحاب الفيل فقال عبد المطلب: والله لا أخرج من الحرم أبتغي العز في غيره فجلس عند البيت حتى أهلك الله الفيل وأصحاب الفيل فرجعت قريش وقد عظم فيهم لصبره وتعظيمه محارم الله فبينما هو على ذلك أتي في المنام فقيل احفر زمزم خبيئة الشيخ الأعظم فاستيقظ عبد المطلب فقال اللهم بين لي فأري مرة أخرى احفر تكتم بين الفرث والدم في مبحث الغراب الأعصم في قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سمي له من الآيات فنحرت بقرة بالمجزرة فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم فنحرت تلك البقرة في مكانها فلما احتمل لحمها أقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب يحفر هناك فجاءته قريش فقالت ما هذا تصنع يا عبد المطلب؟ قال إني لحافر هذا البير حتى إذا أمكن الحفر واشتد عليه الأذى من قريش نذر أن ينحر أحد ولده ثم حفر حتى انفجر الماء ثم بنى عليه حوضا يملؤه ويشرب منه الحجاج فيكسره أناس حسدة من قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب بالنهار حين يصبح فلما أكثروا إفساده دعى عبد المطلب ربه فأري في المنام فقيل قل (اللهم إني لا أحليه لمغتسل ولكن هي لشارب حل وبل) فقام عبد المطلب فنادى بالذي أري ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه أحد إلا رمي في جسده بداء حتى تركوا حوضه وسقايته ثم قال: اللهم إني نذرت لك نحر أحد أولادي وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت منهم فأقرع بينهم فصارت القرعة على عبد الله وكان

أحب ولده إليه فقال عبد المطلب اللهم بين لي هو أحب إليك أم مائة من الإبل ثم أقرع بينه وبين المائة فكانت القرعة على مائة الإبل فنحرها مكان عبد الله، وهذا هو ما ذكر الناظم رضي الله عنه في الأبيات التالية:

لنـذر عاشـر البنيـن أقرعـا ثـم علـى أبـي الأمـين وقعـا
فكـان ذا أحـبهم فـأمرا أن يفتـدى بمائـة فتنحـرا
وسـن هـذا ديـة فـي العـرب وكـان عشـرا وأقـره النبـي

أخرج ابن سعد قال لما رأى عبد المطلب قلة أعوانه في حفر زمزم نذر لئن أكمل الله له عشرة ذكور حتى يراهم أن يذبح أحدهم فلما تكاملوا عشرة ذكور جمعهم ثم أخبرهم بنذره فأجابوه وقالوا أوف بنذرك وافعل ما شئت فضرب بينهم القرعة فخرجت على عبد الله فأخذ يقوده إلى المذبح ومعه المدية فبكى بنات عبد المطلب وقالت إحداهن اعذر في ابنك بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم فضرب عليه وعلى عشرة من الإبل وكانت هي الدية فخرجت على عبد الله فزاد عشرة من الإبل فخرجت على عبد الله فجعل يزيد عشرا عشرا كل ذلك يخرج على عبد الله حتى بلغت المائة فخرجت على الإبل فكبر عبد المطلب والناس وقدم الإبل فنحرها وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل فجرت في قريش والعرب وأقرها رسول الله ص، ويروى أنه لما أراد نحر ابنه عبد الله قال له أخواله من بني مخزوم لا نقبل أن تنحره حتى تأتي بعض الكهان لعله يجد لك مخرجا فذهب إلى كاهنة يستأمرها فأمرته أن يضرب عليه وعلى عشرة من الإبل فإن خرجت عليه يزد عشرة أخرى إلى أن تقع على الإبل فينحرها عنه وقد رضي بذلك ففعل ما أمرته فلم تقع على الإبل حتى بلغت مائة فلما بلغت مائة وقعت عليها ثلاث مرات فنحرها.

إخبار الأحبار والرهبان والكهان بمبعثه ص

الأحبار جمع حبر وهو العالم من أهل الكتاب، والرهبان هم المنقطعون للعبادة، والكهان جمع كاهن وهو الذي يتلقى الأخبار من الجن.

وأخبـر الأحبـار والرهبـان بمبعـث النبـي والكهـان

أخرج الحاكم والبيهقي عن سلمان الفارسي أنه سئل كيف كان أول إسلامه قال كنت يتيما من رام هرمز وكان أبي دهقان رام هرمز وكان أبي يختلف إلى معلم يعلمه فلزمته لأكون في كنفه وكان لي أخ أكبر مني وكان مستغنيا بنفسه وكنت غلاما فقيرا فكان إذا قام من مجلسه تفرق من معه فإذا تفرقوا خرج فتقنع ثوبه ثم صعد الجبل فكان يفعل ذلك غير مرة متنكرا فقلت له أما

إنك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك؟ قال أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء قلت لا تخف قال إن بهذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة يزعمون أنا عبدة النيران وأنا عبدة الأوثان على غير دين قلت فأذهب معك إليهم قال حتى نستأمرهم فاستأمرهم فقالوا جئ به فذهبت معه فانتهيت إليهم فإذا هم ستة أو سبعة وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يا كلون الشجر وما وجدوا فقعدنا إليهم فحمدوا الله وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى ذكروا عيسى فقالوا بعثه وولد بغير ذكر بعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من إحياء الموتى وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى فكفر به قوم وتبعه آخرون ثم قالوا يا غلام إن لك ربا وإن لك معادا وإن بين يديك جنة ونارا إليها تصير وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النار أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم غدونا إليهم فقالوا مثل ذلك وأحسن فلزمتهم وقالوا يا سلمان إنك غلام لا تستيطع ما نصنع فصل ونم وكل واشرب ثم اطلع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده فقلت ما أنا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم أتاهم رجل من كهف فسلم وجلس فحفوا به وعظموه فقال لهم أين كنتم؟ فأخبروه قال ما هذا الغلام معكم؟ فأثنوا علي خيرا وأخبروه باتباعي إياهم فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الأنبياء والرسل وما صنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم فوعظ القوم وأمرهم بالتزام دين عيسى ابن مريم ثم أراد أن يقوم فقلت ما أنا بمفارقك فقال إنك لا تستطيع أن تكون معي فإني لا أخرج من كهفي إلا كل يوم أحد فقلت ما أنا بمفارقك فاتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما ما رأيته إلا راكعا أو ساجدا إلى الأحد فلما خرجنا واجتمعوا إليه تكلم كالمرة الأولى ثم رجع إلى كهفه فلبث فيه ما شاء الله يخرج إليهم كل أحد يعظهم ويوصيهم فخرج إليهم في أحد فوعظهم وأوصاهم ثم قال يا هؤلاء إني كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي وإني لا عهد لي بهذا البيت منذ كذا ولا بد لي من إتيانه فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى انتهينا إلى بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان يقول لي يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج بتهامة علامته أنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فأما أنا فإني شيخ لا أحسبني أدركه فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه قلت وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه قال وإن أمرك إلى آخر القصة وهي في الخصائص للسيوطي. وأخرج ابن إسحاق والبيهقي من طريقه قال حدثني

عاصم بن عمر عن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا: لم يكن من العرب أعلم منا بشأن رسول الله ص كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه دونكم فنقتلكم قتل عاد وإرم ، فلما بعث رسول الله ص اتبعناه وكفروا به فأنزل الله فيهم: {وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به...}الآيات. وأخرج أبو نعيم والبيهقي عن علي الأزدي قال: كانت اليهود تقول اللهم ابعث هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس، وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كانت العرب تسمع من أهل الكتاب أن نبيا يبعث من العرب اسمه محمد من بلغه ذلك من العرب سمى ولده محمدا طمعا في النبوة.

وإذ تـــزوج أبـــوه آمنـــــه غـارت عليـه بنـت مـر الكاهنـــه

أبوه ص هو عبد الله بن عبد المطلب وأمه هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وهو الجد الجامع لأبيه وأمه ص وما ذكره الناظم رضي الله عنه هو ما أخرج أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال: لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل "تبالة" متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل فقال:

أمـــا الحـــرام فالممـــات دونـــــه والحـــل لا حـــل فأستبينـــــــــه
فكيـف لـي الأمـر الـذي تبغينـــــــه يحمـــي الكـــريم عرضـــه ودينـــه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب فأقام عندها ثلاثا ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الخثعمية فأتاها فقالت: ما صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب فأقمت عندها ثلاثا قالت: إني والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في وأبى الله إلا أن يصيره حيث أحب ، وأخرج ابن سعد عن هشام بن الكلب عن أبي الفياض الخثعمي معضلا وفيه أنه لما رجع إليها قال: هل لك فيما قلت؟ قالت: قد كان ذلك مرة فاليوم لا، فذهبت مثلا.

ومـــات عبـــد الله بالمدينـــــه ولـــم تضـــع آمنـــة الأمينـــــه
وعمـــره خمســـا وعشـــرين بـــدا ووالـــداه غيـــره لـــم يلـــدا

أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب وغيره أن والد رسول الله ص مات بالمدينة مرجعه من الشام في تجارة ورسول الله ص حمل ولعبد الله يوم توفي خمس

وعشرون سنة، قال الواقدي هذا أثبت الأقاويل في الروايات في وفاته وسنه، وقال الواقدي: المعروف عند أهل العلم أن آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله ص قاله في الخصائص، وقال القسطلاني في المواهب لم يولد لأبويه ص غيره فلم يشركه في ولادة أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية.

وقد رأت له مراء عددا وأمرت بأن يسمى أحمدا

فاعل "رأت" ضمير يعود على أمه ص آمنة بنت وهب، يعني أنها رأت في منامها زمن حملها به ص كثيرا من المرائي، فمن ذلك ما أخرجه أبو نعيم عن بريدة وابن عباس قال: رأت آمنة في المنام (وقيل لها إنك قد حملت خير البرية وسيد العالمين وإذا ولدته فسميه أحمد ومحمدا وعلقي عليه هذه) فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها (أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، وكل خلق رائد، من قائم وقاعد، عن السبيل عاند، على الفساد جاهد، من نافث وعاقد، وكل خلق مارد، يا خذ بالمراصد، في طرق الموارد، أنهاهم عنه بالله الأعلى وأحوطه منهم باليد العليا والكف الذي لا يرى، يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم، لا يطردوه ولا يضروه في مقعد ولا منام ولا سير ولا قيام أول الليالي والأيام) كذا في الخصائص للسيوطي.

وعند وضعها أضا نور سطع ودنت النجوم أو كادت تقع

أخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عثمان بن أبي العاص قال: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة رسول الله ص ليلة ولدته قالت فما شيء أنظر إليه إلا نور وإني لأنظر إلى النجوم تدنوا حتى إني أقول ليقعن علي فلما وضعته خرج منها نورا أضاء له البيت والدار حتى جعلت لا أرى إلا نورا، وأخرج أحمد والطبراني عن أبي أمامة قال: قيل يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: "دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام" قال السيوطي في الخصائص قلت قوله حين حملت هي رؤيا وقعت في الحمل وأما ليلة الولادة فرأت ذلك رؤيا عين، كما روي عن ابن إسحاق كانت آمنة تحدث أنها أوتيت حين حملت فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمدا.

مقطوع سرة ومختونا ولد والأم ما يعرو النساء لم تجد

أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم عن أنس أن رسول الله ص قال: "من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوءتي" صححه الضياء

في المختارة ، وأخرج ابن سعد عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: ولد النبي ص مختونا مسرورا وأعجب ذلك عبد المطلب وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن ، وقال الحاكم في المستدرك: تواترت الأخبار أنه ص ولد مختونا، قوله: "والأم ما يعرو..الخ" "الأم" مبتدأ خبره "لم تجد" ويعرو بمعنى يلحق، يعني أن ما يلحق النساء من المشقة في الحمل والولادة لم يلحقها ببركته ص، قال ابن سعد أنبأنا الواقدي حدثني علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت: كنا نسمع أن رسول الله ص لما حملت به آمنة كانت تقول (ما شعرت أني حملت به ولا وجدت ثقله كما تجد النساء إلا أني قد أنكرت رفع حيضتي وربما كانت ترتفع فتعود وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت بأنك حملت؟ فقلت ما أدري فقال إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين) – انظر الخصائص للسيوطي-.

أول مـا فـاه بـه فـي مهـــــده أن كبـر المـولى العلـي بحمـــده

المهد الفراش أو الموضع المهيأ للصبي المعد له ، قال ابن حجر: جاء في سير الواقدي أن النبي ص تكلم أول ما ولد، وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة وأن أول كلام تكلم به أن قال: "الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا".

وعنـدما وضـع فـي الأرض سـجد ومرضـعات سـيد الأنـام قـد
أسـلمن أمـه والإحيـا بينـا حليمـة ثويـب أم أيمنـا

أخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن آمنة بنت وهب كانت تحدث عن ولادته ص وقالت في حديث طويل: فأخذني المخاض فولدت محمدا ص فلما خرج من بطني نظرت فإذا أنا به ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل.. إلى آخر الحديث انظر الخصائص للسيوطي، قوله: "ومرضعات سيد الأنام..الخ" مبتدأ خبره "قد أسلمن" ، قوله: "أمه" خبر مبتدأ محذوف وتقديره (وهن) ضمير المرضعات، فمرضعاته ص أربع: أولاهن أمه وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب تجتمع فيه مع عبد الله بن عبد المطلب - كما سبق- ، قوله: "والإحيا بينا" قال ابن حجر الهيثمي في شرح قول الهمزية:

لم تزل في ضمائر الكون تختا ر لـــك الأمهـــات والآبـــاء

ما نصه في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه أن الله تعالى أحيا أبويه ص له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له ص ، قال في

شرح الشمائل وفائدة إحيائهما له مع أن أهل الفترة لا يعذبون إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة لأن غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب وأما مراتب الثواب فهم بمعزل عنها، قال ابن حجر العسقلاني في كتابه "الميزان" أن حديث إحياء أمه في حجة الوداع كذب سنده ومتنه ، وقال سيدي المهدي الفاسي في شرحه لدلائل الخيرات الصواب ضعفه لا وضعه، واتفق المحدثون على عدم ارتفاعه عن درجة الضعف اهـ. قال في شرح الشمائل: وانظر هذا الاتفاق مع ما قاله ابن حجر الهيثمي مع أنه حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه. قلت وعلى تسليم أنه حديث ضعيف فضعفه إنما هو من جهة الصناعة الحديثية وأما نجاة أبويه وإيمانهما بل وحصول أعظم منازل أهل الإيمان لهما فهو الاعتقاد يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه فإذا كان الواحد من ذريته بل الواحد من صحابته بل الواحد من أمته ص يناله من فضل الله ورحمته بواسطته ص وبركته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدث عن البحر ولا حرج فكيف لا ينال أبواه ص من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر كيف وقد من الله عليهما بمزية خروجه من بينهما رحمة للعالمين والمعروف أن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه منقبة وأيد بعضهم الحديث بالقاعدة المقررة التي اتفق عليها الأئمة (أنه ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي النبي ص مثلها وقد أحيا الله لعيسى الموتى من قبورهم فلا بد أن يكون له ص مثل ذلك ولم يرد من هذا النوع إلا هذه القصة) والله تعالى أعلم. الثانية أي من مرضعاته هي حليمة بنت أبي ذؤيب امرأة من بني سعد بن بكر، وصحح ابن حبان وغيره إسلامها وإسلام ابنتها الشيماء، قال المنذري: وقد ألف مغلطاي في إسلام حليمة مؤلفا حافلا وكان زوجها الحارث بن عبد العزى من بني سعد بن بكر بن هوازن. والثالثة هي ثويبة وقد كانت أمة لأبي لهب عمه ص وأعتقها لما بشرته بولادته ص وكانت من أول مرضعاته ولم يختلف في إسلامها. والرابعة هي أم أيمن يقال لها بركة وهي مولاة له ص أو لجده عبد المطلب وهي التي كانت تحضنه بعد وفات أمه وهي أم أيمن بن عبيد وكانت تكنى به وأم أسامة بن زيد.

وكان في المهد يناغيه القمر كما يميل معه في الشجر

يناغيه أي يحادثه ملاطفا يقال ناغت الأم صبيها إذا لا طفته وشغلته بالمحادثة والملاعبة ، أخرج البيهقي والخطيب عن العباس بن عبد المطلب قال: (قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رايتك في

المهد تناغي القمر وتشير إليه بإصبعك فحيث أشرت إليه مال، قال إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش) ذكره بنيس في شرح الهمزة والسيوطي في الخصائص. قوله: "كما يميل.. الخ" الفيء الظل بعد الزوال وربما أطلق على غيره.

وإذ مضت حليمة بالمصطفى أقبل ثدياها بما اثنين كفى
وقد رأت له من الخيرات في رضعه جما من الآيات

أخرج ابن إسحاق وابن راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر بن أبي طالب قال: حدثت حليمة بنت الحارث أم رسول الله ص التي أرضعته قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء على أتان لي، ومعي صبي لنا، وشارف والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع مع صبينا ذاك، لا نجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة فو الله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ص فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، فو الله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله إني لا أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي والله يا حليمة إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تري ما بتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين أخذناه قالت فلم يزل الله يزيدنا من الخير ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا، فوالله لقطعت أتاننا بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى أن صواحباتي يقلن ويلك أهذي أتانك التي خرجت عليها معنا فأقول نعم فيقلن والله إن لها لشأنا حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعا لبنا وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وإن أغنامهم لتروح جياعا حتى إنهم ليقولون لرعاتهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم حليمة فاسرحوا معها فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيروحون أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا، فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شبابا لا تشبه الغلمان فو الله ما بلغ السنتين حتى كان غلاما جفرا إلى آخر حديثها. – انظر الخصائص للسيوطي-.

يعاف غير ثديه لعلمه أن له مشاركا في أمه

ذكر ابن سبع في الخصائص أن حليمة قالت في حديثها عنه ص كنت أعطيه الثدي الأيمن فيشرب منه ثم أحوله إلى الأيسر فيأبى أن يشرب منه، قال السيوطي قال بعضهم ذلك من عدله لأنه علم أن له شريكا في الرضاعة.

ثمت ماتت أمه وهو ابن خمس سنين وبكتها الجن

أخرج أبو نعيم من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: أتيت آمنة أم رسول الله ص في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام فودي غداة الضرب بالسهام
بمئة من إبل سوام إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام.

ثم قالت: كل حي ميت ، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا، ثم ماتت، فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرة الأمينه ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه| صارت لدى حفرتها رهينه

فائدة: قال ابن الطراح: رأيت في كتاب "الترقيص" لأبي عبد الله محمد بن المعلى الأزدي من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي ص:

يا رب إذ أعطيته فأبقه وأعله إلى العلى وأرقه
وادحض أباطل العدى بحقه

أخرى: أخرج ابن سعد عن الزهري قال قدم وفد هوازن على النبي ص وفيهم عم له من الرضاعة يسمى أبا ثروان فقال: يا رسول الله لقد رأيتك مرضعا فما رأيت مرضعا خيرا منك ، ورأيتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك ، ورأيتك شابا فما رأيت شابا خيرا منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير اهـ من الخصائص للسيوطي.

فصل في مولده ص

يـا رب يـا مـن لـم يـزل صـل علـى سـلامك النـامي علـى نـور عـلا
سـطع عـام الفيـل بعـد غـرة ربيـع الأول لثنتـي عشـرة
فـي يـوم الاثنـين بمكـة التـي أيضـا بهـا مبعثـه فجلـت

أشار الناظم رضي الله عنه في هذه الأبيات إلى ميلاده ص الزماني والمكاني وملخص ذلك أنه ص ولد بمكة المشرفة في دار في الحومة المعروفة ب"زقاق المدكك" ويقال: زقاق المولد، ويقال: زقاق المحجر، وقد وهبها رسول الله ص فيما بعد لعقيل بن أبي طالب ولم تزل بيده إلى أن مات وباعها ابنه لمحمد بن يوسف أخي الحجاج حتى حجت الخيزران جارية المهدي أم هارون الرشيد، وقيل زبيدة زوجته فجعلتها مسجدا، وكان مولده ص عام الفيل، أي عام قدوم أبرهة بجيوشه ومعهم الفيلة لهدم الكعبة القصة التي أشار إليها القرآن في سورة "الفيل"، فقد ولد ص في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه وكان ذلك يوم الاثنين الموافق للواحد والعشرين من شهر نيسان إبريل عام ثمان وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر، وقول الناظم في البيت الأول "يزل" هو بضم العين مضارع زال زوالا تحول ، و"نور" بالتنكير: المراد به محمد ص، قال تعالى: {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين}، و"علا" آخر البيت فعل ماض، وقوله: "فجلت" الضمير يعود إلى مكة يعني فجلت بكونها ولد فيها ص وبعث ، أي أوحي إليه ، ولبعضهم في هذا المعنى:

ألا يـا رسـول الله شـرفت مكـة وطيبـة لمـا صـرت طـرز حلاهمـا
حللـت بهـذي مـرة ثـم مـرة بهـذي فطـاب الواديـان كـلاهما

وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: {لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد} الآية.

ثم شرع الناظم رحمه الله يتكلم عن بدء البعثة فقال:

فصل في مبعثه ص

وكـــان أول الـــذي بـــه بـــدي ... مـــن ذا مـــراء نزهـــت عـــن فنـــد
ســـتة أشـــهر وبعـــد اعتكفـــا ... شـهرا لـدى غـار حـراء المصـطفى
فكـــان يمضـــي شـــأنه التعبـــد ... عليـــه عنـــده ليـــال عـــدد
فجـاءه جبريـل رأس الأربعـين ... فاسـتقرأ الهـادي جبريـل الأمـين
فقـــال مـــا أنـــا بقـــارئ فضـــم ... أحمـــد هكـــذا ثلاثـــا أي ضـــم
فقـال باسـم ربـك الـذي خـلق ... خلـق ذا الإنسـان جـل مـن علـق
فجـا بهـا يرجـف ذا شـجون ... لأهلـــــه وقـــــال زملـــــوني
لأن ذا خـــالف عـــادة البشـــر ... فـــأخبرت خديجـــة بـــذا الخبـــر
ورقـــة وكـــان قـــد تنصـــرا ... فســـره ذلـــك ثـــم أخبـــرا
بأنـــه النـــاموس آتـــي موســـى ... يـــا ليتنـــي بهـــا أقيـــك البوســـا

"ذا" في البيت الأول اسم إشارة المراد به الوحي، و"مراء" جمع مرأى والمراد به الرؤيا في النوم ، والناظم رحمه الله أتى في الأبيات بمضمون حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي ، وقد رواه البخاري فقال: (حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ص من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلوا بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم.. فرجع بها رسول الله ص يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني.. زملوني.. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة فأتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى – ابن عم خديجة- وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عسي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ذا ترى؟ فأخبره رسول الله ص

خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ص: أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي).

وقول الناظم رضي الله عنه "ستة أشهر" منصوب على الظرفية والعامل فيه قوله: "مراء" في البيت قبله يعني أن مدة تلك المرائي الصادقة دامت ستة أشهر وهو ما رواه البيهقي كما في فتح الباري.

وقد بدئ بها لتكون تمهيدا وتوطئة لليقظة – قاله ابن حجر- وقوله: "وبعد اعتكفا شهرا" أي وبعد تلك الفترة التي كان يرى المرائي حبب إليه الخلاء فاعتكف شهرا في غار حراء ، وهو الجبل المعروف ب"جبل النور" بالشمال الشرقي من مكة، والشهر الذي اعتكفه فيه هو "رمضان" قاله ابن حجر. وتعبده فيه كان بالحنيفية وهي دين إبراهيم، ويروى قول عائشة رضي الله عنها في الحديث "يتحنث" يتحنف – بالفاء- والله تعالى أعلم.

ثم بدأ الناظم رحمه الله في ذكر خصائصه عليه الصلاة والسلام.

القسم الأول: فيما اختص به ص

يـــرى كمـــا يـــراه مـــن أمـــام وراءه والضـــوء كالظـــــــلام

"وراءه" مفعول "يرى" أو منصوب بعد نزع الخافض و"ما" موصول حرفي مؤولة بالمصدر هي وصلتها، أي كرؤيته ، أي يرى من وراءه كرؤيته من أمامه، فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ص قال: "هل ترون قبلتي ها هنا فو الله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري" وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ص قال: "أيها الناس إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي"، قال العلماء هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ص انخرقت له فيه العادة ثم يجوز أن يكون برؤية عينيه انخرقت له فيه العادة أيضا فكان يرى بهما بدون مقابلة، لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا تشترط فيها المقابلة عقلا، ولذا حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وقيل كانت له ص عين خلف ظهره يرى بها من ورائه دائما، وقيل كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط يبصر بهما لا يمنعهما ثوب ولا غيره. قوله: "والضوء..الخ" يعني أنه ص يرى في الظلماء كما يرى في الضوء، أخرج

ذلك البيهقي وابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه البيهقي عن ابن عباس – انظر الخصائص للسيوطي-.

لـــم يتثـــاءب قـــط أو يحتلـــــم وقلبـــه فـــي نومـــه لـــم ينـــــم

أخرج البخاري في التاريخ وابن أبي شيبة في المصنف وابن سعد عن يزيد بن الأصم قال: ما تثاءب النبي ص قط، وأخرج ابن أبي شيبة عن مسلمة بن عبد الملك قال: ما تثاءب نبي قط، ومما يقال: أن كثرة التثاؤب من الشيطان، والله تعالى أعلم.

والقمـــل لا يوذيـــه والركـــوب لا يـــروث مـــا ركبـــه مبجـــــلا

القمل معروف وهو من هوام الرأس لا يؤذيه ، أي لا يتعرض له بقرض ولا عض كما يفعل بالناس، وما ذكره قاله ابن سبع في الخصائص ، قوله: "والركوب" فعول بمعنى مفعول مبتدأ خبره "لا يروث"، و"ما" ظرفية، أي مدة ركوبه له، و"مبجلا" بفتح الجيم مفعول لأجله، أي تبجيلا له ص.

والأرض تنشـق لمـا منـــه خـرج مـع أنـــه يفـــــوح مـن ذاك أرج

أخرج البيهقي من طريق حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ص إذا دخل الغائط دخلت في إثره فلا أرى شيئا إلا أني كنت أشم رائحة الطيب، فقال ما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة فما خرج منها من شيء ابتلعته الأرض، قال البيهقي: هذا الحديث من موضوعات ابن علوان، قال السيوطي: كلا ليس كما قال، فإن الحديث له طريق آخر عن عائشة رضي الله عنها، قال ابن سعد: أخبرنا إسماعيل بن أبان الوراق، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن زاذان عن أم سعد عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله تأتي الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى، قال: أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ولا يرى منه شيء، قال: وللحديث طرق أخر، عن عائشة وذكر بعضها – انظر الخصائص- و"الأرج" محركة توهج ريح الطيب كالأريج.

والبـــول للـــداء الـــدوا ولـــم يقـــع علـــى ثيابـــه ذبـــاب وانصـــــــدع
إيـــوان كســـرى عنـــد مولـــد النبـــي وارتـــــاع بـــــالمرئي أي رهـــــب
وانـــتكس الأصـــنام ثـــم غـــاض مـــا وخمـــدت نـــار وصينـــت الســـما
صـــونا شـــديدا عنـــد بعـــث الحاشـــر ورد عمـــــا رام كـــــل خاســـــر

قوله: "والبول للداء الدوا" يعني أن شرب بوله ص شفاء من الأمراض ، فقد أخرج الحسن بن سفيان في مسنده وأبو يعلى والحاكم والدار قطني وأبو نعيم

عن أم أيمن قالت: قام النبي ص من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها، فلما أصبح الصبح أخبرته فضحك، وقال: إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبدا، وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرت أن النبي ص كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها "بركة" كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذي كان في القدح؟ قالت: شربته، قال: صحة يا أم يوسف، وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط، حتى كان مرضها الذي ماتت فيه، قال ابن دحية: هذه قضية أخرى غير قضية أم أيمن وبركة أم يوسف غير بركة أم أيمن. قوله: "ولم يقع على ثيابه ذباب" ذكر القاضي عياض في الشفا والعزفي في مولده أن من خصائصه ص أنه كان لا ينزل عليه الذباب، وذكره ابن سبع في الخصائص بلفظ أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط. قوله: "وانصدع إيوان كسرى..الخ" الإيوان بناء عظيم متقن محكم يعد للملوك والحكام، وانصدع أي انكسر، بل سقط منه أربع عشرة شرفة ، وقد كان يظن أنه لا تهده إلا نفخة الصور، وكسرى لقب لملك الفرس، أخرج أبو إسحاق وأبو نعيم عن وهب بن منبه قال: لما ولد النبي ص أصبح كسرى وقد انقصمت طاق ملكه وانخرقت عليه دجلة فلما رأى ذلك أحزنه وقال: انقصمت طاق ملكي وانخرقت علي دجلة انكسر الملك، ثم دعا الكهنة والمنجمين والسحرة، فقال: انظروا في هذا الأمر فنظروا فأخذ عليهم بأقطار السماء وأظلمت الأرض ولكعوا في علمهم فلا يمضي لساحر سحره ولا لكاهن كهانته ولا لمنجم نجومه وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقا نشأ من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه فإذا روضة خضراء فقال فيما يعتاف لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض قال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء، وإنه لنبي يبعث يسلب هذا الملك ويكسره. وأخرج البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في الهواتف وابن عساكر من طريق أبي أيوب يعلى بن عمران عن مخزم بن هانئ المخزومي عن أبيه وأتت له مئة وخمسون سنة ، قال لما كانت الليلة التي ولد فيها محمد ص ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف عام وغاضت بحيرة ساوة، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عنه تشجعا فلما عيل صبره

رأى ألا يستر ذلك عن وزراءه فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه وأخبرهم بما رأى فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم الكتاب بخمود النار فازداد غما إلى غمه، قال له الموبذان: وأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فقال: أي شيء يكون يا موبذان؟ قال: حادث يكون من ناحية العرب إلى آخر الحديث، انظره في الخصائص الكبرى. قوله: "وانتكس الأصنام" أخرج الواقدي وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما بعث رسول الله ص أصبح كل صنم منكسا، فأتت الشياطين إبليس فأخبروه، فقال: هذا نبي بعث فالتمسوه، فقالوا: لم نجده فقال: أنا صاحبه، فخرج يلتمسه فوجده بمكة فخرج إلى الشياطين فقال: قد وجدته معه جبريل. وأخرج الخرائطي في الهواتف عن عروة أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه فدخلوا عليه ليلة فرأوه مكبوبا على وجهه فأنكروا ذلك وردوه إلى حاله فلم يلبث أن انقلب انقلابا عنيفا فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة، فقال عثمان بن الحويرث: إن هذا لأمر قد حدث، وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ص، فجعل يقول شعرا:

أيا صنم العيد الذي صف حوله ... صناديد وفد من بعيد ومن قرب
تنكست مقلوبا فمالك؟ قل لنا ... أذاك لشيء أم تنكست للعب؟
فإن كان من ذنب أسأنا فإننا ... نبوء بإقرار ونلوي على الذنب
وإن كنت مقلوبا تنكست صاغرا ... فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال: فأخذوا الصنم وردوه لحاله فلما استوى هتف هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول:

تردى لمولود أنارت لنوره ... جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب
وخرت له الأوثان طرا وأرعدت ... قلوب ملوك الأرض طرا من الرعب
ونار جميع الفرس باخت وأظلمت ... وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنها ... فلا مخبر منهم بحق ولا كذب
فيا لقصي ارجعوا عن ضلالكم ... وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحب

قوله: "وصينت السما.. الخ" الحاشر من أسمائه ص و"صينت" حرست من الجن، وقد كانوا يصعدون فيسترقون السمع ، فقد أخرج أحمد عن ابن عباس كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا، فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا، وكان النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما

بعث ص كان أحدهم لا ياتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك لإبليس فقال: ما هذا إلا لأمر عظيم قد حدث، فبث جنوده فإذا بالنبي ص يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض، رواه النسائي وصححه الترمذي، وقد أخبر القرآن بذلك حكاية عن الجن: {وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} الآية. وأخرج البيهقي من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع فلما بعث محمد ص حرست السماء حرسا شديدا ورجمت الشياطين، وعن ابن عباس أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماوات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة ، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد ص منعوا من السماوات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب وهو شعلة من النار فلا تخطئ أبدا فمنهم من يقتل ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري، فعلم منه أن الكوكب لا ينفصل عن محله وإنما المنفصل تلك الشعلة، وقيل ينفصل ثم يرجع إلى مكانه، قال في الكشاف: الصحيح أن الرجم كان قبل المبعث ، وقد جاء ذكره في شعر الجاهلية، ولكن لما بعث محمد ص كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلا والله تعالى أعلم.

فصـــل:

ومـن عظـيم مالـــه أن لا يـرى ظلالــه شمسـا بـدا أو قمـــــرا

يعني أن من عظيم ما له ص من الخصائص والكرامات كونه لا يكون له ظل في الشمس ولا في القمر و"شمسا" في البيت حال من فاعل "بدا" وهو البادي المعلوم من "بدا" أي بدا البادي حال كونه شمسا أو قمرا، ويصح أن يكون الفاعل هو ضميره ص فيكون التقدير بل بدا هو ص حال كونه شمسا أو قمرا، أخرج الحكيم الترميذي عن ذكوان أن رسول الله ص لم يكن له ظل في شمس ولا قمر، وقال ابن سبع من خصائصه ص أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان نورا إذا مشى في الشمس أو القمر لا ينظر له ظل، قال بعضهم ويشهد له قوله ص في دعائه "واجعلني نورا" اهـ.

ويرتـوى بريقـه العـذب الذكـــي ودمــه يشـرب للتبـــــــــــرك

يعني أن ريقه ص يبلغ فيه الري من العطش والجوع كاللبن، فقد أخرج البيهقي وأبو نعيم عن رزينة مولاة رسول الله ص أن رسول الله ص يوم عاشورا كان يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة رضي الله عنها فيتفل في أفواههم ويقول للأمهات لا ترضعنهم إلى الليل فكان ريقه يجزيهم، وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر قال: بينما الحسن مع رسول الله ص إذ عطش فاشتد ظمأه فطلب له النبي ص الماء فلم يجده فأعطاه لسانه فمصه حتى روي، قوله: "ودمه.. الخ" يعني أنه يجوز شرب دمه ص تبركا وذلك لأنه لم ينه من فعل ذلك فقد أخرج البزار وأبو يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن الزبير أنه أتى النبي ص وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد فلما رجع قال يا عبد الله ما صنعت به قال جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس، فكان الناس يرون أن القوة التي به من ذلك الدم، وروى أبو إسحاق وغيره أن أبا أبي سعيد الخدري ازدرد من دمه ص يوم أحد فقال ص من خالط دمي دمه حرم جسده على النار.

وبغضه الأصنام والعفة عن ما نحوه ذوو الجهالة ركن
حتى التعري وأظل بالغمام ونحوه الماحي المهيمن السلام

يعني أن من خصائصه ص وفضائله كونه بغضت إليه الأصنام فقد أخرج ابن سعد وأبو نعيم وغيرهما من طريق عكرمة عن ابن عباس أن أم أيمن حدثته أن صنما يحضره قريش يوما في السنة وأبو طالب يحضره معهم فكان يطلب من رسول الله ص الحضور معه فيأبى فيغضب أبو طالب وغضبت عماته ص وقلن لا تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فذهب عنهم وغاب ما شاء الله ثم رجع إليهم فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك قال أخشى أن يكون بي لمم قلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت؟ قال كلما دنوت من الصنم تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه فما عاد إلى عيد لهم أبدا حتى تنبأ اهـ. بالمعنى، وأخرج أحمد عن عروة بن الزبير قال حدثني جار لخديجة بنت خويلد قال: سمعت رسول الله ص يقول لخديجة أي خديجة والله لا أعبد اللات أبدا والله لا أعبد العزى أبدا، قوله: "والعفة عن.. الخ" يعني أن من خصائصه ص العفة عما تركن إليه الجهلة والشباب كالسمر مع النساء ونحو ذلك فقد أخرج ابن راهويه في مسنده وابن إسحاق والبزار والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ص

يقول ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله منهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان فقال بلى فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير قلت ما هذا؟ فقيل تزوج فلان فلانة فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت؟ قلت لا شيء وأخبرته ، ثم قلت له ليلة مثلما قلت في تلك الليلة فدخلت مكة فسمعت مثل الذي سمعت في السابقة وكان بي ما كان فيها فوالله ما هممت بشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته قال ابن حجر اسناده حسن متصل ورجاله ثقات، قوله: "حتى التعري" يعني من شدة عفته عما ذكر كان يكره أن يتعرى أي أن يكشف من جسده ما يستر عادة فقد أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال: لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ص وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي ص اجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال إزاري فشد عليه إزاره، وأخرج الحاكم وصححه وأبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبي ص ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ إزاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتاني آت عليه ثياب بيض فقال استتر فكان أول شيء رأى رسول الله ص من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام ويفهم من هذا والذي قبله أنه كان محفوظا من ذلك مع أنه مجبول على كراهيته، أخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت ذلك من رسول الله ص ولا رأى مني تعني العورة، قوله: "وأظل بالغمام..الخ" هو بالبناء للفاعل فاعله المهيمن والماحي مفعول به لأظل وهو من أسمائه ص، وروى أبو نعيم وابن عساكر أن أخته ص من الرضاعة الشيماء بنت حليمة رأته ص في الظهيرة وغمامة تظله، وروي عن ميسرة غلام خديجة الذي كان يرافقه ص في تجارتها أنه كان يرى ملكين يظللانه إذا كان الحر، وروى أبو نعيم أن خديجة رضي الله عنها كانت في علية لها فرأت ملكين يظللانه حين قدومه هو وميسرة مكة وهو ص على بعيره.

ومثــل أربعــين فــي الجمـــاع وشــدة الــبطش بــلا نـــــزاع

يعني أن من عظيم ما له من الخصال الحميدة أيضا كونه له قوة أربعين رجلا في الجماع وفي شدة البطش فقد أخرج ابن سعد أخبرنا عبد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله ص: أتاني

جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجل في الجماع، وأخرج أيضا عن ابن عمر أن النبي ص قال: أعطيت قوة أربعين رجلا في البطش والنكاح، وأخرج الطبراني والإسماعيلي في معجمه وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله ص: فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش، هذا وقد قال عياض في الشفا: إن النكاح متفق على التمدح بكثرته عادة وشرعا فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية ، وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس: أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه ص، وقد قال ص: تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم، ونهى عن التبتل حتى أن العلماء لم يروا حبه مما يقدح في الزهد، قال سهل بن عبد الله: حببن إلى سيد المرسلين كيف يزهد فيهن، ونحوه لابن عيينة، وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات كثيري السراري إلى أن قال أي القاضي عياض وكان ص ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح له من الحرائر ما لم يبح لغيره، وقد روينا عن أنس أنه ص كان يدور على نسائه في الساعة من اليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال أنس: وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع.

وكـان أقنـع الأنـام فـي الغـذا تشـبعه الحـزة مـع قـوة ذا

"الغذاء" ككساء ما به نماء البدن وقوامه من طعام وشراب و"الحزة" القطعة من اللحم وهذا البيت والذي قبله يشير بهما الناظم رضي الله عنه إلى ما قاله القاضي عياض من أن ما تدعوا إليه ضرورة الحياة على ثلاثة أضرب: ضرب الفضل والتمدح بكثرته كالنكاح كما تقدم، وضربان: الفضل والتمدح بقلتهما كالغذاء والنوم، فلم تزل العرب تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة، جالب للأدواء وخثارة النفس وامتلاء الدماغ، وقلته دليل القناعة وملك النفس وقمع الشهوة، مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن، كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة، مسبب للكسل والعجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته، وكان ص قد أخذ من هذين بالأقل فكان أقنع الناس في الغذاء ، هذا ما لا يدفع من سيرته، وهو الذي أمر به وحض عليه، فقد روى أبو نعيم عن المقدام ابن معد يكرب أنه ص قال: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث

لشرابه وثلث للنفس"، وأخرج أبو نعيم أيضا عن أم أيمن قالت: ما رأيت رسول الله ص شكا جوعا ولا عطشا، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: لا أريد أنا شبعان. وأخرجه ابن سعد من وجه آخر، وفيه: لا صغيرا ولا كبيرا، قول الناظم: "مع قوة ذا" يعني أنه ص لم تؤثر قلة أكله وشرابه على نماء بدنه وقوته، بل كان ينموا بدنه ويقوى كغيره ممن ليس كذلك، بل أنمى وأقوى ص.

والله ضم ذكره لذكره وشرعه نسخ شرع غيره
وشرعه مؤبد لا ينقل والانبيا أتباعه لا تعدل

أخرج الحاكم والبيهقي والطبراني في الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ص: "لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب بحق محمد لما غفرت لي، قال وكيف عرفت محمدا؟ قال إنك لما خلقتني ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: "لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك". قوله: "وشرعه نسخ.. الخ" قال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه}، وقال: {ليظهره على الدين كله}، ففي هاتين الآيتين دليل على أن شرعه ص ناسخ شرع غيره من الأنبياء، وقال تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام}، وقال ص: "بعثت إلى الناس كافة"، قوله: "والأنبيا..الخ" قال شيخ الدين السبكي في كتابه "التعظيم والمنة في {لتومنن به ولتنصرنه}": في هذه الآية من التنويه بالنبي ص وتعظيم قدره ما لا يخفى وفيها مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا إليهم، فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته أيضا، ويكون قوله: "بعثت إلى الناس كافة" لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضا ، ويتبين بذلك معنى قوله ص: "كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد" وأن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل إلى هذا المعنى، لأن علم الله محيط بجميع الأشياء ووصف النبي ص في ذلك الوقت بالنبوة ينبغي أن يفهم منه أمر ثابت له في ذلك الوقت، ولهذا رأى آدم اسمه مكتوبا على العرش "محمد رسول الله" فلا بد أن يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت ، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير له في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد، لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنبي ص لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاما لأمته

ليعرفوا قدره عند الله تعالى فيحصل لهم الخير بذلك .. إلى آخر كلام الإمام السبكي، وقال في موضع آخر في الكلام على هذه الآية: وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء، ولعل أيمان البيعة أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي ص من ربه سبحانه وتعالى، فإذا عرفت ذلك فالنبي ص هو نبي الأنبياء، ولهذا أظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل وإنما أمره موقوف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الأمر راجع إلى عدم وجودهم لا إلى عدم اتصافهم به والله تعالى أعلم.

وفي رضى الداعي رضى المعبود وكان شطر ركني التوحيد

المراد بالداعي محمد ص فهو الداعي إلى الله تعالى بالأصالة قال تعالى: {إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا} يعني أن في رضاه ص رضى المعبود وهو الله تبارك وتعالى، روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ص: من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته، فقد قال: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}، وقال: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}. "وكان شطر... الخ" يعني أن اسمه ص كان نصف ركني التوحيد، فكلمة الشهادة جملتان: إحداهما لله تعالى ، والأخرى تتعلق به ص.

وأقسم الله بعمره وقد جعله حبيبه الله الصمد

قال الله تعالى: {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون} قال القاضي عياض: اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله ﷻ بمدة حياة محمد ص وأصله ضم العين من العمر لكنه فتح لكثرة الاستعمال ومعناه: "وبقائك" يا محمد، وقيل "وعيشك"، وقيل "وحياتك"، وفي الآية نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله تعالى وما برأ وما ذرأ نفسا أكرم عليه من محمد ص وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره. قوله: "وقد جعله حبيبه.. الخ" لا خلاف أنه اختص ص بالمحبة والخلة، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، واختص على ألسنة المسلمين بحبيب الله، روى البخاري قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح حدثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي ص أنه قال: "لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا"، وفي حديث آخر: "وإن صاحبكم خليل الله" ، وعن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب النبي ص

ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ إبراهيم خليلا من خلقه، وقال آخر: ما ذا بأعجب من موسى كلمه الله تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: "قد سمعت كلامكم وعجبكم: إن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر"، وعن أبي هريرة: فهو مكتوب في التوراة "حبيب الرحمن".

وشــق صــدره ثلاثــا والنســب مــن آدم مطهــر ومنتخــب

الشق الأول هو الذي وقع بعد أن ردته أمه آمنة مع مرضعته حليمة بشهرين، قالت حليمة: فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة بقرب بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه فقال: أي بني ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، ورجعنا به إلى أمه مخافة أن يكون قد أصيب، وعند أبي يعلى وأبي نعيم من حديث شداد ابن أوس أن رسول الله ص قال: كنت مسترضعا في بني سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا برهط ثلاثة معهم طست من الذهب ملئ ثلجا فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه ، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه، فختم به قلبي وامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا، ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضا لطيفا، ثم قال للأول زنه بعشرة من أمته،

فوزنني فرجحتهم، ثم قال زنه بمئة من أمته فرجحتهم، ثم قال زنه بألف فرجحتهم ، فقال دعوه لو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع، إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك. قال في المواهب: والحكمة في هذا الشق الأول تطهيره من حال الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية، ولذلك نشأ ص على أكمل الأحوال من العصمة. قال المناوي: وتلك العلقة خلقت في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فأزيلت من قلبه فلم يبق منه محل قابل لإلقاء شيء، وإنما خلقت هذه المضغة فيه ثم أخرجت لأنها من الأجزاء الإنسانية فعدمها نقص من البدن الإنساني، ولأن إخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة والاعتناء والرعاية من خلقه بدونها.

والشق الثاني وقع وهو ابن عشر سنين، روى أبو نعيم في الدلائل وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد مسند أبيه قال أبو هريرة يا رسول الله: ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ قال إني لفي صحراء واسعة أمشي ابن عشر سنين إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: هو هو ، قال نعم، فأخذاني فأضجعاني ثم شقا بطني وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب، والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فإذا صدري فيما أرى مفلوق لا أجد له وجعا ثم قال: اشقق قلبه، فشق قلبي ، فقال: أخرج الغل والحسد منه، فأخرج شبه العلقة فنبذ ثم أدخل الرحمة والرأفة قلبه، فأدخل شيئا كهيئة الفضة، ثم ذر عليه ، ثم غمز إبهامي، ثم قال: اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ورأفتي للكبير.

والشق الثالث: عند مجيء جبريل له بالوحي عند غار حراء، رواه أبو نعيم بلفظ "إن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا: اقرأ باسم ربك ، الآيات. والحكمة فيه كما قالوا: التهيؤ والتقوي على ما يلقى إليه من القول الثقيل والتلقي له بقلب قوي في أكمل أحوال التطهير، وزاد بعضهم شقا رابعا عند الإسراء. قوله: "والنسب من آدم .. الخ"، أخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله ص: "خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح"، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله ص: "ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام"، وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ص قال: "بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي أنا فيه"، وأخرج مسلم عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ص: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني

كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"، وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وأبو نعيم عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ص: "إن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلة، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا".

ورؤيـــة المعمـــور كالإســـراء بـــالروح واللقـــا للانبيـــاء

يعني أن مما خصه الله تعالى به رؤية البيت المعمور وهو في السماء السابعة، يقال له الضراح – بضم المعجمة وتخفيف الراء وفي آخره حاء مهملة- وقيل: في السماء الأولى ، وقيل: في الرابعة، وقيل: في السادسة، ففي الحديث الذي رواه مسلم في الإسراء: "ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح – أي جبريل- فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه". قوله: "كالإسراء... الخ" يعني كما خصه الله تعالى بكرامة الإسراء وقصته مشهورة ثابتة أشار لها القرآن ، قال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}، وأحاديثه في كتب الصحاح وغيرها فليراجعها من شاء. قوله: "بالروح" الباء للمصاحبة، يعني مصاحبا للروح وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: {نزل به الروح الأمين}، قوله: "واللقا للانبياء" هو ما في حديث الإسراء من أنه في كل سماء يلتقي بأحد الأنبياء وكان آخر من التقى به إبراهيم في السماء السابعة كما مر قريبا أو المراد التقاءه بهم في بيت المقدس حيث صلى معهم إماما، واختلف هل كان ذلك قبل المعراج أو بعده، والأشهر الأول.

ومـن خصـائص الـذي لـم ينـــل إلا هـو الصـلاة مـن رب علـــي
أن لـم يؤمـــن مـن عبـاده سـوى مـن كـل فضـل للنبييـــن حـــوى

قوله: "أن لم يؤمن" مبتدأ خبره "ومن خصائص" و"الصلاة" مفعول به ل"ينل" و"إلا هو" هو الفاعل، ذكر الناظم رضي الله عنه في البيتين خصوصيتين له ص: الأولى هي صلاة الله تبارك وتعالى عليه، قال تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي} الآية. والثانية تأمينه أي عصمته من الناس، قال تعالى: {والله يعصمك من الناس}، ويمكن أن يكون المراد

بتأمينه جعله أمانا لأمته، قال تعالى : {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} والله تعالى أعلم.

والقـــرب والرؤيـــة للخـــلاق والخمـــس والإتيـــان بالبـــراق

قوله: "والقرب" يعني أن مما خص الله به تعالى رسوله ص القرب الخاص الذي لم يكن لأحد من الأولين والآخرين كما قال تعالى: {فكان قاب قوسين أو أدنى}، قال بنيس في شرح همزية البوصيري: قال مولانا رسول الله ص في الحديث المتقدم: "ثم زج بي في النور زجا فخرق لي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا، وانقطع عني حس كل ملك وإنسي فإذا النداء من العلي الأعلى ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى: {ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} وأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل يذكرني به وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي، والحجب المذكورة في الحديث إنما هي بالنسبة إلى المخلوق والحق سبحانه ليس بمحجوب إذ المحجوب مقهور وهو القاهر فوق عباده، والقرب والبعد بالنسبة إلى المسافة مستحيلان عليه تعالى لاستحالة الجهة والمكان في حقه تعالى وإنما هما معنويان لا غير، وقد قيل في المعنى:

وذاك القـرب تقريـب اصطفـــاء ولـيس عـن المسـافة والمكـــان

فالقرب منه تعالى عبارة عن دوام حضوره بالقلب بأن يكون مشاهدا لقربه تعالى منه بالعلم والقدرة والإرادة المشار إليه بقوله تعالى: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}، {ونحن أقرب إليه منكم}، ولابن رشيد البغدادي:

تـــدانى فأدنـــاه إلـــى العـــرش ربـــه ونـــادى تقـــدم يـــا وحيـــد محبتـــي
تـرى العـرش والكرسـي والحجـب قـد بـدت لـــديك وأنـــواري عليـــك تجلـــت
تلـــذذ بناواســـمع لذيـــذ خطابنـــا وعينيـــك نـــزه فـــي عجائـــب قـــدرتي
تـــأنس بنـــا هـــذا الوصـــال وذا اللقـــا محـــب ومحبـــوب وســـاعة خلـــوة
تقـــرب ولا تجـــزع وأقبـــل ولا تخـــف وســـل تعـــط عبـــدي أنـــت ســـيد صـــفوتي
تعاليـــت قـــدرا عنـــدنا ومكانـــة وذكـــرك مرفـــوع فـــلا تـــنس نعمتـــي

قوله: "والرؤية" يعني أن من عظائم ما خصه الله تعالى به رؤيته له بعين رأسه فقد صح عن ابن عباس أنه ص رآه بعين بصره وفي رواية عنه أنه رآه بعين قلبه قال بعضهم ولا تخالف لأنه صح عنه كما رواه الطبراني أنه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى أنه خلق فيه إدراكا كإدراك البصر وليس المراد مجرد العلم لأنه حاصل له ولغيره، وجاء عن أنس رأى محمد ربه، وإطلاق الرؤية ينصرف إلى رؤية العين، وكان الحسن البصري

يحلف أنه رأى ربه بعينه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الأحبار والزهري ومعمر وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه،

وسئل أحمد عن قول عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، بم يدفع قولها، قال بقول النبي ص: رأيت ربي، قول النبي ص أكبر، وأما قوله تعالى: {لا تدركه الأبصار} فالمراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلية قاله بنيس. وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ص: إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود، قوله: "والخمس" يعني أن مما خصه ص به الله تعالى علم الخمس أي المسائل الخمس فقد ذكر السيوطي في الخصائص الكبرى أنه أوتي علم كل شيء حتى المسائل الخمس التي هي علم الساعة وما معها في الآية وكذا علم الروح ولكن أمر بكتم ذلك وإلى ذلك أشار الإمام ابن زكري في همزيته بقوله:

سدرة المنتهى انتهى عندها العلـ ـم وعلمه ليس فيه انتهاء

قال في الشرح: وإنما قيل لها سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي عندها لا يجاوزها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ص. قوله: "والاتيان بالبراق" البراق هو الدابة التي أوتي بها رسول الله ص ليركبها وقد وصفه ص في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أنس قال: "ثم أوتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه"، وقد ذكر الناظم رضي الله عنه أنه من خصائصه ص تبعا لبعضهم كابن دحية وغيره، وقد ورد في أحاديث لم تبلغ درجة الصحيح أنه كانت تركبه الأنبياء وهو قول مشهور.

وأن إسرافيل لم يهبط على سواه من ذوي المقامات العلا

ما قاله الناظم رضي الله عنه هو ما لابن سبع في الخصائص، فقد ذكر أن إسرافيل لم يهبط على أحد غيره ص، أخرج الطبراني بسند حسن والبيهقي في الزهد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ص ذات يوم وجبريل على الصفا، فقال: يا جبريل ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كفة من سويق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء فأتاه إسرافيل وقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض عليك أن أسير معك جبال تهامة زمردا ويا قوتا وذهبا وفضة، فإن شئت نبيا ملكا، وإن شئت نبيا عبدا فأومأ إليه جبريل أن تواضع ، فقال: بل نبيا عبدا ثلاثا،

وفي فتح الباري أنه قيل أن إسرافيل كان يصاحبه في مدة الرؤيا قبل أن يأتيه جبريل.

والله عبد الله قد سماه وما جرى لأحد سواه

يعني أن من خصائصه ص تسمية الله تعالى له بعبد الله، وفي ذلك تشريف وتكريم لا يخفى، قال تعالى: {وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا}

ولم يخاطب باسمه ولا رأى في قومه محياه شيئا سيئا

قال السيوطي في الخصائص الكبرى من خصائصه ص أنه لم يخاطب باسمه كسائر الأنبياء بل خوطب: يا أيها النبي، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، وخوطبت الأنبياء : {يا آدم اسكن}، {يا نوح اهبط}، {يا إبراهيم اعرض}، {يا موسى إني}، {يا عيسى اذكر نعمتي}، {يا داوود إنا جعلناك}، وقوله: "ولا رأى.. الخ" يعني أن من خصائصه أنه كان أمانا لقومه ما أقام فيهم، قال الله تعالى: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}، وليس هذا لأحد من الأنبياء، بل عذب من كذب منهم ونبيهم مقيم بينهم والله تعالى أعلم.

وجاز إيلاء على الله به وليس ذا لأحد من حزبه

أي يجوز أن يقسم على الله به ص، ولا يجوز أن يقسم بغيره عليه، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ينبغي أن يكون هذا مقصورا عليه ص لأنه سيد ولد آدم وألا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خصه به ص تنبيها على علو درجته ومرتبته.

ولو رأى عورته راء طمس والخطء والنسيان منهما حرس

"طمس" بالبناء للمفعول أي ذهب بصره، قال السيوطي: اختص ص بأن عورته لم تر قط، ولو رآها أحد طمست عيناه، انظر الخصائص، وقال علي رضي الله عنه: أوصاني النبي ص ألا يغسله أحد غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه، زاد ابن سعد قال علي: فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر، وهما معصوبا العين، وفي رواية أن العباس وابنه الفضل كانا يعينانه، وقثم وشقران مولاه عليه السلام، وأسامة يصبون الماء وأعينهم معصوبة – انظر جسوس-، قوله: "والخطء والنسيان.. الخ" الخطأ الغلط، والنسيان هو السهو، يعني والله تعالى أعلم أنه ص كسائر الأنبياء لا يجوز عليهم الخطأ والنسيان فيما طريقه البلاغ، وأنه ص معصوم

من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا، أما العمد فمتفق عليه بدليل المعجزة القائمة مقام قوله الله تعالى صدق فيما قال اتفاقا، وبإطباق أهل الملة إجماعا، وأما وقوعها على جهة الغلط، فهذه السبيل عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني ومن قال بقوله، وعند القاضي أبي بكر الباقلاني من جهة الإجماع فقط، وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي ص لا من مقتضى المعجزة نفسها ، وقد قال تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}، وقال: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}، وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام ولا إلى أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه، فالذي يجب تنزيه النبي ص عن أن يقع خبره في شيء من ذلك لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا، وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه، وصحته ومرضه، ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه قاله في الشفا. وأما الأفعال التشريعية فجوز بعضهم النسيان والسهو فيها ومنعه آخرون، وأما المتصوفون وأهل القلوب فقد منعوا ذلك جملة، إذ هو من شأن أهل الغفلة، والأنبياء منزهون عن ذلك وهو الصواب كما لعياض وغيره والله تعالى أعلم.

وكان أفضل مصلى مسجده وأن أفضل البلاد بلده

هذا الذي ذكره هو المشهور عن مالك وأكثر أصحابه، قال ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، بعد أن ذكر تفضيل مكة على المدينة واستدل له، لكن المشهور عن مالك وأكثر أصحابه تفضيل المدينة واستدلوا بقوله ص: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" مع قوله: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"، وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ص: "اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي فأسكني في أحب البقاع إليك".

وكان ثم قبره بتربه قطعا تفوق العرش ثم الكعبه

قال السيوطي في الخصائص: قال العلماء: محل الخلاف في التفضيل بين مكة والمدينة غير قبره ص، وأما هو فأفضل البقاع بالإجماع، بل وأفضل من الكعبة، بل ذكر ابن عقيل الحنبلي أنه أفضل من العرش والكرسي، وكذا قال عياض.

حياته تقتل بالإنذار وجاءت الحمى بالاختيار

الضمير يعود على بلده ص وهي المدينة، يعني أن الحيات التي توجد بالمدينة لا يجوز قتلها إلا بعد الإنذار، فإن بدت بعد ثلاث قتلت، ففي بعض الأخبار ما معناه أن بالمدينة جنا قد أسلموا وتتمثل حيات فإن بدا لكم شيء من ذلك فأنذروه ثلاثا فإن بدا لكم بعد فاقتلوه، قوله: "وجاءت الحمى.. الخ" أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة أن النبي ص قال: "اللهم انقل عنا الوباء ثلاثا"، فلما أصبح قال: "أوتيت هذه الليلة بالحمى فإذا بعجوز سوداء ملبية في يدي الذي جاء بها فقال: هذه الحمى فما ترى فيها، فقال: اجعلوها بخم وهي الجحفة".

ووقـي الطاعـون والدجـــالا وشـــرع الله بـــه الســـــؤالا

أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص: "المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الطاعون ولا الدجال".

القسم الثانـي: فيما اختص به هو وأمتـه في شرعه في الدنيا:

وخصـه الحـي العلـيم العالـــم بأنـــه حلـــت لـــه الغنائـــــم
وجعلـت لـه البقـاع مسجـــدا وبالوضـــوء والتـــيمم اعـــــددا

أخرج البزار بسند جيد عن أبي هريرة أن النبي ص قال: "فضلت على الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلي: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت أمتي خير الأمم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الكوثر، ونصرت بالرعب، والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد"، وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء أن رسول الله ص قال: "فضلت بأربع: جعلت أنا وأمتي تصف صفوفنا كما تصف الملائكة، وجعل الصعيد لي وضوء، وجعلت لي الأرض مسجدا، وأحلت لي الغنائم"، قال الحليمي: يستدل على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة بحديث الصحيحين: إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، ورد بأن الذي اختصت به الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء، كيف وفي الحديث: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي، قال ابن حجر والجواب أن هذا حديث ضعيف وعلى تقدير ثبوته يحتمل أن يكون الوضوء من خصائص الأنبياء دون أممهم إلا هذه الأمة قال السيوطي، قلت هذا الاحتمال ورد ما يؤيده فقد تقدم في باب ذكره في التوراة والإنجيل في صفة أمته ص (يوضئون أطرافهم) رواه أبو نعيم عن ابن مسعود وللبيهقي عن ابن وهب (افترضت عليهم أن يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الأنبياء).

ومنـــه أن المـــاء لا تؤثـــر فيـــه النجاســـة إذا مـــا يكثـــر
وجعلـــه يزيلهـــا وبالحجـــر والمـا فـي الاسـتنجا وأشـياء أخـر

يعني أن من خصائص هذه الأمة أن الماء لا ينجس إذا كثر، فقد ورد (إذا جاوز الماء قلتين لم ينجس) أي لا يؤثر فيه النجس إذا وقع فيه، قوله: "وجعله يزيلها" أي من خصائصهم أن الماء يزيل حكم النجاسة وفي بني إسرائيل إذا تنجس مكان من ثوب أحدهم وجب قرضه بالمقراض، فقد أخرج ابن ماجه عن عبد الرحمن عن حسنة أن النبي ص قال: "كان بنوا إسرائيل إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض فنهاهم رجل منهم فعذب في قبره"، وأخرج الحاكم وصححه عن أبي موسى أن النبي ص قال: "إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدهم البول قرضه بالمقراض"، قوله: "وبالحجر والماء" يعني أن من خصائص هذه الأمة جمع الماء والحجر في الاستطابة وقيل لا تجوز الاستطابة (إلا) بالماء ذكره في فتح الباري.

مثـل اجتمـاع الخمـس والعشـاء والـوتر والقصـر والاستسقـــاء

"مثل" بدل من "أشياء أخر" في البيت السابق، و"الخمس" يعني بها الصلوات الخمس، والمعنى أن من خصائص هذه الأمة مجموع الصلوات الخمس وصلاة العشاء الخ، فالصلوات الخمس لم تجمع لأحد قبل، ورسول الله ص هو أول من صلى العشاء ولم يصلها نبي قبله، أخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد عن عائشة قال: إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح، وفدي إسحاق عند الظهر فصلى إبراهيم أربعا فصارت الظهر، وبعث عزيز فقيل كم لبثت قال يوما فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا، وأخرج أبو داوود وابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال: أخر رسول الله ص صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان أنه قد صلى ثم فقال اعتنوا بهذه الصلاة فإنكم فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم.

وبصـــلاة الليـــل والخســـــوف والخـوف والعيـدين والصفـوف

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر أن النبي ص قال: أمرت بعيد الأضحى فجعله الله لهذه الأمة، وروي أنه ص حين قدم المدينة وجد الأنصار لهم يومان يلعبون فيهما فقال: إن الله أبدلكم خيرا منهما يوم الأضحى ويوم العيد، قوله: "والصفوف" أي الصفوف في الصلاة أخرج الطبراني عن أبي الدرداء أن رسول الله ص قال: فضلت بأربع: جعلت أمتي تصف في الصلاة

كما تصف الملائكة، وجعل الصعيد لي وضوءا، وجعلت لي الأرض مسجدا، وأحلت لي الغنائم، وقد تقدم هذا ومثله حديث البزار عن أبي هريرة.

وبالجماعة وتحريم الكلام وبالركوع وتحية السلام

قال السيوطي في الخصائص قال ابن فرشتة في شرح المجمع في قوله ص: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منا، أراد بقوله: "صلاتنا" الصلاة بالجماعة لأن الصلاة منفردا موجودة فيمن كان قبلنا، قوله: "وتحريم الكلام" أي في الصلاة وقد كان أهل الكتاب يتكلمون في صلاتهم، أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب القرظي قال قدم رسول الله ص المدينة والناس يتكلمون في الصلاة في حوائجهم كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة في حوائجهم حتى نزلت هذه الآية: {وقوموا لله قانتين} وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: {وقوموا لله قانتين} قال كان كل أهل دين يقومون فيها يعني يتكلمون فقوموا أنتم لله مطيعين، قوله: "وبالركوع" ذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى: {واركعوا مع الراكعين} أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الأمة وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد ص قال في الخصائص، قلت وقد يستدل له بما أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي قال: أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا أمرت، ووجه الاستدلال أنه صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل وغير ذلك، فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الأمم السابقة منه، قوله: "وتحية السلام" أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس قال: قال رسول الله ص أعطيت ثلاث خصال: أعطيت ذكر منهن السلام وهي تحية أهل الجنة، و آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله أعطاها هارون فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون.

والبدء في الصلاة بالتكبير و رمضان و بكالسحور

أخرج عبد الرزاق في المصنف أخبرنا معمر عن أبان قال: لم يعط التكبير أحد إلا هذه الأمة، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي العالية أنه سئل بأي شيء كان الأنبياء يستفتحون الصلاة قال بالتوحيد والتسبيح والتهليل، قوله: "ورمضان" أخرج ابن جرير عن عطاء في قوله تعالى: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات} قال كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر وكان هذا صيام الناس من قبل ذلك ثم فرض الله شهر رمضان بعد ذلك، قوله: "وبكالسحور" الكاف زائدة لا تشبيه يعني وبالسحور فقد أخرج مسلم عن عمرو بن العاص

عن النبي ص قال: "فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر ومن قبلنا لا يأكلون ولا يشربون بعد النوم".

وليلـة القـدر وصـوم عرفـه كفـارة المتلـو والمؤتنفـه

قال النووي في شرح المهذب ليلة القدر مختصة بهذه الأمة زادها الله تعالى شرفا لم تكن لمن كان قبلنا، قال مالك في الموطإ: بلغني أن رسول الله ص أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغه غيره في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر، قوله: "وصوم عرفه" ذكر القونوي في شرح التعرف أن من خصائص الأمة يوم عرفه، وذكر السيوطي أنها اختصت بأن صومه كفارة سنتين، قال فقد أخرج مسلم عن أبي قتادة أن النبي ص سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية وسئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية، قال العلماء وإنما كان ذلك لأن يوم عرفة سنة النبي ص ويوم عاشوراء سنة موسى عليه السلام.

وبـالأذان ثـم جمـع للسفـر والحمـد والتـأمين أو لكالمطـر

يعني أنه ص هو وأمته خصوا بالأذان للتنبيه للصلاة وقد كان لليهود البوق وللنصارى الناقوس أخرج سعيد بن منصور عن أبي عمر عن أنس قال أخبرني عمومة لي من الأنصار قالوا: اهتم النبي ص بالصلاة كيف يجمع الناس لها فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فلم يعجبه ذلك فذكر له البوق فلم يعجبه وقال هو من أمر اليهود وذكر له الناقوس فلم يعجبه وقال هو من أمر النصارى فانصرف عبد الله بن زيد مهتما فأري الأذان في منامه اهـ. فكان الأمر بالأذان، قوله: "ثم جمع للسفر أو لكالمطر" يعني أن من خصائص الأمة جواز جمع الصلاتين في السفر أو لكالمطر ذكره الشعراني في الميزان، قوله: "والحمد والتأمين" يعني أن مما اختصت به هذه الأمة قول ربنا ولك الحمد عند الرفع من الركوع وقول آمين عند قول الإمام ولا الضالين أخرج البيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ص لم تحسدنا اليهود بشيء حسدنا بثلاث: التسليم والتأمين واللهم ربنا لك الحمد.

ورفـع الله عـن الأمـة مـا لأمـم الرسـل مـن الإصـر انتمـى

قال تعالى: {ما جعل عليكم في الدين من حرج}، وقال تعالى: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} وقال تعالى: {ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} وقال تعالى: {ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن سيرين قال: قال أبو

هريرة لابن عباس إن الله تعالى يقول: {ما جعل عليكم في الدين من حرج} أما علينا من حرج أن نزني أو نسرق قال بلى ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع، قال في الخصائص باب اختصاصه ص بأن أمته وضع عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ورفع عنهم المواخذة بالخطإ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وأن من هم منهم بسيئة لم تكتب إذا لم يفعلها وأن من هم بحسنة ولم يفعلها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرا ووضع عنهم قتل النفس في التوبة وقرض موضع النجاسة وربع المال في الزكاة وما دعوا به استجيب لهم وشرع التخيير بين القصاص والدية ونكاح أربع ورخص لهم في نكاح غير ملتهم وفي نكاح الأمة وفي غير الوطء من الحائض وفي إتيان المرأة على أي شق شاء وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر اهـ.

وفـي الخطـاب فضـلوا ولا تريـم طائفـة مـنهم علـى الحـق القويـم

يعني أن من خصائصه ص كون أمته فضل خطابها على خطاب الأمم فهي خوطبت في كتابها بيا أيها الذين آمنوا ونوديت سائر الأمم في كتبهم يا أيها المساكين أخرج ابن أبي حاتم عن خيثمة قال ما تقرؤون في القرآن يا أيها الذين آمنوا فإنه في التوراة يا أيها المساكين، قوله: "ولا تريم.. الخ" أي لا تزال أخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ص لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ياتي أمر الله، وتختص هذه الأمة أيضا بأن منهم أقطابا ونجباء وأوتادا وأبدالا قاله في الخصائص، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر أن النبي ص قال: إن لله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم صفي الله ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل بهم يحيي ويميت ويمطر ويدفع البلاء، وأخرج أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت عن النبي ص قال: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجلا أبدل الله مكانه رجلا ذكره في الخصائص.

وحـرم الله عليهـم السجـــود لغيـر رب كـان واجـب الوجـود
وكـــأواني النقـــد والحريـــر والكشـف للعـورة والتصويـــر

يعني أن من خصائص أمته ص تحريم السجود عليهم لغير الله وقد كان ذلك غير محرم في بعض الملل، ومما اختصوا به أيضا تحريم أواني النقدين

عليهم وتحريم لباس الحرير على ذكورهم، قوله: "والكشف للعورة.. الخ" تقدم ذلك عن السيوطي.

والاختلاف رحمة ومنعوا من كونهم على الضلال أجمعوا

أخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة قال: قال رسول الله ص اختلاف أمتي رحمة، وأخرج الطبراني عن أبي هريرة وأخرج الطبراني عن أبي بصرة الغفاري عن رسول الله ص قال: سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وأخرج الحاكم عن ابن عباس عن النبي ص: قال لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبدا، قال السيوطي ونشأ من ذلك أن إجماعهم حجة وأن اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا اهـ.

ويغفر الذنب لهم بالطهر ولهم الصلاة أي ذخر

روي عن عثمان بن عفان رضي الله قال: قال رسول الله ص من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره رواه مسلم، وعنه قال: رأيت رسول الله ص توضأ مثل وضوءي هذا ثم قال من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة رواه مسلم، قوله: "ولهم الصلاة.. الخ" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ص يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا متفق عليه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ص قال: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر رواه مسلم.

ولهم الثواب في ذي الدار مع كونه في تلك ذا ادخار

يعني أن مما اختصت به هذه الأمة تكريما لها كونها ترى ثواب ما فعلته في الدنيا معجلا ويذخر لهم أكثر ليوم القيامة.

وتفرح الأشجار والجبال بمرهم وأكرموا فنالوا
صلاة بارئ الورى السلام مع ملائكته الكرام

يعني أن مما أكرمت به هذه الأمة فرح الشجر والجبال إذا مروا بشيء من ذلك وأما الإكرام الأكبر والتفضيل الأظهر هو ما خصهم به تعالى من صلاته عليهم قال تعالى: {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور} والصلاة من الله الرحمة.

ويوضع الطعام بينهم فما يرفع حتى يغفر الذنب كما
في الثوب والذنب بالاستغفار منهم له محو من الغفار

يعني أن من خصائص الأمة كونهم يأكلون الطعام ويكون ذلك سببا للمغفرة كما أن أحدهم يلبس الثوب فيكون ذلك سببا للمغفرة أخرج أبو داوود عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وذكر في الحصن مثله في الثوب فقال من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قوله: "والذنب بالاستغفار..الخ" قال تعالى: {ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما}.

واثنان مهما شهدا لواحد بالخير فاز بالنعيم الخالد

أخرج البخاري والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ص أيما مسلم يشهد له أربعة بالخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد اهـ.

وهي أقل عملا وأكثر أجرا ولا يطول منها العمر

ما في البيت هو ما قال الشيخ عز الدين قال: ومن خصائصه أن أمته أقل عملا من الأمم السابقة وأكثر أجرا، وقد أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ص قال: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل الكتاب التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا به إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا فقال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء.

والبعض يستغني عن الطعام بالذكر كالملائك الكرام

أخرج أحمد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ص ذكر جهدا يكون بين يدي الدجال فقالوا أي المال خير يومئذ فقال غلام شديد يسقي أهله الماء وأما الطعام فليس قالوا فما طعام المؤمنين يومئذ قال التسبيح والتكبير والتهليل، وأخرج الطبراني من حديث أسماء بنت عميس نحوه وفيه أن الله تعالى يعصم المؤمنين يومئذ بما يعصم به الملائكة من التسبيح اهـ.

ويقبضـون شـهدا وهـم علـــى فرشـــــهم والله جـــــل جعـــــلا
فـيهم مفرقـا جميـــع مـا اجتمـــع فـي العـروة الـوثقى الـذي الـهدى جمـع

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ص عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله إلا كان له مثل أجر شهيد، وقد ورد في حديث الشهداء: الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله، وفي بعض الروايات زيادة والمرأة تموت بجمع ومن قتل دون ماله أو دينه أو عرضه أو دمه، قوله: "والله جل جعل.. الخ" يشير به والله تعالى أعلم إلى ما ذكره السيوطي في الخصائص قال: ومنها أن أمته ص أوتيت علم الأولين والآخرين وفتح عليها خزائن العلم، كما أنه ص يعلم العلم الأول والآخر، وأوتيت الإسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب، وعلماؤهم كأنبياء بني إسرائيل، وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة أن موسى قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يوتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون قرون الضلالة والمسيح الدجال فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد.

القسم الثالث: فيما اختص به في ذاته في الآخرة:

أول مـــن يفيـــق عنـــد الصـــعقه والأرض عنـــــه أولا منشـــــقه
يحشـر فـي سـبعين ألـف ملـــــك علـــى البـــراق عـين رسـل الملـك

يعني أنه مما يختص به ص، في الآخرة كونه أول من يفيق بعد الصعقة أي بعد أن غشي عليه فالناس إذا نفخ في الصور النفخة الأولى غشي عليهم فإذا نفخ فيه الثانية خرجوا قياما ينظرون قال تعالى: {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون} وهو ص أول من يفيق وأول من تنشق عنه الأرض وخص بكونه يحشر في موكب عظيم يتألف من سبعين ألف ملك ويحشر على البراق تكريما له ص أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ص قال: إن الناس يصعقون فيكون أول من يفيق، وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع، وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن كعب قال: ما من فجر يطلع إلا يهبط سبعون ألف ملك يضربون بأجنحتهم قبر النبي ص ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه حتى يمسوا فإذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك حتى يصبحوا إلى أن تقوم الساعة فإذا كان يوم

القيامة خرج النبي ص في سبعين ألف ملك، وأخرج الطبراني والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص يحشر الأنبياء يوم القيامة على الدواب وأبعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة فينادي بالأذان محضا وبالشهادة حقا حتى إذا قال أشهد أن محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين فقبلت ممن قبلت وردت ممن ردت و"أول" في رأس البيت مبتدأ خبره "عين رسل الملك" وهو محمد ص والعين واحد الأعيان الخيار من كل شيء.

أول مـــن يـــوذن بالسجـــود لـــه ومـــن ينظـــر للمعبـــود

أخرج أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ص أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يرفع رأسه فأنظر إلى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك، وجاء في حديث الشفاعة برواية الشيخين: فيأتوني فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا إلى آخره اهـ.

وكونـه خصـص بالكـــــرامه مـن أعظـم التفضـيل فـي القيامـــه

قال القاضي عياض في الشفا: فصل في ذكر تفضيله ص في القيامة بخصوص الكرامة ثم ساق عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين فلا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر، وعن أنس رضي الله عنه: أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ص أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة، قوله ص سيد الناس يوم القيامة هو أيضا سيدهم في الدنيا ولكن أشار إلى انفراده ص بالسؤدد يومئذ إذا الناس يلجأون إليه لا يجدون سواه، والسيد هو الذي يلجأ إليه عند الشدائد فكان حينئذ سيدا منفردا لم يزاحمه أحد فيها ولا ادعاه كما قال تعالى: {لمن الملك اليوم} والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى

المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى محمد ص جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى فهذه العزازة والتكريم التي تضمنتها هذه الأحاديث هي الكرامة التي ذكرها الناظم رضي الله عنه وذكرها عياض وغيرهم.

وبالشفاعـــــة مـــــن الأنـــــام والحـــب والخلـــة والمقـــــــام

يعني أنه ص اختص بالشفاعة في الأنام فـــ "من " في البيت بمعنى "فـي" والذي اختص به ص هو الشفاعة في إراحتهم من الموقف وهي الكبرى روي حديثها عن أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعضهم قال ص: يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون أو قال فيهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك الملائكة وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون له أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ويذكر خطيئته التي أصاب: سؤاله ربه بغير علم وقيل دعوته على قومه، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن، نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس، نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأوتى فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا إلى آخر الحديث، وهذه الشفاعة لإراحة الناس من الموقف، خاصة به ص، قوله: "والحب والخلة" تقدم الكلام عليهما عند قوله: "وقد جعله حبيبه الله الصمد" فليراجع ثم، قوله: "والمقام" هو المقام المحمود قال الله تعالى: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} فعن أبي هريرة سئل عنها رسول الله ص قال هي الشفاعة وعن ابن مسعود عنه ص أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون، ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية

هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ص فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود اهـ.

ومـن يجـــوز بالصـــراط ولـــه بشعـر رأســـه الضيـاء حولـه

يعني أنه ص هو أول من يمر على الصراط أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص يضرب جسر على جهنم فأكون أول من يجوز، قوله: "وله بشعر رأسه.. الخ" أخرج البيهقي وأبو نعيم عن كعب الأحبار أنه سمع رجلا يقول: رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب فدعي الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته رأى لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نورا يمشي به فدعي محمد ص فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور على حدة يثبته من نظر إليه ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما كنور الأنبياء فقال كعب بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت هذا في منامك؟ قال نعم والذي نفسي بيده، قال كعب والذي نفسي بيده إنها لصفة محمد وأمته وصفة الأنبياء وأممهم في كتاب الله لكأنما قرأه من التوراة اهـ.

أول مـن يقـــرع بـاب الجنـــه ويدخـــل الـدار مقيـــم السنـــه

أخرج مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ص أنا أول من يقرع باب الجنة، وأخرج أيضا عن أنس قال: قال رسول الله ص آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك.

وحوضـــه أكثـــر ورادا وقـــد خصصـه بالكوثـر الـرب الصـمد

روي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ص حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا، وعن أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى إيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء، قوله: "وقد خصصه.. الخ" قال تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر}الآية. وعن أنس قال: قال رسول الله ص بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج مسكا، وعن عائشة وعبد الله بن عمر مثله قال ومجراه على الدر والياقوت، وعن ابن عباس قال:

الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه، وقال سعيد بن جبير: والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله ذكره في الشفا.

وأن كـــــل سبـــب ونســـــب يقطـع يـــوم الفصـل مـا عـدى النبـي

أخرج الحاكم والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ص يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي قال السيوطي معناه أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب.

وآدم يدعـــى أبـا محمـــــــد وســط الجنـــان دون بـاقي الولـد

قال في الشفا: حكى أبو محمد المكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ، ويروى وتقبل توبتي فقال له الله من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه قال وكان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر.

وســـأل الإلـــه أن لا يـــدخلا فـي النـــار أهـل بيتـــه فبـــــذلا

قال في الشفا: وعن عمرو بن أبي سلمة قال لما نزلت: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} دعا النبي ص فاطمة وحسنا وحسينا وعليا خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي ص عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي، وقال ص سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطانيها قال في هذا الحديث هم فاطمة وعلي وابناهما وزوجاته ص، وقال ص إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، وقال في الشفا: قال رسول الله ص للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين.

وهـــو مصـــدق علـــى الإبـــلاغ وشـــــاهد للرســـــل بالبـــــلاغ

قال الله تعالى: {يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا} الآية. قال في الشفا جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهذا هو أعلى التصديق حيث جعل شاهدا لنفسه على أمته بالإبلاغ وقال تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شهيدا} ومعنى وسطا أي عدولا، وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ص يدعى نوح يوم القيامة فيقال هل بلغت فيقول نعم فتدعى أمته فيقال هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا أحد فيقال من يشهد لك فيقول محمد وأمته فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم، وقال الشيخ عز الدين ومن خصائصه أن الله تعالى نزل أمته منزلة العدول من الحكام فيشهدون على الناس بأن رسلهم بلغتهم وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء انتهى.

ولا لسان أو كتاب في الجنان يتلى سوى كتابه ثم اللسان
والآي عد درجات الجنه فيرتقي القاري لتلك المنه

يعني أن من خصائصه ص في الآخرة كون لسان أهل الجنة لسانه يتكلمون العربية أخرج الحاكم وصححه أن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ص وفي الجامع الصغير أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي، ومن خصائصه ص كونه لا يتلى كتاب في الجنة سوى كتابه القرآن العظيم، قوله: "والآي عد.. الخ" قال القرطبي: قالت أم الدرداء دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة فقالت عائشة رضي الله عنها إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن ذكره أبو محمد مكي، وروى أبو داوود عن عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ص يقال لصاحب القرآن اقرأ و ارتق و رتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ص يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه.

القسم الرابع: فيما اختص به في أمته في الآخرة:

والأرض عنهم قبل باقي الأمم تنشق والمر على الجسر نمي
كالبرق والريح وعجل العذاب لكي تطهر فما يبقى عذاب

قوله: "والأرض عنهم.. الخ" أخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص أرسلت إلى الجن والإنس وإلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم دون الانبياء وجعلت لي الأرض كلها مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب أمام شهر وأعطيت خواتم سورة البقرة وكانت من كنوز العرش وخصصت بها دون الأنبياء وأعطيت المثاني مكان التوراة والمئين مكان الإنجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل وأنا سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر

وبيدي لواء الحمد يوم القيامة وجميع الأنبياء تحته ولا فخر وإلي مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر وبي تفتح الشفاعة ولا فخر وأنا سابق الخلق إلى الجنة ولا فخر وأنا إمامهم وأمتي بالأثر، قوله: "والمر على الجسر.. الخ" ذكر في الشفا من حديث حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم ص على الصراط يقول اللهم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث، قوله: "وعجل العذاب.. الخ" أخرج الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه عن عبد الله بن يزيد الأنصاري قال: سمعت رسول الله ص يقول إن عذاب هذه الأمة جعل في دنياها، وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ص قال: لا يحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له يرى المسلم عمله في قبره، قال الحكيم الترمذي: يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غدا في الموقف فيمحص في البرزخ ليخرج من القبر وقد اقتص منه، وروى أبو داوود عن أبي موسى الأشعري: أمتي مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل اهـ.

وينـــزلون منـــزلا مســـتعليا ولهـــم نـــوران مثـــل الانبيـــا

قال السيوطي في الخصائص الكبرى: اختص ص بأن أمته الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة يقضى لهم قبل الخلائق ويكونون في الموقف على كوم عال، قوله: "ولهم نوران.. الخ" أخرج البيهقي عن وهب بن منبه: أوحى الله إلى داوود في الزبور يا داوود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا نبيا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته أمة مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وقد مر عن كعب الأحبار ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما كنور الأنبياء اهـ.

وتـــدخل القبـــور بالذنـــوب وبالدعـــا تأتـــي بـــلا ذنـــوب

أخرج الطبراني في الأوسط عن أنس قال: قال رسول الله ص أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها اهـ. انظر الخصائص الكبرى.

ولهـم سيمـا مـن السجـــود يـأتون يـوم الوعـد والوعيـد
غـــرا محجليـــن للوضـــوء ويشـفع المحســـن للمســـيء

السيما العلامة قال تعالى: {سيماهم في وجوههم من أثر السجود}الآية. وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبي الدرداء أن رسول الله ص قال: إني

لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الأمم قالوا يا رسول الله كيف تعرف أمتك قال أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم.

ميـزانهم علـى المـوازين ثقـل ويشـهدون بـالبلاغ للرسـل

أخرج الأصبهاني في الترغيب عن ليث قال: قال عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أمة محمد أثقل الناس في الميزان ذلت ألسنتهم بكلمة ثقلت على من كان قبلهم لا إله إلا الله ذكره في الخصائص الكبرى، قوله: "ويشهدون.. الخ" قال الشيخ عز الدين: ومن خصائصه ص أن الله تعالى نزل أمته منزلة العدول من الحكام فيشهدون على الناس بأن رسلهم بلغتهم وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء قال تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس}الآية. وقد مضى هذا عند قوله: "وهو مصدق على الإبلاغ.. الخ".

وتـدخل الجنـة قبـل الأمـم وفـاز الأطفـال بتلـك النعـم

أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ص قال: الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي، قوله: "وفاز الأطفال.. الخ" الظاهر والله تعالى أعلم أن مراده هو ما رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى بسند صحيح عن أنس قال: قال رسول الله ص سألت ربي للاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم قال ابن عبد البر هم الذين ماتوا صغارا لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم.

وتـدخل الجنـة مـن غيـر حسـاب سبعـون ألفـا ويضـاعف الحسـاب

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه ص أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفا بغير حساب ولم يثبت ذلك لغيره من الأنبياء، وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه قام رسول الله ص ذات يوم فقال عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون هذه أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ص يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي ذكر هذا كله في الخصائص للسيوطي، وحساب الأولى في البيت بمعنى محاسبة أي بدون مناقشة وحساب والحساب في آخر

البيت بمعنى العدد ومضاعفة الحساب هي ما في حديث الترمذي والله تعالى أعلم.

والكل في الجنة ثلثا من دخل ويسجدون إذ يرون الله جل

أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ص في قبة فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده إني لأرجوا أن تكونوا شطر أهل الجنة وزيد عن ابن عباس بل أرجوا أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وعن أحمد وتقاسمونهم في النصف الثاني وأخرج الطبراني أنتم ثلثا أهل الجنة.

القسم الخامس: فيما اختص به ص من الواجبات التي هي تخفيف على غيره وربما شاركه في بعضها الأنبياء

واختص عن أمته بواجبات زيادة الزلفى ورفع الدرجات

يعني أنه ص اختص عن أمته بوجوب أشياء عليه زيادة الزلفى أي القرب من الله ورفع درجات له ص ثم أخذ الناظم رضي الله عنه يعددها فقال:

مثل صلاة الليل ثم الوتر وكالسواك والضحى والفجر

يعني أن مما أوجب الله تعالى عليه دون الأمة صلاة الليل قال تعالى: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك} قال ابن عباس وغيره أي زيادة لك في الفرض، وأخرج الطبراني عن أبي أمامة في الآية قال وكانت للنبي ص نافلة ولكم فضيلة ومما اختص ص بوجوبه عليه الوتر والسواك والضحى، أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ص قال: ثلاثة هي علي فرائض ولكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل، وأخرج أحمد والبيهقي في السنن عن ابن عباس أن النبي ص قال: ثلاث هن علي فرائض ولكم تطوع الفجر والوتر وركعتا الضحى، وأخرج أحمد في مسنده مرفوعا أمرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها.

وأربع الزوال والمصابره وكالضحية وكالمشاوره

قال الترمذي في الشمائل: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا هشيم أنا عبيدة عن إبراهيم النخعي عن سهم بن منجاب عن قرثع الضبي أو قزعة عن قرثع عن أبي أيوب الأنصاري أن النبي ص كان يدمن أربع ركعات عند زوال الشمس. قوله: "والمصابره" أي أنه ص تجب عليه مصابرة العدو، قال السيوطي: تجب عليه ص مصابرة العدو وإن كثر عدده ووجه ذلك أن الله تعالى وعده بالحفظ والعصمة من الناس فلم يكونوا ليصلوا إليه بسوء قلوا أو كثروا، قوله: "وكالضحية" أي أنه مما اختص به ص وجوب الضحية ،

أخرج أحمد وعبيد في مسنده عن ابن عباس مرفوعا "كتب علي النحر ولم يكتب عليكم" وفي لفظ "وأمرت بالأضحى ولم تكتب عليكم"، قوله: "وكالمشاوره" أي أنه ص تجب عليه مشاورة أصحابه في الأمور العامة ، أخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت {وشاورهم في الأمر}قال رسول الله ص: "أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي"، وأخرج الترمذي الحكيم عن عائشة قالت: قال رسول الله ص: "إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض" وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: ما رأيت أحدا من الناس أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ص.

وكقيامه بأمر المعسر كلا كذا تغيير أمر منكر

أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ص كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل هل ترك له من قضاء فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه وإلا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتوح قام فقال: "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي من المسلمين فترك دينا فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته". قوله: "كذا تغيير.. الخ" يعني أنه اختص بوجوب تغيير المنكر وعدم سقوطه عنه بالخوف لأن الله حافظ له لا يقدر أحد أن يصل إليه كما تقدم.

وكالوفا بالوعد والتخيير للأهل والإغلاظ للكفور

يعني أنه ص يجب عليه الوفاء بالوعد دون الأمة فإنه يطلب الوفاء في حقها فقط ولذلك لما استخلف الصديق وأتاه مال قال من كان له على رسول الله ص عدة فلياتنا فوفاهم. قوله: "والتخيير.. الخ"، يعني أنه يجب عليه ص أن يخير نسائه في المقام معه وفراقه، قال تعالى: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما} وأخرج أحمد ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر وعمر على النبي ص وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي ص لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد – امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفا فوجأت عنقها، فضحك النبي ص وقال: "هن حولي يسألنني النفقة" فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي ص ما ليس عنده وأنزل الله تعالى الخيار فبدأ بعائشة فقال : إني ذاكر لك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت ما هو فتلا عليها: {يا أيها النبي قل لأزواجك..}الآية. فقالت عائشة

رضي الله عنها: أفيك استأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله. وأخرج ابن سعد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما خير رسول الله ص نساءه بدأ بعائشة فاخترنه جميعا غير العامرية اختارت قومها، فكانت بعد تقول: أنا الشقية وكانت تلقط البعر وتبيعه وتستأذن على أزواج النبي ص وتسألهن وتقول: أنا الشقية. قوله: "والإغلاظ للكفور" يعني أنه ص يجب عليه إبداء الغلظة للكفار قال تعالى: {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم}.

والوعـــد والتعليـــق باستثنـــاء والصـبر والرفـق وكالدعـــــاء
لبـــاذل صدقـــة المـــال كـــذا خطابـــه النـــاس ببـــاد مأخـــذا

يعني انه ص يجب عليه إذا وعد بعدة عطاء أو غيره أن يعلق بالمشيئة ، قال تعالى: {ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله}، قال القرطبي، قال العلماء: عاتب الله تعالى نبيه عليه السلام على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذي القرنين: غدا أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وأرجف الكفار به فنزلت هذه السورة عليه مفرجة عليه وأمر في هذه الآية أن لا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدا كذا وكذا إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل حتى لا يكون محققا بحكم الخبر، فإنه إذا قال: لأفعلن كذا ولم يفعل كان كاذبا، وإذا قال لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققا للمخبر عنه. قوله: "والصبر والرفق" يعني أنه ص يجب عليه الصبر والرفق مع الأمة قال تعالى: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل} وقال: {واصبر وما صبرك إلا بالله}، وقال: {فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر}. قوله: "وكالدعاء.. الخ" يعني أنه مما يختص بوجوبه عليه ص الدعاء لمن أعطى صدقة ماله، قال تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم}. قوله: "كذا خطابه الناس.. الخ" يعني أنه يجب عليه ص ألا يخاطب الناس إلا بما هو ظاهر المأخذ، ممكن الفهم، وذلك لأنه ص بعث لتعليمهم الحق وتبليغه لهم، وبث الحكمة ونشرها، وإحياء الإيمان والعلم، وإماتة الجهل والكفر، فوجب أن يكون كلامه بينا فصلا، كما كان، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ص يسرد الحديث كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه، وورد أنه كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه.

والنفـل فـرض والتوكـل قميـن كـذاك حفظـــه لمـال المسلميـن

قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ص إذا عمل عملا أثبته، قاله في فتح الباري، وأخرج مسلم عنها: كان ص إذا صلى صلاة أثبتها. قوله: "والتوكل قمين" يعني أنه ص يجب عليه التوكل على الله، وهو الاعتماد عليه والثقة به ، قال تعالى: {يا أيها النبي حسبك الله}، أي كافيك، قوله: "كذاك حفظه.. الخ" أي يجب عليه ص حفظ مال الغير من المسلمين لأنه ص أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وكان يوخذ عن الدنيا لدى وحي ولا يسقط ما تعبدا

يعني أن من خصائصه ص أنه كان يؤخذ عن الدنيا في حالة الوحي ولا تسقط عنه الصلاة والصوم وسائر العبادات والأحكام، ذكره ابن القاص في التلخيص، وحكاه النووي في زوائد الروضة، والشعراني في الميزان.

يستغفر الإله دائما على عصمته سبعين والله علا
كلفه الذي على الأنيم كلا من الأعمال والعلوم

قال ص في الصحيح: إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة، وفي رواية: كل يوم مائة مرة، والمراد بهذا الغين الإشارة إلى غفلات قلبه، وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان ص دفع إليه من مقامات البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس، وكلفة أعباء الرسالة وحمل الأمانة، وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه، ولكنه لما كان أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة، وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه - ومقامه هنالك أرفع حاليه- رأى ص حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله، وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك، قاله القاضي عياض في الشفا. قوله: "والله علا كلفه.. الخ" قال السيوطي: ومنها أي خصائصه أنه كلف من العلم وحده ما كلفه الناس بأجمعهم.

وبمشاهدته الحق معا عشرته الخلق بخلق وسعا

يعني أن من خصائصه ص أنه مطالب بمشاهدة الحق تعالى مع معاشرة الناس بالنفس والكلام أي أنه ص مشاهد لله تعالى فان فيه، ومع ذلك يجب عليه أن يعاشر الخلق معاشرة مستقيمة بخلق حسن، قاله السيوطي في الخصائص والله تعالى أعلم.

بركعتين بعد عصر ياتي ويوقظ النائم للصلاة

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ركعتان لم يكن ص يدعهما سرا ولا علانية، ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد العصر، وأخرج البيهقي

في سننه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ص كان يصلي بعد العصر وينهى عنها، وأخرج مسلم عن أبي سلمة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن السجدتين اللتين كان رسول الله ص يصليهما بعد العصر؟ فقالت عائشة رضي الله عنها كان يصليهما قبل العصر فشغل عنهما فصلاهما بعده ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها. قوله: "ويوقظ النائم.. الخ" يحتمل أن يكون المراد بالصلاة صلاة النافلة في الليل، قال البخاري حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن عليا بن أبي طالب أخبره أن رسول الله ص طرقه وفاطمة بنت النبي ص ليلة ، فقال: الا تصليان؟ فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا. وأخرج البخاري أيضا عن أم سلمة أن رسول الله ص استيقظ ليلة فقال: سبحان الله ما ذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ما ذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة. ويحتمل أن يكون المراد صلاة الفرض فيكون المعنى أن من خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه يجب عليه أن يوقظ من نام عن صلاته حتى خيف خروج وقتها، وأما غيره فيستحب له ذلك والله تعالى أعلم.

القسم السادس: فيما اختص به من المحرمات تشريفا له

واختص أيضا بمحرمات كالخط والشعر وكالزكاة

يعني أنه ص كما اختص بوجوب أشياء عليه لم تجب على غيره اختص كذلك بتحريم أشياء غير محرمة على غيره تشريفا وتكريما له، حيث نزه عما لا ينبغي، كالسفاسف من الأمور، وحمل على مكارم الأخلاق، ولأن أجر ترك المحرم أكثر من أجر ترك المكروه، ثم أشار إلى المحرمات عليه فقال: "كالخط" يعني الكتابة فهي محرمة عليه ص، قال تعالى: {وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك}، وقال: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي}، الأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ، أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا، فنزلت {وما كنت تتلوا من قبله من كتاب} الآية. قال الرافعي: إنما يتجه القول بتحريم الخط والشعر عليه ص إذا قلنا أنه كان يحسنهما، وتعقبه النووي في الروضة فقال: لا يمتنع تحريمهما وإن لم يحسنهما ويكون المراد تحريم التوصل إليهما، والصواب أنه ص لم يكن يحسنهما وذهب بعضهم إلى خلافه متمسكا بحديث القضية، وهو أنه ص كتب: "هذا ما صالح عليه

محمد بن عبد الله" والجواب أن المراد بـ "كتب" أنه أمر بالكتابة لظهور التحريم من الآيتين المتقدمتين، ولقوله: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له} الآية. قوله: "وكالزكاة" يعني أن أكل الزكاة والصدقة مما حرم عليه ص وعلى آله ومواليه، أخرج مسلم عن المطلب بن ربيعة أن رسول الله ص قال: إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس، ولا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة وعائشة أن رسول الله ص كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وأخرج ابن سعد عن الحسن أن رسول الله ص قال: "إن الله حرم علي الصدقة وعلى أهل بيتي".

والنـــــزع للامـــة أن يقاتـــــلا أو يحكـــم الله كـــذا أن ياكـــلا
كالثـــوم، والمـــن ليستكثـــر، مـــع مـد لمـا مـن زهـرة الـدنيا وقـــع

"اللامة" آل الحرب من درع وسلاح، يعني أن مما حرم عليه ص نزع لامته إذا لبسها حتى يقاتل أو يحكم الله، أخرج أحمد وابن سعد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ص يوم أحد: "إنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل"، قوله: "كذا أن ياكلا كالثوم" يعني أنه ص يحرم عليه أكل ما له رائحة كريهة كالثوم لأنه يناجي الملائكة، فقد أخرج الشيخان عن جابر قال: أوتي رسول الله ص بقدر فيها خضراوات من بقول فوجد لها ريحا فسأل فأخبر بما فيها من البقول فقال قربوها إلى بعض أصحابه، فلما رآه كره أكلها قال: كل فإني أناجي من لا تناجي، وأخرج أحمد والحاكم عن جابر بن سمرة قال: نزل رسول الله ص على أبي أيوب، وكان إذا أكل طعاما بعث إليه بفضله فينظر إلى موضع يد رسول الله ص، فأتى النبي ص يوما فقال: يا رسول الله لم أر أثر أصابعك، قال: إنه كان فيه ثوم، قال: أحرام هو؟ قال: لا، إنه ياتيني الملك. قوله: "والمن ليستكثر" يعني أنه يحرم عليه ص أن يعطي عطية ليعطى أكثر منها، قال تعالى: {ولا تمنن تستكثر} قال ابن جرير قال ابن عباس في الآية: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قال السيوطي: أجمع المفسرون أن ذلك خاص به ص. قوله: "مع مد.. الخ" يعني أنه يحرم عليه ص النظر إلى زهرات الدنيا على وجه الغبطة، قال تعالى: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه}، قال في الخصائص: وهذا الحكم نقله الرافعي عن صاحب الإيضاح وجزم به النووي في أصل الروضة وابن القاضي في التلخيص.

وكالكتابيـــــــة والإيمـــــــاء بخلـــف مـــا يظهـــر والإمـــــاء

يعني أنه ص يحرم عليه نكاح الكتابية أخرج أبو داوود في ناسخه عن مجاهد في قوله تعالى: {لا يحل لك النساء من بعد} قال نساء أهل الكتاب، وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد في قوله تعالى: {لا يحل لك النساء من بعد} قال يهوديات ولا نصرانيات إذ لا ينبغي أن يكن أمهات المؤمنين قال بعضهم ولأنهن زوجات له في الآخرة معه في درجته في الجنة ولأنه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة، قوله: "والإيماء بخلف ما يظهر" يعني أنه ص يحرم عليه أن يومئ أي يشير بخلف ما يظهره وهو ما يسمى بخائنة الأعين، أخرج أبو داوود والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ص أمن الناس يوم الفتح إلا أربعة نفر منهم عبد الله بن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ص الناس إلى البيعة جاء به فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت بيدي عن بيعته ليقتله قالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت بعينك قال إنه لا ينبغي أن تكون لنبي خائنة الأعين، وأخرج ابن سعد عن ابن المسيب مرسلا نحوه وآخره فقال الإيماء خيانة ليس لنبي أن يومئ، قوله: "والإماء" آخر البيت جمع أمة يعني أنه ص يحرم عليه نكاح الإماء المسلمات لأن جوازه مشروط بخوف العنت وهو ص معصوم وبفقد طول الحرة ونكاحه ص غير مفتقر إلى المهر ولأن من نكح أمة كان ولده منها رقيقا وهو منزه عن ذلك منصبه قاله في الخصائص الكبرى.

والخمر لم تبح له قط ولا يقبل عرف الخاسرين عملا

قوله: "والخمر لم تبح له" يعني أنها كانت محرمة عليه قبل نزول تحريمها ولم يشربها قط، قوله: "ولا يقبل.. الخ" الخاسرون عملا المراد بهم المشركون يعني أنه ص تحرم عليه الاستعانة بالمشركين، أخرج البخاري في تاريخه عن حبيب بن يساف قال: خرج النبي ص وجها فأتيته أنا ورجل من قومي قلنا إنا نكره أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم فقال أسلمتما قلنا لا قال فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين قال في الخصائص ذكره القضاعي.

القسم السابع: فيما اختص به من المباحات:

وبمباح كالمقام جنبا بمسجد وكنكاح زينبا

يعني أنه ص اختص بإباحة أشياء لم تكن مباحة لغيره وذلك كالمقام أي مقامه ص في المسجد وهو جنب، أخرج البيهقي والترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ص لعلي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك، وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب قال لقد أعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم: تزويجه فاطمة، وسكناه في المسجد مع رسول الله ص لا يحل لي فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر، وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة أن النبي ص قال: إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب إلا لمحمد وآل محمد، قوله: "وكنكاح زينب" يعني أنه يختص بأن المرأة كانت تحل له بتحليل الله تعالى فيدخل عليها بغير عقد كنكاح زينب بنت جحش قال تعالى: {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها}، أخرج البخاري عن أنس أن زينب كانت تفتخر على أزواج رسول الله ص تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات، وأخرج مسلم عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ص لزيد اذهب فاذكرها علي فذهب فأخبرها فقالت ما أنا بصانعة أمرا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ص حتى دخل عليها بغير إذن.

إذ خصه الإله في الإنكاح فضلا بأشياء وفي النكاح
وفي صلاته والاستقبال في قضاء حاجة وضد يقتفي

أي لأنه ص خصه الله تعالى بجواز أشياء في إنكاحه للغير وفي نكاحه هو "فضلا" أي تفضيلا له وتكريما فمما خصه الله بجوازه مما يتعلق بإنكاحه للغير كونه يزوج المرأة للرجل بما عنده من القرآن ومن الذي خص به في نكاحه هو جواز نكاحه المرأة بهبة نفسها له قال تعالى: {وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي خالصة لك من دون المؤمنين}، وأخرج ابن سعد عن عكرمة أن ميمونة بنت الحارث وهبت نفسها للنبي ص، وأخرج أيضا عن محمد بن إبراهيم التيمي أن أم شريك وهبت نفسها له ص فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت ومنها أنه يختص بجواز عدم القسم للزوجات قال تعالى: {ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك فذلك أدنى أن تقر أعينهن} أي إذا علمن أن ذلك من الله ومنها جواز التزوج وهو محرم، أخرج الشيخان عن ابن عباس أنه ص تزوج ميمونة وهو محرم ومنها أن يعتق الأمة ويجعل عتقها صداقها أخرج الشيخان عن أنس أن رسول الله ص أعتق صفية وجعل عتقها صداقها، قوله: "وفي صلاته" يعني أنه ص خصه الله بجواز أشياء في صلاته دون غيره فمن ذلك

ما أخرجه الشيخان عن أبي قتادة أنه ص صلى وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صفإذا سجد وضعها وإذا قام حملها قال بعضهم هذا من خصائصه قاله في فتح الباري ومنها صلاته على الغائب فيما ذهب إليه أبو حنيفة وحمل على ذلك صلاته على النجاشي وقال إنه لا يجوز لغيره ومنها عند طائفة أنه صلى بالناس جالسا كما في حديث الصحيحين وأخرج الدارقطني والبيهقي في السنن لا يؤمن أحدكم بعدي جالسا ومنها أنه صلى الوتر راكبا وهو واجب عليه ومنها أنه صلى على قبر البراء بن معرور بعد دفنه بشهر وغيره وقال صإن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله ينورها عليهم بصلاتي، قوله: "والاستقبال في.. الخ" "الاستقبال" مبتدأ، "وضد" عطف عليه يعني "والاستدبار"، "يقتفي" خبر أي يتبع ما تقدم اختصاصه بجوازه فقد ذكر السيوطي في الخصائص الكبرى أنه يجوز له صمن غير كراهة استقبال القبلة واستدبارها في قضاء الحاجة.

وعدم النقض بنوم والنظر للاجنبيات وما الصوم حظر
من قبلة والشهوة والوصال والقتل في مكة والقتال

يعني أن من خصائصه صعدم نقض وضوءه إذا نام ولو ثقل، فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس أن النبي صتوضأ بالليل ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم أتاه المؤذن فقام إلى الصلاة ولم يتوضأ، وأخرج ابن ماجه وأبو يعلى عن ابن مسعود قال: كان رسول الله صينام مستلقيا حتى ينفخ ثم يقوم فيصلي ولا يتوضأ، قوله: "والنظر للأجنبيات" يعني أن من خصائصه صالنظر للأجنبيات وكذلك الخلوة بهن أخرج البخاري عن خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء جاء النبي صفدخل علي حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني قال الكرماني في هذا الحديث هو محمول على أن ذلك قبل نزول آية الحجاب أو جاز النظر للحاجة أو للأمن من الفتنة وقال ابن حجر الذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي صجواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ولم يكن بينهما محرم ولا زوجية وفي الخصائص لابن الملقن وقد ذكر حديث أم حرام: من أحاط علما بالنسب علم أنه لا محرمية بينها وبين النبي صوقد بين ذلك الحافظ شرف الدين الدمياطي وقال هذا خاص بأم حرام وأختها أم سليم قال ابن الملقن والنبي صمعصوم فيقال كان من خصائصه الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، قوله: "وما الصوم حظر.. الخ" يعني أن من خصائصه صجواز ما حظره الصوم على غيره من قبلة الشهوة فيجوز له ص أن يقبل وهو صائم مع قوة

شهوته فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صيقبل وهو صائم وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صيملك إربه، وأخرج مسلم وابن ماجه عن عائشة كان رسول الله صيباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه، وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة أن رسول الله صكان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها، قوله: "والوصال" هو بالرفع عطف على قوله "وعدم النقض" ويمكن جره عطف على قوله "من قبلة" فيكون داخلا فيما حظره الصوم وعلى كل فجواز الوصال من خصائصه صفقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صقال: إياكم والوصال قالوا فإنك تواصل يا رسول الله قال إني لست كأحدكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني واختلف في معنى هذا الحديث فقيل المراد الحقيقة وأنه يأتيه الطعام والشراب من الجنة وأكل الجنة لا يفطر وقيل المجاز والمراد أنه يجعل فيه قوة الطاعم والشارب والجمهور على أن الوصال في حقه من المباحات وقال إمام الحرمين هو في حقه قربة، قوله: "والقتل في مكة.. الخ" يعني أنه يجوز له صدون غيره القتال في مكة والقتل روى ابن كثير عن ابن عباس في قوله تعالى: {وأنت حل بهذا البلد} قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وقال الحسن البصري: أحلها له ساعة من نهار، وأخرج الشيخان عن أبي شريح العدوي قال سمعت رسول الله صيقول يوم الفتح: إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صفقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وأخرج الشيخان عن أنس أن رسول الله صدخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه.

كـــذا دخولهـــا بـــلا إحـــــرام وكجـــواز الطيـــب فـــي الإحـــــرام

يعني أنه مما خص بإباحته له صدخول مكة شرفها الله دون إحرام أي غير محرم ولا يجوز هذا لغيره أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صدخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام، قوله: "وكجواز الطيب.. الخ" قال في الخصائص قال المالكية استدامة الطيب بعد الإحرام من خصائصه صولأنه من دواعي النكاح نهي الناس عنه وكان هو صأملك الناس لإربه ففعله، ولأنه حبب إليه فرخص له فيه، ولمباشرته الملائكة لأجل الوحي، أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق النبي صوهو محرم.

والانبيـــــاء لا زكـــــاة تجـــب عليهـــــم إذ المقـــــام طيـــب
ومـــا بأيديهـــــم مفـــرق أوان بـــذل وممنـــوع لـــدى غيـــر الأوان

ما ذكره الناظم في البيتين هو من كلام الشيخ تاج الدين بن عطاء الله قال في كتابه التنوير: الأنبياء عليهم السلام لا تجب عليهم الزكاة لأنهم لا ملك لهم مع الله إنما كانوا يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله يبذلونه في محله ويمنعونه في غير محله ولأن الزكاة إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه والأنبياء مبرؤون من الدنس لعصمتهم .

ولـم يكـــن يملـــك مـــالا إنمـــا لـــه التصـــرف ومـــا غنمـــا
يختـار مـا شـاء ويقضـي للولـد ونفســه بعلمــه ولـو بحـــد

قوله: "ولم يكن يملك مالا.. الخ" هو ما تقدم آنفا في كلام ابن عطاء الله، قوله: "ومما غنما يختار ما شاء" يعني أنه يجوز له صأن يختار من المغنم ما شاء أخرج ابن سعد وابن عساكر عن عمرو بن الحكم قال: لما سبيت بني قريظة عرض السبي على رسول الله صفكانت فيه ريحانة بنت زيد بن عمرو فأمر بها فعزلت وكان يكون له صفي من كل مغنم قال ابن عبد البر: سهم الصفي مشهور في الآثار معروف عند أهل العلم ولا يختلف أهل السير أن صفية منه وأجمع العلماء أنه خاص به ص، وذكر الرافعي أن ذا الفقار كان من الصفي، قوله: "ويقضي للولد" يعني أنه صيختص بجواز القضاء لنفسه وولده وجواز القضاء بعلمه ولو كان في حد أورد البيهقي في حكمه صلنفسه شهادة خزيمة قال وإذا جاز ذلك جاز أن يحكم لولده، وأورد البيهقي أيضا في القضاء بعلمه حديث هند بنت عتبة فقد روي أنها أتت رسول الله صوقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي منه أفيحل لي أن آخذ من ماله فقال صخذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك، ومن قضائه صبعلمه في الحد ما يروى من أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن ذياد غيلة لأنه قتل أباه في الجاهلية فقتل رسول الله صالحارث بن سويد ذكره في الشفا ونظمه ابن أجمد فقال:

كابـــن سويـــد قتـــل المجـــذرا سـرا وجبريـــل بـذاك أخبـــرا
لقتلـــــه أبـــاه فيمـــــا غبـــرا فقتـــل الحـارث أشـــرف الـورى

انتهـى.

ولعـــن مـن شـــاء بغيـــر سـبب كذلـــــك الفتـــوى بحـــال الغضـب

يعني أن من خصائصه صجواز لعن من يشاء بلا سبب ظاهر فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صقال: اللهم إني اتخذ عندك عهدا لا

تخلفنيه فإنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيتـه أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة، قوله: "كذلك الفتوى.. الخ" يعني أن من خصائصه صأنه يجوز له أن يفتي ويحكم وهو غضبان لأنه صلا يخرجه غضبه عن حق ولا يدخله رضاه في باطل ذكر ذلك النووي في شرح مسلم عند حديث اللقطة فإنه أفتى فيه وقد غضب حتى احمرت عيناه وذلك والله تعالى أعلم لكثرة سؤاله فقد ورد أنه قال: أعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة فإن ظهر صاحبها وإلا فشأنك بها فقال له السائل فضالة الغنم قال هي لك أو لأخيك أو للذيب فعاد يسأل عن ضالة الإبل فقال وقد غضب عليه السلام مالك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد المياه وترعى الشجر حتى يأتيها صاحبها.

وقتـــل مـن يظـــن بالزنـــى بـــلا بينـــــة أو قـــل فيـــــه حظـــلا

الظاهر في معنى هذا البيت أنه يجوز له صأن يقتل من يظن أنه زنى دون بينة وكذلك يجوز له قتل من ظن أنه سبه أو قال فيه ما لا يجوز ولم أقف على هذا المعنى بعد في ما راجعته من الكتب.

يـدعـــو لمـن يشـــاء بالصـلاة وحلفـــــه بالحنـــــث غيـــــر ءات

يعني أنه صيختص بجواز الدعاء بلفظ الصلاة فيقول: اللهم صل على فلان ولا يجوز ذلك لغيره إلا عاطفا عليه ص، أخرج الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله رإذا أتاه قوم بصدقاتهم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى، وأخرج البيهقي عن ابن عباس لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي صولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار قاله السيوطي في الخصائص.

ولـــه الاستثنـــــاء فـــي اليميـــن ولـــو يكـــــون ذاك بعـــد حيـــن

يعني أنه صيختص بجواز الاستثناء الغير المتصل باليمين، أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: {واذكر ربك إذا نسيت} أي إذا نسيت الاستثناء فاستثن إذا ذكرت وقال هي خاصة به صوليس لأحد منا أن يستثني إلا في صلة اليمين.

<u>القسم الثامن:</u> فيما اختص به من الكرامات والفضائل:

ثـــم مـــن الإكـــرام أن مالـــــه بـــاق بملكـــــه وليـــــس مالـــــه
لوارثيـــه والخـــروج يجـــــب علـى الجميـع حـين يغـزو الطيـب

والضمير في "ماله" الأولى مجرور بالإضافة وفي "ماله" الأخرى مجرور باللام إذ "ما" فيها موصول اسمي بمعنى الذي. يعني أن مما أكرم به صكون

ماله باق في ملكه بعد موته وليس للورثة، قال الأفقهسي: اختلف هل ما تركه صباق على ملكه ينفق على أهله منه كحياته ، أو سبيله سبيل الصدقات، ثم قال: والصواب أنه صدقة ، لقوله ص: "ما تركناه صدقة"، وعزى جسوس والحطاب للمشاور ما يخالف ما صوبه. قوله: "والخروج يجب" يعني أنه صإذا خرج في غزوة يجب الخروج على الحاضرين جميعا، ولا يجوز التخلف إلا بعذر، قال تعالى: {ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه}، قال القطربي هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، وقال قتادة: كان هذا خاصا بالنبي صإذا غزا بنفسه، فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر، قال القرطبي: قلت قول قتادة حسن بدليل غزاة تبوك والله تعالى أعلم.

وحاضر من رام ظلما وجبا عليه بذل النفس دون المجتبى
إذ يلزم الإيثار للمكرم حبا على المهجة كل مسلم

يعني أنه يجب على من حضر لمن يريد ظلما كالفتك به صأو قتله أو غير ذلك مما لا يليق أن يبذل نفسه دونه ويجود بها، وذلك لأنه يجب على كل مسلم أن يؤثره على مهجته حبا له ص، فقد روي أنه صقال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وماله"، وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال له ص: "لا يتم إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك"، فقال عمر: أنت أحب إلي من كل شيء حتى نفسي التي بين جنبي . قال الحطاب: فرع: قال القرطبي أبيح له عليه الصلاة والسلام أخذ الطعام والشراب من الجائع والعطشان وإن كان من هو معه يخاف عليه التلف لقوله تعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}، وعلى كل أحد أن يقي النبي صبنفسه.

وتحرم الرؤية للأزواج في أزر كذا سؤال غير المختفي

قال الحطاب في حاشيته: قال الشيخ جلال الدين الأسيوطي في حاشية البخاري في كتاب الوضوء في باب خروج النساء إلى البراز: ذكر القاضي عياض وغيره أن من خصائص النبي صتحريم رؤية أشخاص أزواجه صولو في الأزر تكريما له، ولذا لم يكن يصلي على أمهات المؤمنين إذا ماتت إحداهن إلا محارمها لئلا يرى شخصها في الكفن حتى اتخذت القبة على التابوت. وقوله: "كذا سؤال.. الخ" أي لا يجوز أن يسأل أحد أمهات المؤمنين إلا مختفيا وراء حجاب، قال تعالى: {وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب}، قال القرطبي في هذه الآية دليل على جواز

مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها.

وجاز أن يجلسن في المسجد مع حيض، ورفع الصوت عنده امتنع

يعني أن من إكرامه صأن زوجاته يجوز لهن الجلوس في المسجد وهن حيض، وقد تقدم النص على ذلك عند الكلام على خصوصية مقامه صفي المسجد جنبا، قوله: "ورفع الصوت.. الخ" يعني أنه لا يجوز رفع الصوت بحضرته صإكراما له، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي...} الآيات. إلى قوله تعالى: {إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله... }الآية. قال جماعة: ويكره رفع الصوت عند قبره ص، لأن حرمته ميتا كحرمته حيا، وروى أبو حميد قال ناظر أبو جعفر المنصور مالكا في مسجد رسول الله صوكان بين يدي الخليفة في ذلك اليوم خمسمائة سيف فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوما فقال: {لا ترفعوا أصواتكم}الآية. وذم قوما فقال: {إن الذين ينادونك من وراء الحجرات..}الآية. وإن حرمة رسول الله صميتا كحرمته حيا، فاستكان الخليفة.

كذا النداء من وراء الحجرات أو من بعيد عد في المحرمات

قال تعالى: {إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم}، قوله: "أو من بعيد" يعني ولو لم يكن من وراء حجرة، أخرج أبو نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا}، قال: يريد يصيح من بعيد يا أبا القاسم، ولكن كما قال الله تعالى: {إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله}الآية.

كذا التزوج على البنات ثم كلا صهريه في الجنات

يعني أنه مما أكرم به صمنع التزوج على بناته عامة، وقيل على فاطمة خاصة، فقد أخرج الشيخان عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صيقول وهو على المنبر: "إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا بنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها"، قال في فتح الباري: والذي يظهر لي أنه لا يبعد

أن يعد في خصائص النبي صألا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصا بفاطمة عليها السلام.

كـذا التقـدم ولـيس مفتـري عليـه مثـل غيـره، وهـو بـري
مـن كـل ذنـب مطلقـا ووجبـا وداده كالأهـل أو مـن صحبـا

يعني أن من خصائصه صمنع التقدم عليه في القول والفعل، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم}، قال القرطبي: كان في العرب جفاء وسوء أدب في خطاب النبي صوتلقيب الناس فالسورة نزلت في مكارم الأخلاق ورعاية الآداب، وقرأ الضحاك والحضرمي: لا تقدموا – بفتح التاء والدال- والباقون: تقدموا – بضم التاء وكسر الدال- ومعناهما ظاهر ، أي لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا، ومن قدم قوله أو فعله على الرسول صفقد قدمه على الله تعالى، لأن الرسول صإنما يأمر عن أمر الله عز وجل. قال: واختلف في سبب نزولها على أقوال ستة: الأول: ما ذكره الواحدي من حديث ابن جريج، قال حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله ابن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله صفقال أبو بكر أمر القعقاع، وقال عمر أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} إلى قوله: {ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم}، رواه البخاري عن محمد بن الصباح وذكره المهدوي أيضا ، وهو أشهر الأقوال فلتنظر في القرطبي. قوله: "وليس مفتري عليه.. الخ" يعني أنه يختص بكون الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فقد أخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صقال: "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، قال النووي وغيره: الكذب عليه صمن الكبائر، وقال الجويني هو كفر، فإن تاب منه فذهب جماعة منهم الإمام أحمد والصيرفي وخلائق أنه لا تقبل له رواية وإن حسنت حاله بخلاف التائب من الكذب على غيره. قوله: "وهو بري.. الخ" يعني أنه صمعصوم من كل ذنب كبيرا كان أو صغيرا عمدا أو سهوا، قال السبكي في تفسيره عند قوله تعالى: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}، أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ، وفي غير ذلك من الكبائر، ومن الصغائر الرذيلة التي تحط مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر هذه الأربعة مجمع عليها، واختلف في الصغائر التي لا تحط مرتبتهم ، فذهبت المعتزلة وكثير من غيرهم إلى

جوازها، والمختار المنع لأنا ما مورون بالاقتداء بهم في كل ما يصدر منهم من قول وفعل، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي ويؤمر بالاقتداء فيه، قال: والذي جوز ذلك لم يجوزه بنص ولا دليل، إنما أخذ ذلك من هذه الآية: {ليغفر لك الله ما تقدم}الآية السابقة، قال: ولقد تأملتها مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا وجها واحدا، وهو تشريف النبي صمن غير أن يكون هناك ذنب ، لكنه أريد في الآية أن يستوعب جميع أنواع النعم الأخروية من الله على عباده وجميع النعم الأخروية شيئان: سلبية وهي غفران الذنوب، وثبوتية وهي لا تتناهى أشار لها بقوله تعالى: {ويتم نعمته عليك}، وجميع النعم الدنيوية شيئان: دينية أشار إليه بقوله : {ويهديك صراطا مستقيما}، ودنيوية وهي قوله تعالى: {وينصرك الله نصرا عزيزا}... إلى أن قال: وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة، ثم على تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب أنه لم يقع منه صذنب... إلى آخر كلامه فلينظر. قوله: "ووجبا وداده... الخ" يعني أنه يجب على كل مسلم أن يحبه ص أعلى المحبة ، ويحب آله أي أهل بيته ويحب أصحابه، قال الله تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها...}الآية، قال في الشفا: فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ص ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ص، إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: {فتربصوا حتى يأتي الله بأمره}، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله ، وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ص قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ص: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي ص: "لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي ص: الآن يا عمر، قال سهل: من لم ير ولاية الرسول ص في جميع الأحوال، ويرى نفسه في ملكه ص لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي ص قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه" الحديث. وعن أنس عنه ص: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار. وأما حب آله ص وبرهم وتوقيرهم فهو من لوازم حبه ص، وقد روي عن زيد بن أرقم أنه ص قال: "أنشدكم الله في أهل بيتي ثلاثا" قال الراوي:

قلنا لزيد من أهل بيته؟ قال: آل علي ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وقال ص: "إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما"، وقال ص: "معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب"، قال بعض العلماء: معرفتهم هي معرفة مكانه من النبي ص، وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه، وعن عمر بن أبي سلمة قال: لما نزلت {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت}، وذلك في بيت أم سلمة دعا النبي ص فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعن سعيد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي ص عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال: اللهم هؤلاء أهلي، وقال النبي ص في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وقال فيه: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، وقال ص للعباس: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله، ومن آذى عمي فقد آذاني، وإنما عم الرجل صنو أبيه ، وقال أبو بكر رضي الله عنه: ارقبوا محمدا في أهل بيته، وقال أيضا: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ص أحب إلي أن أصل من قرابتي، وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال: أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي: إذا كان لك حاجة فارسل إلي أو اكتب فإني أستحي من الله أن يراك على بابي، وأما حب أصحابه ص وبرهم وتوقيرهم فهو كذلك من حبه ص ، فيجب على كل مسلم حبهم وتوقيرهم وبرهم ومعرفة حقهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم أحسن التاويلات ويخرج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء، ولا يغمص عليهم أمر، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال ص: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا" قال الله تعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...}، وقال: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار... }، وقال: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...}، وقال: {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...}، وقال رسول الله ص: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص: "مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به"، وقال:

"الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك الله أن يأخذه"، وعنهص: "من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة ".

فائـــــدة: حقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان، والموافقة إما باستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليه لموافقته له، وإما لاستلذاذه بحاسة عقله وقلبه معاني لطيفة باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واختزام النفوس، وإما أن يكون حبه له لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه، فقد جبلت النفوس على حب المحسن إليها، فإذا علمت هذا فرسول الله ص جامع لهذه المعاني الثلاثة من جمال الصورة الظاهرة وكمال الأخلاق الباطنة وعظيم الإحسان في الدنيا والآخرة فلا غرابة إذا كان حبه فوق أعلى مراتب الحب، هذا مع كونه قربة وزلفى إلى الله تعالى.

وكـــل فضـــلة مـــن الوجيـــــه طهـــر منـــزه عـــن المكـــــــروه

"الوجيه" السيد وذو الجاه، وهو محمد ص يعني أن فضلات سيدنا محمد ص طاهرة منزهة عن الكراهة والاستقذار، كما قد قال بذلك الكثير من العلماء، وقد مر حديث المرأة التي شربت بوله ص وتقريره إياها على ذلك ، بل إنه قال لها: لن تشتكي بطنك بعد اليوم، وما اشتكته، قال القاضي في الشفا: وقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه ص وهو قول بعض أصحاب الشافعي، حكاه الإمام ابن نصر بن الصباغ في شامله، وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية، وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية، وشاهد هذا أنه ص لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب، ومنه حديث علي رضي الله عنه: غسلت النبي ص فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت: طبت حيا وميتا.

وبالســـلام فـــي الصـــلاة خوطبـــا وأن يجيبـــــه المصـــلي وجبـــا

يعني أن من خصائصه ص أن المصلي يخاطبه في الصلاة يقول: السلام عليك أيها النبي... قوله: "وان يجيبه المصلي.. الخ"، روى البخاري عن أبي

سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ص فلم أجبه ، ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: "ألم يقل الله عز وجل : {استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم}"، قال القرطبي: قال الشافعي رحمه الله: هذا دليل على أن فعل الفرض أو القول الفرض إذا أتى به في الصلاة لا تبطل لأمر رسول الله ص بالإجابة وإن كان في الصلاة، قال القرطبي: قلت: وفيه حجة لقول الأوزاعي: لو أن رجلا يصلي فأبصر غلاما يريد أن يسقط في بئر فصاح به وانصرف إليه وانتهره لم يكن بذلك باس والله تعالى أعلم.

كـذاك الاستمـاع حـين يجهـر كالوحـي والنكـاح نفـلا يصـدر

يعني أن من خصائصه ص وجوب الاستماع إليه إذا كان يجهر بالقراءة، قال القرطبي في تفسيره في الكلام على قوله تعالى: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا}، قال بعضهم كان هذا لرسول الله ص خاصا ليعيه عنه أصحابه، وفي الآية تفاسير غير هذا ذكرها القرطبي، وقال إن القول بالخصوصبة فيه بعد، والصحيح أنها عامة، وفي الموطأ: وحدثني عن مالك عن ابن شهاب عن ابن أكيمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله ص انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: هل قرأ معي منكم أحد آنفا، فقال رجل: نعم أنا يا رسول الله، قال : فقال رسول الله ص: "إني أقول مالي أنازع القرآن" فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر فيه رسول الله ص. قوله: "والنكاح نفلا.. الخ" يعني أن من خصائصه ص أن النكاح في حقه طاعة، قال القرطبي في فوائد كثرة ما يحل له من النساء: ولأن النكاح في حقه عبادة.

وقـاذف الأزواج لا توبـة لـه ومـا بغـت للانبيـا مبتلـه

يعني أن من قذف إحدى زوجاته ص بعد نزول الآيات في تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به لا توبة له، أي لا تقبل توبته، وذلك لأن الله تعالى قال: {الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم}، وقيل إن هذا خاص بعائشة رضي الله عنها لأن الآيات نزلت فيها، قوله: "وما بغت.. الخ" يعني أن زوجات الأنبياء لا يزنين، قال الشعراني في كشف الغمة: ولم تبغ امرأة نبي قط، "والمبتلة" المنقطعة عن الرجال، أو الجميلة، والمراد زوجة مبتلة للأنبياء أي مميزة لهم أو منقطعة، والله تعالى أعلم.

ورؤيـــا الانبيـــاء وحـــي العمـــى وطـول الاغمـــا والجنـون حرمـــا
علـــــيهم إذ هـــــم منزهونـــــا فـــي الخلـــق والخلـــق سالمـــونا

أخرج الطبراني عن معاذ بن جبل ما رأى رسول الله ص في نومه أو يقظته فهو حق، وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى: {إني رأيت أحد عشر كوكبا، قال: رؤيا الأنبياء وحي ، قوله: "وطول الاغما.. الخ" يعني أن من خصائصه ص وسائر الأنبياء عليهم السلام أنه لا يجوز عليهم الجنون لأنه نقص بخلاف الإغماء، قال في الخصائص: وقال الشيخ أبو حامد: لا يجوز عليهم أيضا الإغماء الطويل الزمن وجزم به البلقيني في الروضة ونبه السبكي على أن الإغماء الذي يحصل لهم ليس كالإغماء الذي يحصل لآحاد الناس وإنما غلبة الأوجاع للحواس الظاهرة فقط دون القلب، قال لأنه قد ورد أنه تنام أعينهم دون قلوبهم فعصمت من النوم الذي هو أخف من الإغماء، فمن الإغماء بالطريق الأولى، قال السبكي: ولا يجوز عليهم العمى أيضا لأنه نقص ولم يعم نبي قط، وما ذكر عن شعيب أنه كان ضريرا فلم يثبت، وأما يعقوب فحصلت له غشاوة ثم زالت والله تعالى أعلم.

يخـص مـن شـاء بمـا شـاء كمـــا لرضـــع ســـالم وأســـماء انتمـــــى

يعني أن من خصائصه ص أنه يجوز له أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام ثم ذكر أشياء مثلا لذلك منها: إرضاع سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة لسالم مولاه وهو كبير فصار محرما لها، روى ابن سعد والحاكم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن سهلة بنت سهيل أنها ذكرت لرسول الله ص سالما مولى أبي حذيفة ودخوله عليها فأمرها أن ترضعه فأرضعته وهو رجل كبير بعدما شهد بدرا، وأخرج الشيخان عن أم سلمة أن أزواجه ص قلن إنها رخصة من رسول الله ص لسالم خالصة، وفي لفظ لسهلة بنت سهيل خاصة، وأخرج الحاكم عن ربيعة كانت رخصة لسالم، ويذكر أن عائشة رضي الله عنها عممته فأعملت رضاعة الكبير. قوله: "وأسماء" يعني بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب، فقد خصها ص بأن أسقط عنها الحداد بعد ثلاث ليال، أخرج ابن سعد عن أسماء قالت: لما أصيب جعفر بن أبي طالب قال لي رسول الله ص: تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت.

وعمـــه والجمـع بـين الاســـــم وكنيـــة لولـد ابـن العـــــــــم

عمه هو العباس بن عبد المطلب خصه رسول الله ص بتعجيل صدقته قبل أن تحل عليه ، أخرج ابن سعد عن علي أن العباس سأل رسول الله ص في تعجيل صدقته قبل أن تحل عليه فرخص له في ذلك، وأخرج ابن سعد أيضا

عن الحكم بن عيينة أن رسول الله ص تعجل من العباس صدقة سنتين. قوله: "لولد ابن العم" هو محمد بن علي المعروف بابن الحنفية خصه ص بجواز الجمع بين اسمه ص وكنيته ولم يجز ذلك لغيره، أخرج ابن سعد عن منذر الثوري قال: وقع بين علي وطلحة كلام، فقال طلحة: لا كجراءتك على رسول الله ص سميت باسمه وكنيت بكنيته، وقد نهى ص أن يجمعهما أحد من أمته بعده، فدعا علي بنفر من قريش فقالوا: نشهد أن رسول الله ص قال: إنه سيولد لك غلام بعدي فقد نحلته اسمي وكنيتي ولا تحل لأحد من أمتي بعده، وأخرج ابن سعد من طريق منذر الثوري قال سمعت محمد بن الحنفية قال: كانت رخصة لعلي قال: يا رسول الله إن ولد لي ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك قال: نعم.

والبـــاب والخوخـــة والعنـــاق والـرد بعـد ثالـث الطـــــــلاق

قوله: "والباب والخوخة" يشير إلى ما خص به ص في آخر حياته أبا بكر رضي الله عنه من إبقاء بابه الشارع في المسجد أو خوخته مفتوحا وإغلاق ما سواه من ذلك لغيره، ففي البخاري: لا يبقين باب في المسجد إلا سد إلا باب أبي بكر ، وفي رواية مالك: خوخة بدل باب، قال في فتح الباري: والخوخة طاقة في الجدار تفتح لأجل الضوء وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب، وهو المطلوب هنا، ولهذا أطلق عليها باب، والمعنى لا تبقوا بابا غير مسدود إلا باب أبي بكر فاتركوه بغير سد، قال الخطابي وابن بطال وغيرهما هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر. قوله: "والعناق" يشير إلى ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ضحى خال لي يقال له: أبو بردة قبل الصلاة فقال له رسول الله ص: "شاتك شاة لحم" فقال يا رسول الله إن عندي داجنا جذعة من المعز، قال: اذبحها ولا تصلح لغيرك، ثم قال: من ذبح قبل الصلاة إنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين. قوله: "والرد بعد ثالث الطلاق" لم أقف في هذه الخصوصية إلا على ما رواه محمد بن إسحاق محتجا به على أن طلاق الثلاث مجتمعا يكون واحدة عن داوود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: طلق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثا في مجلس واحد، فحزن عليها حزنا شديدا فسأله النبي ص كيف طلقها، قال: ثلاثا في مجلس واحد، فقال النبي ص: "إنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت فارتجعها" وأخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه من طريق ابن إسحاق. انظر فتح الباري.

وكخزيمـــــــة وكالمجـــــامع فـــي رمضٍـــان والزبيـــر القـــانع

خزيمة رجل من الأنصار شهد للنبي صعلى رجل كان قد ابتاع منه فرسا وأنكر الرجل وقوع البيع وطلب من النبي صمن يشهد له فجاء بعض الناس وفيهم خزيمة المذكور فاستمع إلى رسول الله صوهو يقول: إنه اشترى الفرس، والرجل ينفي ويطلب شاهدا من المسلمين، فقال خزيمة أنا أشهد أنه اشتراه منك، فقال له ص: "لم تشهد وأنت لم تحضر" قال: لأني أشهد بصدقكك يا رسول الله فجعل رسول الله صشهادة خزيمة شهادة رجلين، وقد روى حديث القصة أبو داود والنسائي من طريق عمارة بن خيثمة الأنصاري. قوله: "وكالمجامع في رمضان" قال بعضهم هو سلمان أو سلمة بن صخر البياضي، وقال ابن حجر إنه غلط، وإن سلمة بن صخر هو الذي وقع على امرأته بعد أن ظاهر منها، وأما الآخر فقال إنه لم يقف على اسمه إلا أنه من بني بياضة وقصته هي ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صإذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، قال: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟ قال: لا، فسكت النبي ص، فبينما نحن على ذلك إذ أتي النبي صبعرق فيها تمر – والعرق: المكتل- قال: أين السائل؟ قال: أنا، قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوا الله ما بين لا بتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي صحتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك. قال الزهري: هذا خاص بهذا الرجل وإلى هذا نحا إمام الحرمين قاله في فتح الباري. قوله: "والزبير" أي وكتخصيصه صالزبير بن العوام بجواز لبس الحرير لحكة كانت به، وكذلك عبد الرحمن بن عوف، روى البخاري عن أنس قال: رخص النبي صللزبير وعبد الرحمن في الحرير لحكة بهما، قال في فتح الباري: وفي وجه للشافعية أن الرخصة خاصة بالزبير وعبد الرحمن، وقال القرطبي: الحديث حجة على من منع إلا أن يدعي الخصوصية بالزبير وعبد الرحمن ولا تصح تلك الدعوى، قال في فتح الباري: قلت: قد جنح إلى ذلك عمر رضي الله عنه فروى ابن عساكر من طريق ابن عوف عن ابن سيرين أن عمر رأى على خالد بن الوليد قميص حرير فقال: ما هذا؟ فذكر له خالد قصة عبد الرحمن بن عوف فقال: وأنت مثل عبد الرحمن ؟ أولك مثل ما لعبد الرحمن ؟ ثم أمر من حضر فمزقوه. والله تعالى أعلم.

والنـــار شيئـــا مســـه لا تاكـــل وذا جميـــع الأنبيـــاء شامـــــــل

لم أر من صرح بما في هذا البيت، وقد يكون أخذه من قال به من حديث ابن عباس عند مسلم: إن أهون أهل النار عذابا أبو طالب، له نعلان يغلي منهما دماغه. ولأحمد من حديث أبي هريرة مثله لكن لم يسم أبا طالب، وجهة أخذه منه هو ما يقال أنه صمسح جميع بدن أبي طالب عند الموت سوى ما سفل عن كعبيه، كف عنه حين نزلت عليه الآية: {إنك لا تهدي من أحببت}، والله تعالى أعلم.

ثـم التسـمي باسمـه ميمـون فـي تـي وتلـك الـدار لا ممنـون

أخرج ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك عن جهم بن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبي صقال: "من تسمى باسمي يرجوا بركتي غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة"، قال السيوطي في الخصائص: ويجب توقير وتعظيم واحترام من تسمى باسمه، روى البزار وابن عدي وأبو يعلى والحاكم عن أنس أن النبي صقال: "تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم؟!"، وأخرج البزار عن أبي رافع سمعت رسول الله صيقول: إذا سميتم محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه. وقول الناظم رضي الله عنه: "لا ممنون" أي لا مقطوع ذلك بأن يكون في الدنيا فقط، وذلك ما في قوله ص: "وراحت ... الخ".

وحمـل مـا صـاحب فـي الخـلاء يكـــره إذ ذا مـــن الازدراء

يعني أن حمل ما صاحبه اسمه صمن كتاب ونحوه في حالة الاختلاء مكروه، إذ ليس من تعظيمه ص، ذلك وتعظيمه وإجلاله صواجب على الجميع.

وللحـديث ينـدب الإجـــلال والطيـب والكرسـي والاغتسـال

قال في الشفا: قال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صتوضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث، قال مصعب: فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله ص. قال مطرف: كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس تاجه وتعمم ووضع على رأسه رداء وتلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولا يزال يتبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ص. قال غيره: ولم يكن يجلس على المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله ص، فقيل لمالك في ذلك: قال إني أحب أن أعظم حديث رسول الله ص، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا. قال: وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل، وقال: أحب أن أفهم حديث رسول

الله ص، قال ضرار بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء، ونحوه عن قتادة، وكان الأعمش إذا حدث وهو على غير وضوء تيمم. وبالجملة فتعظيم حديث رسول الله صأمر واجب لأنه من تعظيمه صوللسلف من ذلك ما لا يمكن حصره وهم أهل لذلك كما هو أهل له عليه الصلاة والسلام.

(وفي معنى هذا البيت معنى البيت التالي):

ثـــم حديثـــه عبـــادة كمـــــا يثـاب بـالقرآن أجـره انتمـــــى

ويحـرز الصـحبة مـن بـه اجتمـع ولـو بلحظـة لمـا مـن النـور سـطع

يعني أن من خصائصه عليه الصلاة والسلام أن الصحبة تثبت لمن اجتمع به صولو لحظة، بخلاف التابعي مع الصحابي فلا يثبت له اسم التابعي إلا بطول الاجتماع مع الصحابة على الأصح عند أهل الأصول، والفارق عظم منصب النبوة ونورها، فبمجرد ما يقع بصره صعلى الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة، قاله السيوطي في الخصائص الكبرى.

والصـحب كلهـم عـدول لـيس مـا يفسـق الغيـر بفسـق الكرمـــــا

قال ص: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وقال في الخصائص: ومن خصائصه صأن أصحابه كلهم عدول بإجماع من يعتد به ، فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن عدالة الرواة فقد قال ص: "خير الناس قرني".

وخولـوا الجنـة والرضـــوانا مســـيئهم ومـــن أتـــى إحســـانا

قال الله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة}، وأخرج بن منيع والطبراني في الأوسط عن حذيفة عن النبي صقال: "يكون لأصحابي بعدي زلة يغفرها الله لهم بسابقتهم معي، يعمل بها قوم من بعدي يكبهم الله في النار على مناخرهم"، وأخرج ابن عساكر عن بريدة قال: قال رسول الله ص: "من مات من أصحابي ببلدة فهو قائدهم وإمامهم ونورهم يوم القيامة"، وقال القاضي عياض في الشفا: وفي حديث جابر: "إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين".

وقبـــره تنـــدب للنســـاء لـــه الزيـــارة بـــلا امتـــراء

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ص: "من زار قبري وجبت له شفاعتي"، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص: "من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكتبت له شفيعا يوم

القيامة"، وفي حديث آخر: "من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي"، قال القاضي عياض: زيارة قبره سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها.

وكـل إنسـان بفيـه ملكـان صـلاته فقـط عليـه يكتبـان

جاء في تفسير الطبري من طريق كنانة العدوي أن عثمان سأل النبي صعن عدد الملائكة الموكلين بالآدمي، فقال: "لكل آدمي عشرة ملائكة بالليل وعشرة بالنهار: واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، واثنان من بين يديه، ومن خلفه، واثنان على شفتيه ليس يحفظان إلا الصلاة على محمد، واثنان على جنبيه، وآخر قابض بناصيته فإن تواضع رفعه وإن تكبر وضعه، والعاشر يحرسه من الحية أن تدخل فاه، أي إذا نام". انتهى من سعادة الدارين.

وتجـب الصـلاة فـي مشهـور عليـه فـي التشهـد الأخيـر

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد، قال مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي صفرض بالجملة بعد الإيمان لا يتعين في الصلاة، وأن من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه. وقال أصحاب الشافعي: الفرض منها الذي أمر الله تعالى به ورسوله صهو في الصلاة قالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة، قال الشافعي: من لم يصل على النبي ص بعد التشهد الأخير قبل السلام فصلاته فاسدة، وإن صلى قبل ذلك لم تجزه، وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان، وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صفريضة، قال أبو محمد: يريد ليست من فرائض الصلاة، وحكى ابن القصار أن ابن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي، وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال: الوجوب والسنة والندب، وفي الحديث: "لا صلاة لمن لم يصل علي"، قال ابن القصار: معناه كاملة ، أو لمن لم يصل علي مرة في عمره. وضعف أهل العلم كلهم رواية هذا الحديث، قاله عياض، وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي ص: "من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه"، قال الدارقطني: الصواب أنه من قول أبي جعفر. والله تعالى أعلم.

ومـن يصـلي عنـدما كـان قـذر أو لكنايـة عـن الشـتم كفـر

يعني والله تعالى أعلم أن من صلى على النبي صفي مكان قذر مستخفا بها كُـفـِرَ ، لأن ذلك ازدراء بحقه ص، قوله: "ولكناية.. الخ" يعني أن من كنى

عن ذم أحد بالصلاة على النبي صكفر، وذلك لعدم الاتيان بها في محلها، قال ابن اجمد:

وكل من بذي الصـــلاة كنـــى عن شتم غير كفره قد عنـــا

ويكفـــر الـــذي عليـــه حكمـــا فأضمـــر الفـــؤاد منـــه ألمـــا

قال تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}.

ولا يكـــافي الآل فـــي النكـــاح مـــن شـــخص وبالأشـــراف آلـــه قمـــن

"لا يكافى" بالبناء للمجهول، يعني أن كفاءة آله صلا توازن بكفاءة سواهم في النكاح، لأن الكفاءة في الشرع بالدين والحسب ولا أعلى منهم في ذلك لاسيما إذا كان المراد أبناء فاطمة رضي الله عنها، لأن أولادها ينسبون إليه صفي الكفاءة وغيرها، قاله بنيس، قوله: "وبالأشراف.. الخ" يعني أن من خصائصه صأن آله يسمون الأشراف، أي يطلق ذلك عليهم وآله رضي الله عنهم هم أبناء علي وأبناء جعفر وآل عقيل وآل العباس كما رواه ابن حبان عن زيد بن أرقم، قاله في الشفا، ويختص أبناء فاطمة في زماننا بالأشراف، فلا يطلق ذلك على غيرهم وإن كان من الآل، وقد وقع هذا قديما بمصر دون غيرها من سائر البلاد، قاله الشعراني.

وابنتـــه فاطمـــة الزهـــراء لـــم تتـــرك صـــلاة قـــط إذ لـــم تـــر دم

حـــوراء آدميـــة قـــد طهـــرت وانفـــردت بالغســـل حـــين احتضـــرت

قال السيوطي: روى الخطابي مرفوعا "إن ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث"، وسميت فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومحبيها من النار، رواه الغساني مرفوعا، وقال بنيس في شرح الهمزية: سميت بالزهراء لأنها لم تحض، قوله: "وانفردت.. الخ" روى أحمد في المناقب أنها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت: أنا مقبوضة الآن فلا يغسلني أحد ولا يكفني فامتثل علي وصيتها، قال في شرح الهمزية: وورد أيضا أنها أمرت فاطمة بنت عميس بغسلها قال وهذا مقدم لأن الأصل عدم الخصوصية والله تعالى أعلم.

وهـــي وإبـــراهيم فضـــلا علـــى ذوي الرشـــاد الخلفـــاء الفضـــلا

يعني أن فاطمة وأخاها إبراهيم عليهما السلام أفضل في رأي بعضهم من الخلفاء الراشدين، ذكر ذلك علم الدين العراقي، وقال في شرح همزية البصيري، وروي عن مالك أنه قال لما سئل عن ذلك: لا أفضل على بضعة من النبي أحدا، وقال بعض العارفين: أما من حيث المعارف والأسرار الربانية فأبوبكر أفضل، ثم على الترتيب، وأما من حيث البضعة ففاطمة

أفضل، فكأنه يريد أن فاطمة أفضل من حيث الجوهر والجسم، وأبو بكر أشرف من حيث العرض القائم بالجسم والسر المتوارد عليه انتهى من بنيس.

والشعر لن تمسه النار ولن تمس جلد مسلم به اقترن
كان لوطئه على الصخر أثر ومس باليد فأسلم عمر

قال السيوطي: ومما أورده رزين في الخصائص أنه كان صإذا وطء على الصخر أثر فيه، وقال التبريزي الحنبلي - تلميذ ابن القيم- : وأما إلانة الحديد لداود عليه السلام معروفة بالنار، وقد ألان الله تعالى لمحمد صالحجارة، ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا بغيرها، وهذا أبلغ ثم وأعجب من هذا أنه كان إذا مشى على الصخر لان تحت قدمه، وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة ولله در القائل:

هذا الذي اختاره الباري وأرسله برا رؤوفا رحيما بالمساكين
إن سار في الرمل لم ننظر له أثرا وإن علا الصخر عاد الصخر كالطين
ويحرم الدخول في البيت بلا إذن كذا الجلوس حيث طولا

يعني أن من خصائصه صأنه يحرم الدخول في بيوته صإلا بإذن أي دعوة ثم إذن، وكذا يحرم الجلوس الطويل في بيوته بعد الفراغ مما دعي إليه الشخص، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يوذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم...} إلى آخر الآيات، قال القرطبي: الجمهور من المفسرين على أن سببها أن رسول الله صلما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صوزوجه مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على رسول الله ص، قال أنس: فما أدري أأنا أخبرت النبي صأن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقي الستر بيني وبينه ونزل الحجاب، قال: ووعظ القوم بما وعظوا به وأنزل الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا} الآية، وقال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي صفيدخلون قبل أن يدرك الطعام، فيقعدون إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، قال القرطبي: ودخل في النهي سائر المؤمنين والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبل لانتظار نضج الطعام.

والابن إبراهيم لم يصلى عليه إذ شأن أبيه جلا
صلى على حمزة والقبور عن دفنها بزمن كثير

يعني أنه صخص حمزة بن عبد المطلب بالصلاة عليه وهو شهيد معركة، قوله: "والقبور.. الخ" يعني أنه خص بالصلاة على صاحب القبر بعد دفنه بزمن كثير فقد ورد أنه ص صلى على قبر البراء بن معرور بعد موته بشهر، و"عن" في البيت بمعنى بعد، والله تعالى أعلم.

وللنبي جاز قول احكم بما شئت يكن موافقا ما حكما

من ما ذكره الناظم في البيت قصة تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة وهي مروية في الصحيح وغيره، فقد جاء في حديث جابر عند ابن عائذ فقال أي رسول الله ص: "احكم فيهم يا سعد" قال الله ورسوله أحق بالحكم، قال قد أمرك الله تعالى أن تحكم فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم، فقال له رسول الله ص: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

والأنبيا نزههم تعالى عن المعاصي ربهم إجلالا

قال عياض في الشفا: أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، قال: ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو إسحاق، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة، والجمهور قائل أنهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم، وحسين النجار قال: لا قدرة لهم على المعاصي أصلا، وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمتحدثين والمتكلمين، وكذلك اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة: فأثبتها قوم ونفاها آخرون، قال القاضي: والصحيح إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب.

خروجه عليه بعض نصا من فرج أمه وليس نقصا

البعض الذي نص على خروجه من فرج أمه لم أقف عليه، أو لا أتذكره الآن مع أنه لا يحتاج إليه لأن عادة البشر قاضية بذلك قبل أن يثبت تخصيصه بالخروج من محل آخر، قوله: "وليس نقصا" بل النقص غيره كما ذكر بعضهم فإن المجرى العادي للإنسان في الظاهر إذا اختل يكون ذلك نقصا، كما إذا كان يتكلم بأذنه أو أنفه وهو صبشري الظاهر ملكي الباطن، والله تعالى أعلم.

وعنـــد ميـــــلادهم لا ينخـــس إياهـــم الشيطـــان إذ قـــد حرســـوا

ورد في بعض الأحاديث أن الشيطان يطعن في خاصرة كل مولود، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة قال لما ولد النبي صأشرقت الأرض نورا فقال إبليس: لقد ولد الليلة مولود يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده لو ذهبت إليه فخبلته فلما دنى من النبي صبعث إليه جبريل فركضه ركضة فوقع بعدن، وقال رسول الله صحين لد خشية أن يكون ما به ذات الجنب إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي ، وقال ص: "إن عيسى كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب".

تـــؤتى حقـــائق الأمـــور الأنبيـــا ثـــم يطـــالع المثـــال الأوليـــــــا

يعني والله تعالى أعلم أن الأنبياء عليهم السلام يطلعهم الله تعالى على حقائق الأمور الغيبية فيكون إخبارهم عنها إخبارا عن الحقيقة لا خلل فيه، وأما الأولياء فإنهم يطالعون المثال أي الصورة فقد يلحق ما أخبروا به الخلل.

والأنبيـــا يحيـــون دارس العظـــام ثـــم يعـــيش زمنـــــا دون الكـــرام

قال القرطبي عند قوله تعالى: {وأحيي الموتى بإذن الله}، قيل أحيى عيسى عليه السلام أربعة أنفس: العاذر وكان صديقا له، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح فالله أعلم، فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقام بإذن الله وودكه يقطر فعاش وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، وأما بنت العاشر فكان قد أتى عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولد لها، فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا، بل أصابتهم سكتة، فأحي لنا سام بن نوح فقال لهم دلوني على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال له عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب، فقال: يا روح الله إنك دعوتني فسمعت صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسي، وقد أحيى الله الموتى لنبينا ص وسيأتي أحاديث ذلك في باب المعجزات، قوله: "دون الكرام" يعني الأولياء فإحياء الموتى من خصائص الأنبياء.

والأنبيـــــاء لهـــم بـــالموقف منابـــر عـــن مـــن سواهـــم تنتفـــي

قال القرطبي في التذكرة في باب الشفاعة العامة أن الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء على منابر صغار دونهم، ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسي من نور، والشهداء والصالحون كقراء القرآن

والمؤذنون على كثبان من مسك، قال: وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ص. انتهى منه وقد عزاه إلى أبي حامد، وقال إنه ذكره في آخر كتاب كشف علوم الآخرة.

ورؤيـــة الإلـــــه فـــي المنـــام جائـــــزة لصاحـــــب المقـــام

قال في فتح الباري نقلا عن عياض: ولم يختلف العلماء في جواز رؤية الله تعالى في المنام ثم ساق أي عياض الكلام على ذلك، ومما يروى أن الإمام أحمد بن حنبل رأى الله تعالى في المنام فسأله عن أفضل ما يتعبد به فقال له: تلاوة القرآن، فقال أحمد بتدبر ودونه، فقال له بتدبر ودونه.

ومـن خصائصـه الانفـراد فـي سـفره إذا أمنـــه غيـر خفـي

يعني أن من خصائصه ص جواز السفر منفردا لأنه آمن، قال الله تعالى: {والله يعصمك من الناس}، وقال: {وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله}.

وتـابع النبـــي فـي الصـــلاة زيـــدا ونقصـــا بالوجـــوب آت

يعني أن من ائتم به ص يجب عليه أن يتبعه إذا زاد أو نقص، لأنه يمكن أن يكون نزل عليه الوحي بذلك.

وكـان مـا فـي خبـــر الجلنـدا وطـارق شاهـــد صـدق المهـدى

"الجلندا" بالقصر كما في الصحاح هو ملك عمان – بضم العين- وخبره هو ما حكاه عياض في الشفا من أنه لما بلغه أن النبي ص يدعوا إلى الإسلام قال: والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي، وأما خبر طارق فقد رواه البيهقي عن طارق بن عبد الله قال قدمنا المدينة فلما دنونا من حيطانها نزلنا نلبس ثيابنا إذا رجل في طمرين له فسلم، وقال أين تريدون؟ قلنا نريد هذه المدينة قال ما حاجتكم فيها؟ قلنا نمتار من تمرها ومعنا ظعينة لنا وجمل أحمر مخطوم فقال: أتبيعون جملكم هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا، قال فما استوضعنا مما قلنا شيئا فأخذ بخطام الجمل وانطلق، فلما توارى عنا قلنا ما صنعنا؟ بعنا جملنا ممن لا نعرف ولا أخذنا له ثمنا، فقالت المرأة التي معنا: فلا تلاوموا فوا الله لقد رأيت رجلا لا يغدر بكم ما رأيت شبيها أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، أنا ضامنة لثمن جملكم إذ أقبل رجل فقال أنا رسول رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا ففعلنا.

بـــاب المعجـــــزات

المعجزات: جمع معجزة وهي ما أعجز به النبي خصمه متحديا له، سميت بذلك لأن الخلق عجز عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين: ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه. فعجزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم، وضرب هو خارج عن قدرته فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وانشقاق القمر وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر ونبع الماء من الأصابع إلى غير ذلك مما ليس في طوق البشر فظهور ذلك على يد النبي وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له، والمعجزات التي ظهرت على يد نبينا صتشمل هذين النوعين، والمعجزة إن لم تصحب بتحد تسمى علامة وآية أو دلالة نبوة.

ومعجـــزاته كمـــا لا ينكـــر مـن معجـزات المرسـلين أكثـــر

قال القاضي عياض في الشفا: وهو أي محمد صأكثر المرسلين معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا، إلى أن قال: وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط، فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر، لأن النبي صقد تحدى بسورة منه فعجز الناس عنها، قال أهل العلم: وأقصر السور {إنا أعطيناك الكوثر} فكل آية منه أو آيات بقدرها معجزة، ثم فيها هي نفسها معجزات، ومما يبين أيضا صدق ما ذكر كونه عليه الصلاة والسلام لم يؤت نبي معجزة إلا أوتي هو مثلها كما روي ذلك مشهورا. قاله في الخصائص.

منهـا الكتـاب المعجـز الـذي بـه سـد لَـهَـا كـل خطيـــب نبـــه
ومنتهـى إعجـــازه فـي الكوثـــر أو آيـة بقـدرها فـي الأشهـــــر
وقيـــل كـــل آيـــة أو جملـــه انتظمـت تعجـز مستقلـــــــه

ما ذكره الناظم رضي الله عنه في الأبيات هو ما قدمناه من كلام الشفا في شرح البيت السابق إظهارا لكثرة معجزاته صوكونها أكثر من معجزات غيره من الرسل، وزاد الناظم على ما تقدم بالقولين المفيدين للكثرة والأكثرية، فإن القول الأشهر وهو رأي المحققين أن أقل ما يعجز من القرآن هو سورة الكوثر أو آية أو آيات بقدرها، كما تقدم لقوله تعالى: {فأتوا بسورة مثله}، وأقصر السور هي سورة الكوثر، وقيل إن كل آية معجزة وحدها ولو لم تكن بقدر سورة الكوثر، وقيل كل جملة منتظمة ولو لم تكن آية معجزة. و"اللها" بالفتح والكسر جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق، كقولهم:

اللهى تفتح اللها، ومعنى "سد" أغلق و"الخطيب" هو المقتدر على الخطابة الفصيح. و"النبه" العاقل، يعني أن القرآن أعجز الخطباء والفصحاء والبلغاء أن ينسجوا على منواله وقد تحدى به النبي صالعرب عامة، وقريشا خاصة وهم كانوا أرباب هذا الشان وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة ما لم يعط لأحد غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يحير الألباب، فما راعهم إلا رسول كريم، بكتاب عزيز، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحكمت آياته، وفصلت كلماته، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا، وأشهر في الخطابة رجالا، وأكثر في السجع والشعر سجالا، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخا بهم في كل حين، ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملإ أجمعين: {أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين}، {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله...} إلى قوله تعالى: {ولن تفعلوا}، {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}، {قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات}، وذلك لأن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق من الأخبار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى كان أصعب، فلم يزل صيقرعهم أشد التقريع ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وإياهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مجادلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء، وقولهم: إن هذا إلا قول البشر، إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر، وإفك إفتراه، وأساطير الأولين، والمباهتة، والرضى بالدنية، كقولهم: قلوبنا غلف، وفي أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، والإدعاء مع العجز بقولهم: لو نشاء لقنا مثل هذا، وقد قال الله لهم: {ولن تفعلوا}، فما فعلوا وما قدروا، ومن تعاطى ذلك منهم من سخفائهم كشف عواره، وأبقى عاره، بل سلبهم الله جميعا ما ألفوه من فصيح الكلام، وإلا فلم يخف على أهل الميز منه أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، فولوا عنه مدبرين، وأتوا إليه مذعنين، بين مهتد ومفتون، ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ص: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان...} الآية، قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر. وقد سجد أعرابي لما سمع

رجل يقرأ: {فاصدع بما تؤمر}، وقال: سجدت لفصاحته، وقال رجل لما سمع آخر يقرأ {فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا}، أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام، وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه...}الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. وهذا الذي ذكرنا وأشار له الناظم في الأبيات هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، والأوجه الأخرى أشار لها بقوله:

وفيه ما فيه من الإعجاز كأغرب الأسلوب والإيجاز
وأحسن التاليف والأخبار والروع والبقا مدى الأعصار

"ما" في البيت موصول اسمي بمعنى الذي مبتدأ خبره ما قبله، وقد أبهم الشيخ رضي الله عنه أوجه الإعجاز إشارة إلى كثرتها وإلى أنها لم تستقص، ومثل لبعضها ، وقال: "كأغرب الأسلوب" يعني أن من وجوه إعجازه أسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، فوقفت مقاطع آيه، وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقول الجميع، وتدلهت دونه أحلامه، ولما سمع الوليد بن المغيرة كلامه ص، وقرأ عليه القرآن رق، فجاءه أبو جهل منكرا عليه ، فقال: والله ما منكم من أحد أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، وفي خبره الآخر حين جمع قريشا في الموسم، وقال إن وفود العرب ترد ، فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم فيه بعضا، فقالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن: ما هو بزمزمته ولا سجعه ، قالوا: نقول مجنون، قال: ما هو والله بمجنون: ما هو بخنقه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال ما هو بشاعر: قد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه، قالوا: فنقول ساحر، قال ما هو بساحر: ما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما تقول؟ قال: ما أنتم بقائلين شيئا إلا وأنا أعرف أنه كذب، وإن أقرب القول فيه أنه ساحر. فأنزل الله تعالى فيه: {ذرني ومن خلقت وحيدا..} الآيات، وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن: يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته، وقلته، والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. إلى غير ذلك مما أقر له به جهابذة العرب البلغاء وصناديد قريش الفصحاء، وكله ثابت عن العدول من الأمناء وغرابة أسلوب القرآن بذاتها وجه من وجوه الإعجاز عند المحققين، كما أن الإيجاز والبلاغة بذاتها نوع

منها، وذهب بعضهم إلى الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب، وكلام الناظم يحتمل المذهبين.
ومن وجوه إعجازه حسن تأليف كلماته، أي حسن انتظامها، فلا يوجد تاليف نظم ولا نثر يماثل تأليف كلماته والتآمها، كما أقر له بذلك المعاند والمكابر والعدو السافر، وإلى هذا الوجه أشار الناظم رضي الله عنه بقوله: "وأحسن التاليف". ومن وجوه إعجازه ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كقوله تعالى: {لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين}، وقوله: {وهم من بعد غلبهم سيغلبون}، وقوله: {ليظهره على الدين كله}، فكان جميع هذا كما قال غلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات صوفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام إلى غير هذا مما شوهد فيه صدق إخباره، وكذلك إخباره بأخبار القرون الماضية والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صعلى وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وذلك كقصص الأنبياء مع أقوامهم وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء، وإلى هذا أشار الناظم بقوله: "والإخبار" أي بما كان وما سيكون، ومن وجوه إعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى، ويودون انقطاعه لكراهتهم له، ولهذا قال ص: "القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال هذه الروعة والهيبة توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى {تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله}، ويدل على أن هذا شيء خص به كون هذه الروعة تعتري من لا يفهم معانيه كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مما بكيت قال للشجا والنظم، وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر ففي الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صيقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ قوله تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المصيطرون كاد قلبي أن يطير إلى الإسلام، وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صفيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد

وثمود فأمسك عتبة بيده على فم النبي صوناشده الرحم أن يكف، وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع فمحى ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وإلى هذا الوجه أشار الناظم رضي الله عنه بقوله: "والروع" ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه قال تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} وقال: {لا يا تيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه} الآية، وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته هو اليوم على ما كان عليه منذ ألف ونحو خمسمائة عام، فحججه قاهرة، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، والمعتدي كثير، والمعاند للشرع عتيد، فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكلف من ذهنه إلا بزند شحيح، بل المأثور عمن رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه، وإلى هذا أشار الناظم رحمه الله بقوله: "والبقاء مدى الأعصار"، هذا وثم وجوه كثيرة أخر من أوجه أعجازه منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لايزال غضا طريا وغيره من الكلام لو بلغ ما بلغ من الحسن يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صخاصة بمعرفتها ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فقد جمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، إلى ما حواه من أنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء}، وقال: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء}، وقال ص: إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا، فيه نبؤكم، وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم

به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه اهـ. فقد جمع في هذا القرآن مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات إلى غير ذلك من وجوه المعجزات البينات فلتنظر في المطولات.

ومعجزاتـــه ســـوى القـــرآن ثـــلاث آلاف وفـــي الفرقـــان
ســتون ألفــا وهــو خــاتم لمــا يــوحي لأنبيائــه بــاري الســما

"معجزاته" مبتدأ خبره "ثلاث آلاف" وحذف التاء من العدد لأن الألف تذكر وتؤنث يعني أن معجزاته صسوى القرآن بلغت ثلاثة آلاف قال الزاهد الحنفي: قد ظهرت على يدي النبي صألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف قاله في فتح الباري، وكان الناظم رضي الله عنه اعتمد القول الأخير، وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أن معجزاته صتزيد على ألف ومائتين وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كأبي نعيم والبيهقي وغيرهما، قوله: "وفي الفرقان ستون ألفا" الفرقان هو القرآن العظيم وكون ما فيه من المعجزات يبلغ ستين ألفا هو بالنظر إلى القول بأن كل جملة منتظمة منه تعجز وحدها، وعدد جمله التي كذلك ربما بلغ ذلك العدد، وأما إذا نظرنا إلى كلماته فهي أكثر إذ عدها بعضهم سبعين ألفا، وقد مر أن كل آية منه أو آيات بقدر سورة الكوثر معجزة ثم فيها نفسها معجزات، قوله: "وهو خاتم لما.. الخ" يعني أن القرآن العظيم ختم الله تعالى به الوحي فهو آخر الكتب السماوية لأنه نزل على خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم شرع الناظم رضي الله عنه يذكر بعض معجزاته ودلائل نبوته فقال:

ونبـــع مـــاء مـــن أصابـــع دري وحـبس شـمس وانشقـاق قمـــر

ذكر الناظم رضي الله عنه في البيت ثلاث معجزات ثابتات كلها في الصحيح وبعضها في القرآن فحديث نبع الماء من بين أصابعه ورد في الصحيح من عدة أسانيد عن أنس رضي الله عنه قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ص وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صبوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن مالك به، وأما حديث رد الشمس فلم

يرد في الصحيح إلا أنه يؤيده ما يروى من أن رسول الله ص لم يؤت نبي معجزة إلا أوتي مثلها وقد ردت الشمس على يوشع بن نور عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح قال القاضي عياض خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين: أن النبي ص كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال النبي ص أصليت يا علي قال لا فقال ص اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، قال عياض هذا الحديث ثابت ورواته ثقات، وحكى الطحاوي عن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء هذا لأنه من علامات النبوة، وروى يونس في زيادة المغازي بروايته عن ابن إسحاق: لما أسري برسول الله ص وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار فدعى رسول الله ص فزيد له في النهار ساعة وحبست له الشمس حتى أتت العير يوم الأربعاء، وأما انشقاق القمر قال الله تعالى: {اقتربت الساعة وانشق القمر} الآيات، أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه ، وفي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله ص فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ص أشهدوا، وفيه عنه أنه قال حتى ظهر الجبل بين فرقتي القمر.

ونحـــو الانبعـــاث والتفجيـــر بـــالمس والـــدعوة والتكثيـــر

قوله: "ونحو" معطوف على في البيت قبل "ونبع ماء" أي ودري أي عرف نحو الانبعاث أي الجريان ويمكن أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو أي نبع الماء من بين أصابعه نحو الانبعاث قال في الشفا، ومما يشبه هذا يعني ما تقدم من نبع الماء تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطإ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله ص فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس، وفي حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له كحس الصواعق ثم قال يا معاد يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملئ جنانا، ومما يشبه هذا أيضا ما روي عن أبي قتادة أن الناس في بعض أسفارهم شكوا إلى رسول الله ص العطش فدعى بالميضأة فجعلها في ضبنه والضبن ما بين الكشح والإبط ثم التقم فمها قال فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل إناء معه فخيل إلي أنها كما أخذها مني

وكانوا اثنين وسبعين رجلا، ومثله عن عمران بن حصين رواه أحمد مطولا عن أبي قتادة وفيه أنهم ثلاثمائة، ومما يشبه ما تقدم أيضا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين أنهم كانوا مع رسول الله ص في مسير فأدلجوا ليلتهم حتى إذا كان وجه الصبح عرسوا فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس فكان أول من استيقظ من منامه أبا بكر وكان لا يوقظ رسول الله ص من منامه حتى يستيقظ، فاستيقظ عمر فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبر ويرفع حتى يستيقظ النبي ص فنزل وصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف قال يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا قال أصابتني جنابة فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى وجعلني رسول الله ص في ركوب بين يديه وقد عطشنا عطشا شديدا فبينما نحن نسير مع رسول الله ص إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء قالت إنه لا ماء فقلنا كم بين أهلك وبين الماء قالت يوم وليلة فقلنا انطلقي إلى رسول الله ص قالت وما رسول الله فلم نملكها من أمرها حتى أتينا بها النبي ص فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها حدثته أنها موتمة فأمر بمزادتيها فمسح في العزلاوين فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا وملأنا كل قربة معنا وأداوة غير أنه لم نسق بعيرا وهي تكاد تنض الملء ثم قال هاتوا ما عندكم فجمع من الكر والتمر حتى أتت أهلها قالت أتيت أسحر الناس أهو نبي كما زعموا فهدى الله ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا وأمثلة هذا كثيرة اكتفينا منها بما ذكر، قوله: "والتكثير" آخر البيت عطف على قوله "الانبعاث" أي ونحو التكثير للطعام ببركة دعائه ص ثم أشار إلى أمثلة من ذلك فقال:

كالشطر والصاع مع العناق وكم قليل زاد بالإنفاق
كالتور والقصعة والأزواد والتمر والآصع والأمداد
والقدح والمزود والشاة وما كان من الصفحة والكف انتمى
وأطعم الجفنة أربعينا وصدروا بالعس مرتوينا

قوله: "كالشطر" هو ما روى مسلم بن الحجاج عن جابر أن رجلا أتى النبي ص يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه هو وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي ص فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم، قوله: "والصاع.. الخ" هو ما رواه سعيد بن مينا وغيره عن جابر أن رسول الله ص أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وهي الجذعة من المعز قال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله ص بصق في العجين والبرمة وبارك، قوله: "وكم قليل.. الخ" يعني أن زيادة القليل من الطعام وغيره

ببركته ص كثيرة الأمثلة جدا بل أكثر من ذلك ثم ذكر منها أشياء: قوله "كالتور" هو القدح من الحجارة يشير به إلى ما روي عن أنس أن النبي ص حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تور فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا وسبعين أو اثنين وسبعين وفي رواية أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة، قوله: "والقصعة" أخرج الإمام أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب قال: بينما نحن جلوس عند النبي ص إذ أتي بقصعة فيها ثريد قال فأكل وأكل القوم فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر يأكل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبونه فقال له رجل هل كانت تمد بطعام قال أما من الأرض فلا إلا أن تكون كانت تمد من السماء، قوله: "والأزواد" هو ما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال افعلوا فجاء عمر فقال يا رسول الله إن فعلوا قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فأمر رسول الله ص بنطع فبسط ودعا بفضل أزوادهم قال فجعل الرجل يجيء بكف التمر والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعى ص بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ص أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فتحتجب عنه الجنة، قوله: "والتمر" هو ما رواه البخاري عن جابر أن أباه توفي وعليه دين قال فأتيت النبي ص فقلت إن أبي ترك دينا وليس عندي إلا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكيلا يفحش علي الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم هكذا رواه البخاري في دلائل النبوة مختصرا، وقد روي هذا الحديث من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة وحاصلها أنهم ببركته ص ودعائه له ومشيه في حائطه وجلوسه على بيدر تمره وفى الله دين أبيه من ذلك التمر الذي كان يعلم جابرا أنه وأضعافه لا يوفي ومع هذا فضل له الكثير من التمر والحمد لله وجزى الله عنا سيدنا ومولانا محمدا ما هو أهله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرا، قوله: "والآصع" جمع صاع يشير إلى ما رواه الإمام أحمد وغيره عن دكين بن سعيد الخثعمي قال: أتينا رسول الله ص ونحن أربعون وأربعمائة نسأله

الطعام فقال النبي ص لعمر قم فأعطهم فقال يا رسول الله ما عندي إلا ما يقيظني والصبية قال قم فأعطهم قال يا رسول الله سمعا وطاعة قال فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حجزته ففتح الباب قال دكين فإذا في العربة من التمر شبيه بالفصيل الرابض قال شأنكم قال فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء ثم التفت وإني لمن آخرهم فكأنا لم نرزأه منه تمرة، قوله: "والأمداد" هو ما في حديث أنس في إنكاح النبي ص لعلي فاطمة أنه ص أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة وينحر جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن، قوله: "والقدح" يشير به إلى ما رواه البخاري والإمام أحمد عن أبي هريرة قال: والله إن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل، ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر أبو القاسم ص، فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال: أبا هريرة . قلت لبيك يا رسول الله، فقال إلحق، واستأذنت فأذن لي فوجدت لبنا في قدح، قال من أين لكم هذا اللبن؟ فقالوا أهداه لنا فلان أو آل فلان قال: أبا هريرة. قلت لبيك يا رسول الله، قال انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله ص هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها، قال وأحزنني ذلك، وكنت أرجوا أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي، وقلت أنا الرسول فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت ما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت، ثم قال أبا هر. خذ فأعطهم ، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعت إلى رسول الله ص فأخذ القدح ووضعه في يده وبقيت فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إلي وتبسم وقال أبا هر. فقلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت فقلت صدقت يا رسول الله قال فاقعد فاشرب قال فقعدت فشربت، ثم قال لي اشرب فشربت ، فما زال يقول لي اشرب فأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له في مسلكا قال ناولني القدح فشرب من الفضلة. هذا لفظ أحمد في مسنده. قوله: "والمزود" روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال أتيت رسول الله ص يوما بتمرات فقلت

ادع الله فيهن بالبركة قال فصفهن بين يديه ثم دعا فقال لي اجعلهن في مزود وأدخل يدك ولا تنثره قال فحملت منه كذا وكذا وسقا في سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان انقطع عن حقوي فسقط. وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أصبت بثلاث مصيبات في الإسلام: موت رسول الله ص وكنت صويحبه، وقتل عثمان، والمزود. قالوا وما المزود يا أبا هريرة؟ قال كنا مع رسول الله ص في سفر فقال يا أبا هريرة أمعك شيء؟ قلت تمر في مزود قال جئني به فأخرجت تمرا فأتيته به، قال ومسه ودعا فيه ثم قال ادع عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي تمري معي في المزود، فقال يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك فيه ولا تكفه، قال فأكلت منه حياة النبي ص وأكلت حياة أبي بكر كلها، وحياة عمر وعثمان، فلما قتل عثمان انتهب مني ما في يدي وانتهب المزود. ألا أخبركم كم أكلت منه؟ أكلت منه أكثر من مأتى وسق. قوله: "والشاة" قال في الشفاء وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي ص شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما وإن النبي ص أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا. قوله: "وما كان من الصفحة" روى عمر بن محمد الفريابي عن إسحاق ابن سالم عن أبي هريرة قال خرج علي رسول الله ص فقال ادع لي اصحابك من أصحاب الصفة فجعلت أنبههم رجلا رجلا فجمعتهم فجئنا باب رسول الله ص واستأذنا فأذن لنا، قال أبو هريرة ووضعت بين أيدينا صفحة أظن أن فيها قدر مد من شعير، قال فوضع عليها رسول الله ص يده وقال كلوا بسم الله قال فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا فقال رسول الله ص حين وضعت الصفحة والذي نفسي بيده ما أمسى في بيت آل محمد طعام ليس ترونه، قيل لأبي هريرة قدر كم كانت حين فرغتم منها؟ قال مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع. قوله : " والكف" يشير إلى ما ذكر عياض في الشفاء قال روي عن ثابت عن رجل من الأنصار وامرأته لم يسمهما قال وجيئ بمثل الكف فجعل رسول الله ص يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه ص لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء. قوله: "وأطعم الجفنة أربعينا ...إلخ."هو ما رواه القاضي عياض وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ص لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين}جمع بني عبد المطلب وكانوا إذ ذاك أربعين رجلا، منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق، فصنع لهم مدا من الطعام

فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه. والعس: القدح الضخم، وقال ابن كثير في شمائله إن ذاك دام ثلاثة أيام.

فصل في كلام الشجر والحيوان وشهادته له بالنبوة وإجابته دعوته

وكـــان يســـمع كـــلام الشـــجر وشـــهدت بصـــدق خيـــر البشـــر

قال القاضي عياض وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ذكر أشياء رآها من رسول الله ص فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فطافت به ص ثم رجعت إلى منبتها، فقال رسول الله ص إنها استأذنت أن تسلم علي، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي ص شجرة بالجن ليلة استمعوا له، وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك؟قال هذه الشجرة. قوله: "وشهدت ..إلخ". قال ابن كثير في شمائله روي عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله ص في سفر فدنا منه أعرابي، فقال يا أعرابي إلى أين تريد؟ قال إلى أهلي. قال هل لك إلى خير؟ قال وما هو؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول؟ قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا كلها تشهد له أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها ورجع إلى قومه فقال إن يتبعوني أتيتك وإلا رجعت إليك وكنت معك.

وقـــد أتـــت شـــجرة منقلعـــه لـــه وبـــاللبن درت جذعـــه

روى الإمام أحمد عن أنس قال جاء جبريل إلى رسول الله ص ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة قال فقال له مالك؟ فقال فعل بي هؤلاء وفعلوا، قال فقال له جبريل أتحب أن أريك آية؟ فقال نعم، قال فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها ص قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها. وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ص ذهب يقضي حاجته فلم ير ما يستتر به فإذا بشجرتين في جانب الوادي فأخذ غصنا من إحداهن وقال انقادي معي قال فذهبت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع صاحبه وفعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف قال إلتئما علي فالتأمتا عليه حتى قضى حاجته. وقد روي مثل هذه عن العديد من الصحابة. قوله: "وباللبن درت جذعه" قال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن عياش عن زر عن ابن مسعود قال كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي

معيط فمر بي رسول الله ص وأبو بكر فقال يا غلام هل من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص قال ثم أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول قال فمسح رأسي وقال يا غلام يرحمك الله فإنك عليم معلم، ورواه البيهقي من حديث أبي عوانة عن عاصم عن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود وقال فيه: فأتيته بعناق جذعة فاعتقلها ثم جعل يمسح ضرعها ويدعوا واتاه أبو بكر بجفنة فحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فقلص فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول فمسح رأسي وقال إنك غلام معلم، قال فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر.

حــن لــه الجــذع وســبح الطعــام كــذا الحصــا حيــا الجمــاد بالســلام

حنين الجذع شوقا إلى ر سول الله ص وحزنا على فراقه ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان الميدان ولنكتف بما رواه البخاري عن جابر قال كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي ص إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر فقام عليه سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي ص فوضع يده عليه فسكن. قوله : "وسبح الطعام" قال في الشفا حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التيمي حدثنى القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب حدثنا أبو القاسم حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله ص الطعام ونحن نسمع تسبيحه. قوله: "كذا الحصا" يعني أنها سبحت هي الأخرى في يده ص أخرج الحافظ البيهقي عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمي قال سمعت أبا ذر يقول لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته: كنت رجلا أتبع خلوات رسول الله ص فرأيته يوما جالسا وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ص، ثم جاء عمر فسلم ثم جلس عن يمين أبي بكر ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر وبين يدي النبي ص سبع حصيات أو قال تسع حصيات فأخذهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في كف أبكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم

تناولهن فوضعهن في كف عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال النبي ص هذه خلافة النبوة.
قوله: "حيا الجماد بالسلام" أخرج الإمام أحمد عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ص إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن. وأخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب قال كنت مع النبي ص بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وروى الحافظ أبو نعيم عن علي مثله.

وقصـــة الأصـــنام والرواســـي وأمـــن البـــاب لخيـــر النـــاس

أي اذكر قصة الأصنام فهي من معجزاته ودلائل نبوته وهي ما رواه في الشفا عن ابن عباس قال كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله ص المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول {جاء الحق وزهق الباطل}الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم، ومثله لابن مسعود فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد. وأما قصة الرواسي أي الجبال فقد ذكرها في الشفا فقال وعن أنس صعد رسول الله ص و أبوبكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال رسول الله ص أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان، ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد. والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين. قال في الشفا أيضا وروي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله. قوله " وأمن الباب...إلخ." روى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن عثمان بن اسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبو أمي مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده أبي أسيد الساعدي قال قال رسول الله ص للعباس بن عبد المطلب يا أبا الفضل لا ترم منزلك غدا أنت وبنوك حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة، فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله فكيف أصبحت بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال أصبحت بخير أحمد الله، فقال لهم تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال: «يا رب هذا

عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه » قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين. وروي مثل هذا لفاطمة وعلي وابنيهما.

والضـــب والـــداجن والـــذئبين وقصـــة الشـــاءين والنضـــوين

قصة الضب أخرجها البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ص كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من سليم قد صاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال ما هذا؟ قالوا هذا الذي يذكر أنه نبي فجاء فشق الناس فقال واللات والعزى ما اشتملت النساء على ذي لهجة أبغض إلي منك ولا أمقت منك ولولا أن يسميني قومي عجولا لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فأقوم فأقتله قال يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل على الأعرابي وقال ما حملك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم تكرمني في مجلسي؟ فقال وتكلمني أيضا؟ استخفافا برسول الله ص واللات والعزى لا أومن بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله ص فقال رسول الله ص يا ضب فأجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعا لبيك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد يا ضب؟ قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا يا ضب؟ فقال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيئين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك، فقال الأعرابي والله لا أتبع أثرا بعد عين، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إلي منك وإنك اليوم أحب إلي من والدي ومن عيني ومني وإني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله ص الحمد لله الذي هداك ، إن هذا الدين يعلوا ولا يعلى ولا يقبل إلا بصلاة ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن قال فعلمني فعلمه {قل هو الله أحد} قال زدني فما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا، قال يا أعرابي إن هذا كلام الله ليس بشعر إنك إن قرأت {قل هو الله أحد} مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن وإذا قرأتها مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثي القرآن وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله، قال الأعرابي نعم الإله إلهنا يقبل اليسير ويعطي الجزيل، فقال رسول الله ص ألك مال؟ فقال ما في بني سليم قاطبة رجل هو أفقر مني فقال رسول الله ص لأصحابه أعطوه فأعطوه حتى أبطروه، قال فقام عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله إن له عندي

ناقة عشراء دون البختية وفوق الأخرى تلحق ولا تلحق أهديت إلي يوم تبوك أتقرب بها إلى الله عز وجل قال رسول الله ص وصفت ناقتك فأصف مالك عند الله يوم القيامة قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والإستبرق وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف يغبطك بها الأولون والآخرون فقال عبد الرحمن قد رضيت. فخرج الأعرابي فلقيه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة معهم ألف سيف وألف رمح فقال لهم أين تريدون؟ قالوا نذهب إلى هذا الذي سفه آلهتنا فنقتله قال لا تفعلوا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وحدثهم الحديث، فقالوا بأجمعهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم دخلوا فقيل لرسول الله ص فتلقاهم بلا رداء ونزلوا عن ركبهم يقبلون حيث ولوا منه وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم قالوا مرنا بأمرك قالوا كنوا تحت راية خالد بن الوليد فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم. قوله : " والداجن" هو وحش كان في بيت رسول الله ص وكان يحترم النبي ص ويوقره روى الإمام أحمد عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لآل رسول الله ص وحش فإذا خرج رسول الله ص لعب واشتد وأقبل وأدبر فإذا أحس برسول الله ص قد دخل ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله ص في البيت كراهية أن يؤذيه. قال ابن كثير في الشمائل والحديث مشهور ويروى بإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه. قوله : "والذيبين" أي قصتهما وهي ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أشعث بن عبد الملك عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى فاستذفر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني فقال الرجل تالله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبي ص وخبره فصدقه النبي ص ثم قال رسول الله ص إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده. قال أبو الفداء تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه وقد روي من طرق بعضها يزيد على بعض، وأما القصة الأخرى عن الذئب الثاني فهي ما رواه الواقدي عن رجل سماه عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال بينا رسول الله ص في المدينة إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه فقال ص هذا وافد

السباع إليكم فإذا أحببتم أن تفرضوا له شيئا لا يعدوه إلى غيره وإن أحببتم تركتموه واحترزتم منه فما أخذ فهو رزقه فقالوا يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم قال فولى وله عواء. وروي قريب من هذا عن أبي هريرة والزهري وغيرهما من طرق متعددة. قوله: "وقصة الشاءين" قال ابن كثير في الشمائل قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضا قال يحيى بن صاعد حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا عباد بن يوسف الكندي أبو عثمان حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس بن مالك قال دخل النبي ص حائطا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له ص فقال أبو بكر يا رسول الله نحن كنا أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. وأما قصة الشاء الآخر فقد ذكرها عياض في الشفا وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ص وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وأما قصة النضوين أي الجملين المهزولين، التي أشار إليها فإحداهما هي ما رواه ابن اسحاق وغيره في غزوة أحد أن جابر ابن عبد الله أبطأ به جمله فلحق به رسول الله ص فسأله ما شأن جملك فذكر أنه تعب أو نحو ذلك فأناخ رسول الله ص ناقته وأخذ عودا فنخسه به وقال بسم الله اركب فقام الجمل يواهق ناقة رسول الله ص مواهقة لا يبارى وفيه أنه ص اشتراه من جابر ووهبه له بعد ذلك وأما قصة الجمل الآخر فهي ما رواها الإمام أحمد بإسناد على شرط السنن عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ص كان في نفر من أصحابه مهاجرين وأنصارا فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله والله تعالى أعلم.

والبـــدن والظبيـــة والحمـــام ومعجـــزات الغـــار والكـــلام
مـن عيـره الـذي تـوفى الموجـد وعـــن ســـفينة تنحـــى الأســـد

قوله :"والبدن" أي وقصة البدن جمع بدنة وهي الناقة وقصتها هي ما رواه أبو نعيم في دلائل النبوة عن عبد الله بن قرط اليماني قال قرب إلى النبي ص

بدنات خمس أو ست أو سبع، لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وفي رواية فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ والمعنى واحد. قوله: "والظبية" قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله في كتابه دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد إملاء حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبد الكريم بن هلال الجعفي عن صالح المري عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال مر رسول الله ص بقوم قد اصطادوا ظبية فشدوها على عمود فسطاط فقالت يا رسول الله إني أخذت ولي خشفان فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم فقال أين صاحب هذه فقال القوم نحن يا رسول الله قال خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم فقالوا من لنا بذلك قال أنا فأطلقوها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت إليهم فأوثقوها فمر بهم رسول الله ص فقال أين أصحاب هذه؟ فقالوا هو ذا نحن يا رسول الله فقال تبيعونها؟ فقالوا هي لك يا رسول الله فقال خلوا عنها فأطلقوها فذهبت. قوله: "والحمام" قصته هي ما ذكر في الشفا والله تعلى أعلم. قال روى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي ص ذات يوم فدعا لها بالبركة. قوله: "ومعجزات الغار" روى ابن إسحاق وغيره عن أنس وغيره أن النبي ص قال أمر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبي ص فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار وأمر العنكبوت فنسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذالك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان بالباب والنبي ص يسمع كلامهم فانصرفوا. قوله :" والكلام من عيره...إلخ." قال ابن كثير في كتابه شمائل الرسول قال أبو محمد عبد الله بن حامد أخبرنا أبو الحسن أحمد السحركي حدثنا عمر بن محمد بن بجيل حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد إملاءا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عقبة بن أبي الصهباء حدثنا أبو حذيفة عن عبد الله بن حبيب الهذلي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي منظور قال لما فتح الله على نبيه ص خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال وأربعة أزواج خفاف وعشر أواقي ذهب وفضة وحمار أسود ومكتل قال فكلم النبي ص الحمار فكلمه الحمار فقال ما اسمك؟ قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم إلا نبي لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك وقد كنت أتوقعك أن تركبني قد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال النبي ص سميتك يعفور يا يعفور قال لبيك قال تشتهي الإناث؟ قال لا وكان النبي ص يركبه لحاجته فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ص فلما

قبض النبي ص جاء إلى بئر كان لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيه فصارت قبره جزعا عليه، وجزعنا عليه. وهذا ما يعنيه الناظم بقوله "الذي توفى الموجد" أي الذي قتله الموجد وهو الحزن، مصدر ميمي من وجد عليه أي حزن. قوله: "وعن سفينة...إلخ." سفينة هو مولى رسول الله ص وقصته مع الأسد رواها البيهقي في الدلائل عن محمد بن المنكدر وهي أن سفينة أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر في أرض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد فقال يا أبا الحارث إني مولى رسول الله ص كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوته أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى أبلغه الجيش ثم رجع الأسد.

ومسه للشاة صار ميسما فيها وحاز النسل ذاك الميسما

قال القاضي عياض في الشفا أخذ رسول الله ص بأذن شاة لقوم من عبد القيس ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذالك الأثر فيها وفي نسلها بعد.

والجرح والصبية والأنصاري والعين والميتين والحمار

يعني أن من معجزاته ص ودلائل نبوته قصة الجرح أي جرح أبي قتادة الذي وقع له يوم ذي قرد من سهم أصابه فبصق النبي ص على أثر السهم قال أبو قتادة فوالله ما ضرب علي ولا قاح ، قوله : "والصبية" يعني وقصص الصبية: قال في الشفا روى وكيع عن فهد بن عطية أن النبي ص أوتي بصبي قد شب لا يتكلم ولم يتكلم قط فقال له ص من أنا؟ فقال الصبي أنت رسول الله، وروي عن معرض بن معيقيب قال رأيت من النبي ص عجبا: جيئ بصبي يوم ولد فذكر ما تقدم. قال عياض وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه: فقال له النبي ص بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة. وأخرج الإمام أحمد عن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ص ومعها صبي لها به لمم فقال رسول الله ص اخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرئ قال فأهدت له كبشين وشيئا من إقط وشيئا من سمن فقال رسول الله ص خذ الإقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر. وعن الحسن أن رجلا أتى النبي ص فذكر له أنه طرح بنية له في واد كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما. قوله: "والأنصاري" هو شاب أنصاري مات فأحياه الله ببركته ص قال في الشفا وعن أنس أن شابا من

الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني؟ قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى رسولك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة قال فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا.قوله:"والعين" أي عين قتادة بن النعمان وقد سقطت على وجنته يوم أحد فأخذها رسول الله ص بيده الكريمة وردها إلى مكانها فعادت أحسن عينيه وقصتها مشهورة مروية من طرق متعددة كما في ابن هشام وغيره. قوله: "والميتين" هما زيد بن خارجة وثابت بن قيس بن شماس وقصتهما كما روى البيهقي عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي في زمن عثمان بن عفان فسجي بثوبه ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم قال أحمد أحمد في الكتاب الأول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت اثنتان أتت بالفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس وما بئر أريس. قال يحيى أحد رواة الحديث قال سعيد بن المسيب ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوبه فسمع جلجلة في صدره ثم تكلم فقال إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق. قال البيهقي وقد روي هذا الحديث بإسناد صحيح وله شواهد وأما قصة ثابت فهي ما ذكر عياض في الشفا عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال كنت في من دفن ثابت بن قيس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخل القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت. قوله : "والحمار" قصته هي ما ذكره عياض أن النبي ص ركب عيرا لسعد بن عبادة وكان قطوفا فصار هملاجا لا يساير ورواه الترمذي في شمائله.

واختلفوا في الباب هل كلام يخلقه في هذه السلام
أوهو إيجاد الكلام اولا ثم الكلام بعد جل من علا

يعني أن أئمة أهل النظر اختلفوا في هذا الباب الذى هو كلام الجمادات كالشجر والأموات هل هو كلام يخلقه الله تعلى فيها بحروف وأصوات يسمع منها دون تغير أشكالها ونقلها عن هيئتها، وهذا هو مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعري والقاضي أبى بكر رحمهما الله تعلى، وذهب آخرون إلى إيجاد الحياة أولا بها ثم إيجاد الكلام بعد، وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبى الحسن، والكل محتمل، والله تعلى أعلم.

وكالضـــريرين وســـم الشـــاة وتفلـــه المبـــرئ والفتـــاة

يعنى أنه مثل ماتقدم من قصص معجزاته ص قصة الضريرين أي الرجلين الأعميين، وإحداهما ماروي النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه سلم وقال يا رسول الله ادع الله تعلى أن يكشف لي عن بصري قال ص انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في، قال فرجع وقد كشف الله عن بصره. والقصة في الآخر هي ما روى العقيلي عن حبيب بن فديك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله ص فيهما فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة. قوله: "وسم الشاة" هي الشاة التي سمت له اليهودية في خيبر وقد أخرج حديثها أبو داوود عن أبي هريرة أنه قال أهدت يهودية للنبي ص شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ص منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال ص لليهودية ما حملك على ما فعلت قالت إن كنت نبيا لم يضرك ما صنعت، وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت، وقد روى الحديث أيضا أنس وفيه أنه عفا عنها. قوله: "وتفله" أي وكقصص تفله ص المبرئ للأسقام والأوجاع، فمن ذلك ما تقدم من تفله في عيني فديك وكانتا لا تبصران فزال عنهما ذلك، ومن ذلك ما رواه البيهقي أنه ص تفل أو نفث في كف شرحبيل الجعفي فذهبت من كفه سلعة كانت به، ومن ذلك تفله في عيني علي وهو أرمد يوم خيبر فبرئ وهو في الصحيح، وتفل على شجة عبيد الله بن أنيس فلم تمد، ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت، وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه وأمثال ذلك كثيرة جدا. قوله: "والفتاة" هي جارية سألته ص طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت: إنما أريد الذي في فيك فناولها ما فيه ـ ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه ـ فلما استقر في جوفها ألقى الله عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها ، ذكره عياض في الشفا.

والعنـــز والناقـــة والجـــواد والرســـل للملـــوك والمقـــداد

قوله:"والعنز" قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد أخبرنا إسماعيل ابن محمد الصفار أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق حدثنا عصمة بن سليمان الخزاز حدثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن نافع وكانت

له صحبة قال: كنا مع رسول الله ص في سفر وكنا زهاء أربعمائة فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه، وقالوا رسول الله ص أعلم ، قال فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله ص فحلبها فشرب حتى روي وسقى أصحابه، ثم قال يا نافع أملكها الليلة ولا أراك تملكها، قال فأخذتها فوتدت لها وتدا ثم ربطتها بحبل ثم قمت في بعض الليل فلم أرى الشاة ورأيت الحبل مطروحا، ثم جئت إلى رسول الله ص فأخبرته من قبل أن يسألني فقال يا نافع ذهب بها الذي جاء بها، كذا في الدلائل للبيهقي. قوله:"والناقة" قال في الشفا ومنها أي معجزاته ص حديث الناقة التي شهدت عند النبي ص لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه، وفيه أيضا أي في الشفا وقد روى في قصة العضباء وكلامها للنبي ص وتعريفها له بنفسها، ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وعدم إيذائهم لها (يقولون) لها إنك لمحمد، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفراييني. قوله: "والجواد" قال القاضي عياض في الشفا وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى ص. قوله:"والرسل للملوك" هو ما رواه الواقدي أن النبي ص لما وجه رسله إلى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين وجه إليهم. قوله:" والمقداد" قال في الشفا ودعا ص للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال. وكان من شأن هذا أن يؤخر إلى أن يجعل في محله في الكلام على استجابة دعائه ص.

ومعجـــزات الفرســـين والجمـــل وقصـــعة وجبـــة تشـــفي العلـــل

الفرسان أحدهما فرس أبي طلحة ركبه ص لما سمع بالمدينة صوت أفزع الناس وكان الفرس به قطاف يبطئ فلما رجع ص قال وجدنا فرسك بحرا، فصار الفرس بعد لا يبارى ولا يجارى، والقصة مروية في الصحيح عن أنس، والآخر هو فرس جعيل الأشجعي خفقها رسول الله ص بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا، وباع من بطنها باثني عشر ألفا. قوله:"والجمل" قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا مهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر، وحدثنا بهز وعفان قالا حدثنا مهدي حدثنا محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر قال أردفني رسول الله ص ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثا لا أخبر به أحدا أبدا وكان رسول الله ص أحب ما استتر به في حاجة هدف أو حائش نخل فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار فإذا جمل

قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه فمسح رسول الله ص سراته وذفراه فسكن، فقال من صاحب الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال هو لي يا رسول الله، فقال أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك إنه شكى إليه أنك تجيعه وتدئبه. قال ابن كثير في الشمائل وقد رواه مسلم من حديث مهدي بن ميمون. قوله:" وقصعة" قال القاضي عياض حدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن مامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي ص فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها. قوله: "وجبة" ورد في الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله ص يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها.

وبركات شعره وسكبا من فضلة الوضوء في بير قبا

بركات شعره ص كثيرة لا تحصى وقد ورد أن أصحابه ص كانوا يتلقون شعره إذا حلقه الحلاق فلا تسقط منه شعرة على الأرض وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره ص فلم يشهد بها قتال إلا رزق النصر، قاله في الشفا. وذكر أن قلنسوة خالد تلك سقطت منه في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي ص كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره ص لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين. قوله:"وسكبا...إلخ." قال في الشفا وسكب رسول الله ص من فضلة وضوءه في بئر قبا فما نزفت بعد. وقال إسماعيل بن كثير أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي حدثنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله أخبرنا أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسأله عن بئر هناك قال فدللته عليها فقال لقد كانت وإن الرجل لينضح على حماره فينزح فجاء رسول الله ص وأمر بذنوب فإما أن يكون توضأ منه وإما أن يكون تفل فيه ثم أمر به فأعيد في البئر قال فما نزحت بعد، قال فرأيته بال ثم جاء فتوضأ ومسح على خفيه ثم صلى.

وماء نعمان وزمزم وما لنخل سلمان ونقده انتمى

قال في الشفا ومر ص على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه مالح فقال بل هو نعمان وماؤه عذب، فطاب وعذب . قوله:" وزمزما" قال في الشفا وأوتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك. قوله :" وما لنخل سلمان..إلخ." هو سلمان الفارسي والقصة في ذلك مشورة ومروية عن سلمان من طرق عدة وملخصها أن سلمان لما أسلم كاتبه مواليه على غرس ثلاثمائة ودية تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فجمع له

الودي وقام رسول الله ص وغرسه بيده كله إلا واحدة غرسها غيره فأجذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي ص وغرسها فأجذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله ص وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه ص مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم.

والبئـــر والعرجـــون والقضـــيب والســـؤر والـــدرور والعســـيب

قوله:"والبئر" يعني بئر أنس بن مالك بزق فيها رسول الله ص فلم يكن بالمدينة أعذب منها. قاله في الشفا. قوله:"والعرجون" يروى أن قتادة بن النعمان صلى مع النبي ص العشاء الأخيرة في ليلة مظلمة مطيرة فأعطاه عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء العرجون له حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج. قاله في الشفا.قوله: "والقضيب" يشير إلى ما يحكى أن عثمان بن عفان كان يخطب وبيده قضيب النبي ص فأخذها جهجاه الغفاري من يده ورام كسرها على ركبته فصاح الناس به فأخذته الأكلة فيها فقطعها ومات قبل الحول. قوله:"والسؤر" هو ما في حديث حنش بن عقيل قال سقاني رسول الله ص شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت قاله في الشفا. قوله:"والدرور" يعني به والله تعالى أعلم ظهور بركته ص في درور الشياه الحوائل وأمثلة ذلك كثيرة منها شاة عبد الله بن مسعود وقد تقدمت قصتها وشاة أم معبد وستأتي في الهجرة ومنها غنم مرضعته حليمة وقد مر الكلام عليها إلى غير ذلك وهو كثير. قوله: "والعسيب" قال في الشفا ودفع لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا.

أعطـــى ببـــدر ثـــم قـــال لا حمـــا عكاشـــة عصـــا فصـــارت صـــارما

قال في الشفا ومنها أي بركته دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبين شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف حتى استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون و"لاحما" في البيت بمعنى قاتل والألف فيه بدل من نون التوكيد يعني أعطاه الجذل وقال له قاتل به كما في كلام عياض وقال اضرب به.

والمســـح والعكـــة والســـقاء ونضـــح وجـــه زينـــب بالمـــاء

يشير إلى ما شوهد من بركة مسحه ص بيده في من شاء ففي صحيح البخاري أنه ص دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمره حتى بلغ أربعا وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ولم يشب ما مسحه رسول الله ص من رأسه ومتع بقواه وحواسه، وروى الإمام أحمد أنه ص مسح على رأس أبي زيد الأنصاري وقال اللهم جمله وأدم جماله قال فبلغ بضعا ومائة وما في لحيته بياض إلا نبذة يسيرة ولم يتقبض وجهه حتى مات. وروى الإمام أحمد عن أبي العلاء قال كنت عند قتادة بن ملحان في موضعه الذي مات فيه فمر رجل في مؤخر الدار فرأيته في وجه قتادة. قال وكان رسول الله ص مسح وجهه، قال وكنت قلما رأيته إلا ورأيت كأن على وجهه الدهان ووضع ص يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه وبالشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي ص فيذهب الورم ومسح ص بيده على بطن عتبة بن فرقد وظهره فكان له طيب يغلب طيب النساء. ولقد أورد البيهقي لهذا نظائر كثيرة في هذا المعنى تشفي القلوب وتحصل المطلوب. قوله: "والعكة" أخرج الحافظ أبو يعلى عن أنس عن أمه قال كانت لأمي شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة لها فقالت يا ربيبة أبلغي هذه العكة رسول الله ص يأتدم بها فانطلقت بها الربيبة حتى أتت رسول الله ص فقالت يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم قال أفرغوا لها عكتها ففرغت العكة فدفعت إليها فانطلقت بها وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلأة تقطر فقالت أم سليم يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول ص؟ فقالت قد فعلت وإن لم تصدقيني فسلي رسول الله ص فانطلقت ومعها ربيبة فقالت يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال قد فعلت قد جاءت قالت والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمنا قال فقال لها رسول الله ص يا أم سليم أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه كلي وأطعمي قالت فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا كذا وكذا وتركت فيها ما ائتدمنا به شهرا أو شهرين. وفي الشفا أن امرأة تسمى أم مالك البهزية كانت لها عكة تهدي فيها للنبي ص سمنا فأمرها النبي ص أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها فأخبرت النبي ص فقال لو تركتيه ما زال ذلك مقيما ونحوه في مسند أحمد عن جابر. قوله:"والسقاء" هو ما في الشفا من رواية حماد بن سلمة أن النبي ص زود سفرا من أصحابه سقاء ماء

بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب و زبدة في فمه. قوله:" ونضح وجه ...إلخ." زينب هي بنت أبي سلمة ربيبته ص لأن أمها أم سلمة أم المؤمنين نضحها ص بماء على وجهها قال في الشفا فما كان في وجه امرأة من الجمال ما كان في وجهها.

وأمـــر ذي الأدرة بالنضـــح بمـــا مـــج بـــه حبيـــب فـــاطر الســـما

"الأدرة" هو انتفاخ في الخصية يعني أن من بركته ص أنه أتاه رجل يشكوا انتفاخ خصيته فأمره ص أن ينضح عليها بماء مج فيه ص ففعل ذلك فبرئ. انظر الشفا لعياض.

وصـكه الصـدر مـن المـس ذهـاب ورميـــه يـــوم حنـــين بـــالتراب

قال في الشفا وعن طاوس لم يؤت النبي ص بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس والمس الجنون قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله إن به لمما وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال فمسح رسول الله ص صدره ودعا له فثع ثعة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى. قوله:" ورميه يوم حنين ..إلخ."قال في الشفا وأخذ يوم حنين قبضة من تراب ورما بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه، فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم.

ومجـــه وضـــربه صـــدر جريـــر جـا بـالمنى، بـا لحفـظ والخيـر الكثيـر
فـاز ابـن صـخر إذ شـكى النسـيان لـه بـــأمر ضـــم ثوبـــه ففعلـــه

قوله:" ومجه" أي ومن ذلك مجه في دلو من بئر قال في الشفا ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاع منها ريح المسك. قوله:"وضربه صدر جرير..إلخ." هو أن جرير بن عبد الله ذكر لرسول الله ص أنه لا يثبت على الخيل فضرب صدره فصار من أفرس العرب وأثبتهم. قوله:"بالحفظ ...إلخ." يتعلق بقوله :"فاز ابن صخر" وهو عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة علما الدوسي وذلك أنه شكا إليه ص النسيان فأمره ببسط ثوبه وفعل هكذا كأنه غرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد، وما يروى في هذا كثير.

فصل في إجابة دعاءه ص

وفـــي دعـــاءه الكـــلام واســـع جـدا وقـد دعـا الشـفيع الشـافع
بجملـــة فكـــان مـــا بـــه دعـــا لمـــن لهـــم ومـــن علـــيهم الـــدعا

يعني الناظم رضي الله عنه أن الكلام في إجابة دعائه ص باب واسع جدا وإجابة دعوته ص لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة فقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله إلى دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده.

دعـا لسـعد وابـن عـوف وأنـس ولابـن عبـاس فـأوتي قـبس

سعد هو ابن أبي وقاص ثبت في الصحيح أنه ص دعا له وهو مريض فعوفي ودعا له أن يكون مجاب الدعوة فقال اللهم أجب دعوته وسدد رميته فكان كذلك فنعم أمير الجيوش والسرايا كان وقد دعا على أبي سعدة أسامة بن قتادة حين شهد عليه بالزور بطول العمر والفقر والتعرض للفتن فكان ذلك فكان إذا سئل عن حاله يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قوله:"ولابن عوف" هو عبد الرحمن بن عوف ثبت في الصحيحين أنه ص دعا له بالبركة واستجيب له ففتح له في المتجر والمغانم حتى حصل له مال كثير بحيث أنه لما مات ورثت كل زوجة من زوجاته الأربع ثمانين ألفا وحفر الذهب من تركته بالفؤوس ومجلت الأيدي وكان قد أوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها، قوله:"وأنس" هو خادمه ص ثبت في الصحيح أنه ص دعا له بكثرة المال والولد فكان كذلك حتى روى الترمذي عن محمود بن غيلان الطيالسي عن أبي خلدة قال قلت لأبي العالية سمع أنس من النبي ص فقال خدمه عشر سنين ودعا له وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك وقد روى في الصحيح أنه ولد له لصلبه قريب من مائة أو ما ينيف عليها. قوله:"ولابن عباس...إلخ." هو عبد الله بن عباس ثبت في الصحيحين من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم عن ورقاء بن عمر السكري عن عبد الله بن يزيد عن ابن عباس قال أتى رسول الله ص الخلاء فوضعت له وضوءا فلما خرج قال من صنع هذا؟ قالوا ابن عباس. قال اللهم فقهه في الدين. وروى البيهقي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ص وضع يده على كتفي أو قال منكبي شك سعيد ثم قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وقد استجاب الله تعالى لرسوله ص هذه الدعوة في ابن عمه فكان إماما يهتدى بهداه ويقتدى بسناه في علوم الشريعة ولا سيما في علم التأويل وهو التفسير فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ص وقد قال الأعمش: نعم ترجمان القرآن ابن عباس وقال ابن كثير خطب الناس ابن

عباس في عشية عرفة ففسر لهم سورة البقرة تفسيرا لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا "وقبس" في البيت نور والمراد العلم.

ولعلـــي فكفـــي حـــرا وقـــر وعـز الإسـلام اسـتجيب فـي عمـر

هو علي بن أبي طالب قال له ص اللهم اكف عليا الحر والقر فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف ولا يصيبه قر ولا حر قاله في الشفا، قوله:"وعز الإسلام..إلخ." هي الدعوة المشهورة فقد قال ص اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

واللـــوح والصـــحو والاستســـقاء والنـــور والجعـــدي والزهـــراء

اللوح العطش يشير إلى ما رواه غير واحد أن الناس أصابها في بعض مغازيه ص عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت. قوله:"والصحو والاستسقاء" هو ما ثبت من أنه ص طلب منه وهو يخطب بمسجده في المدينة الاستسقاء فاستسقى فانهلت السماء عليهم سبعة أيام فطلب منه أن يدعوا للصحو فدعا فصحوا. قوله:"والنور قال في الشفا أن الطفيل بن عمر لما أسلم سأل رسول الله ص آية لقومه فقال ص اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يكون مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء بالليلة المظلمة فسمي ذا النور. قوله:"والجعدي" هو ما رواه الحافظ البيهقي وغيره عن يعلى بن الأشدق قال سمعت النابغة ـ نابغة بني جعدة ـ يقول أنشدت رسول الله ص هذا الشعر فأعجبه :

بلغنـــا الســـماء مجـــدنا وتراثنـــا وإنـــا لنرجـــوا فـــوق ذلـــك مظهـــرا

فقال ص أين المظهر يا أبا ليلى؟ قلت الجنة قال كذلك إن شاء الله ثم قال:

ولا خيـر فـي حلـم إذا لـم يكـن لـه بـوادر تحمـي صـفوه أن يكـدرا
ولا خيـر فـي جهـل إذا لـم يكـن لـه حلـيم إذا مـا أورد الأمـر أصـدرا

فقال النبي ص أجدت لا يفضض الله فاك قال يعلى فلقد رأيته وأتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن. وفي رواية لقد رأيت سنه كأنها البرد المنهل ما سقط له سن ولا انفلت. قوله:"والزهراء" قال في الشفا ودعا لفاطمة ابنته أن لا يجيعها قالت فما جعت بعد.

وهكـــذا غرقـــدة وعـــروه وردت الناقـــة عنـــد الـــدعوه

يعني أنه كذلك ص دعا لعروة بن أبي الجعد المازني ولغرقدة فاستجاب الله تعالى له فقد ورد في الصحيح من طريق شبيب بن غرقدة أنه سمع الحي يخبرون عن عروة بن أبي الجعد المازني أن رسول الله ص أعطاه دينارا ليشتري له به شاة فاشترى به شاتين وباع احداهما بدينار فأتاه بشاة ودينار فقال له بارك الله لك في صفقة يمينك، وفي رواية فدعا له بالبركة فكان لو اشترى التراب لربح فيه وأما غرقدة فقد ذكره في الشفا وقال روي له مثل ما لعروة والله تعالى أعلم، قوله: " وردت الناقة...إلخ." قال في الشفا وندت له ص ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه .

ولمعاويـــــــة بـــــــالتمكين وفـــــازت الفتـــــاة بـــــاليقين

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء وردت في فضل معاوية أحاديث قل ما تثبت وذكر منها حديثا رواه الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي أن رسول الله ص قال: لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وقال عياض في الشفا ودعا ص لمعاوية بالتمكين فنال الخلافة.قوله:"وفازت الفتاة ...إلخ." الفتاة هي أم أبي هريرة فقد جاء في صحيح مسلم أن أبا هريرة سأل رسول الله ص أن يدعو لها فيهديها الله فدعا لها فذهب أبو هريرة فوجدها تغتسل خلف الباب فلما فرغت قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح ثم ذهب فأعلم رسول الله ص وسأل منه أن يدعوا لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين فدعا لهما فحصل ذلك قاله ابن كثير في الشمائل، واليقين في البيت المراد به الإيمان، اهـ.د

وإذ دعـــا علـــى الصـــبي وعلـــى عتبـــة واللـــذ بالشـــمال أكـــلا
أجيـــب فـــي كســـرى وفـــي محلـــم ومضـــر وذي الســـلا والحكـــم

ذكرا لناظم رضي الله عنه أمثلة لمن دعا ص لهم واستجيب له فيهم ثم أخذ يعطي أمثلة لمن دعا عليهم أعاذنا الله فقال: "وإذ دعا على الصبي ...إلخ." والصبي المذكور هو صبي قطع صلاته ص فقال اللهم اقطع أثره فأقعد ، وعتبة هو بن أبي لهب قال له ص اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد والذي أكل بالشمال هو عبد الله بن بسر رآه النبي ص يأكل بشماله فقال له كل بيمينك قال لا أستطيع فقال له ص لا استطعت فلم يرفعها بعد إلى فيه ، رواه مسلم إلا أنه لم يسم الآكل وكسرى ملك الفرس أرسل له النبي ص

كتابا فمزقه فدعا عليه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رئاسة في أقطار الدنيا ومحلم هو ابن جثامة وقد قتل من ألقى له السلم فدعا عليه ص فمات لسبع ودفن فلفظته الأرض مرات فألقي بين صدين ورضم عليه بالجارة ومضر دعا عليهم ص بالشدائد فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا، وذوا السلا يشير إلى الحديث المشهور المتفق عليه المروي عن ابن مسعود في دعائه ص على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسمى من دعا عليهم قال ابن مسعود فلقد رأيتهم يوم بدر قتلوا كلهم، والحكم هو ابن العاص كان يختلج بوجهه ص ويغمز عنده فقال له ص كذلك كن، فلم يزل يختلج ويرتعش إلى أن مات،اهـ. من الشفا.

ورده فـــــرس ذاك الرجـــــل فأصـــبحت شاصـــية بالرجـــل

الرجل بفتح وسكون لغة في الرجل والفرس المذكورة هي فرس ابتاعها النبي ص من رجل ثم أنكر الرجل وهي التي شهد فيها خزيمة كما تقدم قال في الشفا فرد النبي ص الفرس بعد للرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية رجلها أي رافعة رجلها (كناية عن الموت).

وكـــم لصـــحبه بأهلـــه ظهـــر خيـــر كمـــا استســـقى بعمـــه عمـــر

عمه هو العباس بن عبد المطلب، ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب استسقى به للناس فساقهم الله ففي البخاري أن عمر بن الخطاب قال اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا واليوم نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، فسقوا. وبركات أهله وذويه ص أكثر وأشهر من أن تذكر وتحصر ومنها نزول آية التيمم وقد حبست عائشة الجيش لتجد عقدها لما ضل وهم على غير ماء.

فصل

ومـــن عظـــيم منصـــب الحبيـــب بحـــر اطلاعـــه علـــى الغيـــوب
كمـــا بمجلـــس لهـــم أذاعـــه ممـــا يكـــون لقيـــام الســـاعه

يعني أن من كراماته ص ودلائل نبوته وعظيم منصبه ما اطلع عليه من الغيوب مما كان ومما سيكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع

الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب وأشار الناظم رضي الله عنه بقوله:"كما بمجلس ..إلخ." إلى حديث حذيفة المشهور الذي رواه أبو داوود عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله ص مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله ص من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله ص وما يحرك طائر في السماء جناحيه إلا ذكرنا منه علما.

وفتحهم نحو العراق واليمن وما يرى بينهم من الفتن
وتلك لا تظهر ما دام عمر وأن قاتل علي لأشر

يعني أن مما أخبر به ص أصحابه قبل وقوعه فتحهم العراق واليمن ونحوهما إلى آخره، روى الإمام أحمد في مسنده الجزء5 ص220 أن رسول الله ص قال يوشك أن يفتح الشام فيأتيه رجال من هذا البلد يعني المدينة فيعجبهم ريفه ورخاؤه والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وفي صحيح مسلم قال رسول الله ص تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، قوله:"وما يرى ...إلخ." يعني أنه ص أخبر بما يقع بينهم من الفتن روى الإسماعيلي في مسنده من حديث عمر أتانا جبريل فقال إن أمتك مفتتنة من بعدك فقلت من أين ؟ قال من قبل أمرائهم وقراءهم يمنع الأمراء الناس الحقوق فيطلبون حقوقهم فيفتنون ويتبع هؤلاء القراء الأمراء فيفتنون وروى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال أشرف النبي ص على أطم من آطام المدينة فقال هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا، قال فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر، قال في فتح الباري وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمراءه ثم عليه بتوليته لهم وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق، وروى البخاري أن

النبي ص قال الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا، وأشار إلى المشرق، قوله: "وتلك لا تظهر..إلخ" يعني أن مما أخبر به ص أن الفتنة لا تظهر ما دام عمر حيا ، أخرج البخاري عن شقيق قال سمعت حذيفة يقول بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال أيكم يحفظ قول النبي ص في الفتنة قال فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ليس عن هذا أسألك ولكن التي تموج كموج البحر فقال ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا قال عمر أيكسر الباب أم يفتح قال لا بل يكسر قال عمر إذا لا يغلق أبدا قلت أجل ، قلنا لحذيفة أكان عمر يعلم الباب ؟ قال نعم كما يعلم أن دون غد ليلة وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله من الباب فأمرنا مسروقا فسأله فقال من الباب قال عمر، وروى الطبراني بإسناد رجاله ثقات أن أبا ذر لقي عمر فأخذ بيده فغمزها فقال أبو ذر أرسل يدي يا غلق الفتنة، وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون أن النبي ص قال وعمر مار به هذا غلق الفتنة، قوله:"وأن قاتل علي....إلخ." أي ومما أخبر به ص قتل علي رضي الله عنه وأن قاتله أشقى الناس فقد أخرج والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي ص قال لعلي أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذه.

وقتـــل عمـــار وعثمـــان وقـــد أخبـــر بـــافتراس عتبـــة الأســـد

أخرج مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال حدثني من هو خير مني يعني أبا قتادة أن رسول الله ص قال لعمار تقتلك الفئة الباغية، وروي أيضا عن أم سملة قالت قال ص تقتل عمارا الفئة الباغية وفي رواية وقاتله في النار فقتلته طائفة معاوية قوله:"وعثمان" أي وأخبر أيضا بقتل عثمان قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن إسماعيل عن قيس عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ص ادعوا لي بعض أصحابي قلت أبو بكر قال لا ، قلت عمر قال لا ، قلت ابن عمك علي قال لا ، قلت عثمان قال نعم، فلما جاء عثمان قال تنحى فجعل يساره ولون عثمان يتغير قال أبو سهلة فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا يا أمير المؤمنين ألا تقاتل قال لا إن رسول الله ص عهد إلي عهدا وإني صابر نفسي عليه، قوله: " وقد أخبر ..إلخ." أي أخبر بأن عتبة بن أبي لهب سيأكله الأسد فكان كما قال . قاله في الشفا .

وحاطـــب وزينـــب والســـحر وقـــد أري مصـــرع أهـــل بـــدر

حاطب هو ابن أبي بلتعة كتب كتابا قبل الفتح وبعث به مع ظعينة إلى مكة يخبرهم فيه بما ينوي رسول الله ص من غزوهم فأعلم الله تعالى نبيه بالكتاب فبعث عليا والزبير والمقداد وقال لهم انطلقوا حتى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا فوجدوا الظعينة كما قال ص وأخذوا منها الكتاب وأتوا به رسول الله ص فقال يا حاطب ما هذا فاعتذر بأنه ليس من صميم قريش وأنه حليف فيهم فأراد أن يصانعهم لحفظ بعض ماله بمكة فصدقه النبي ص وقال عمر يا رسول الله دعني فأضرب عنقه فقال ص إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ونزلت {يا أيها الذين لا تتخذوا عدوي }الآية والحديث فيه رواه البخاري قوله:"وزينب" هي زينب بنت جحش فقد اجتمع زوجات النبي ص عنده يوما وسألنه أيتهن أسرع لحوقا به فقال أطولكن يدا فكانت زينب وذلك لطول يدها بالصدقة والحديث فيها رواه مسلم، قوله:"والسحر" هو سحره ص الذي فعل به ليبد بن الأعصم اليهودي أخبر به النبي ص وبصفته وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة قاله في الشفا. والكلمات الثلاث معطوفات على قوله:"بافتراس عتبة" أي وأخبر بكتاب حاطب ولحوق زينب به أولا وسحر لبيد له ص قوله:"وقد أري مصرع...إلخ." يعني أن النبي ص أرى الناس أي أصحابه يوم بدر مصارع الذين قتلوا من الكفار ببدر وذلك في الليلة التي التقوا في صبيحتها فقد وقع عند مسلم من حديث أنس عن عمر إن النبي ص ليرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان فو الله الذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود. الحديث.وهذا من جملة ما اطلع عليه ص وأخبر به من الغيب.

ومـوت كسـرى والنجاشـي وعـن سـر عميـر والحسـين والحسـن

كسرى هو ابن برويز ابن هرمز بن أنوشروان وهو ملك فارس الكبير المشهور الذي بعث إليه رسول الله ص عبد الله بن حذافة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فمزق الكتاب أشد تمزيق فلما بلغ ذلك رسول الله ص قال اللهم مزق ملكه وجاء في حديث عبد الله بن حذافة وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فكتب باذان إلى النبي ص فقال أي النبي ص أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه في هذه الليلة وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع وأن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، وعن الزهري قال بلغني أن كسرى كتب إلى باذان بلغني أن رجلا من قريش يزعم أنه نبي فإن تاب وإلا أبعث برأسه

فذكر القصة وفيها أن باذان لما بلغه موت كسرى أسلم هو ومن معه من الفرس لما ظهر من صدق إخبارهص بذلك، قوله:"والنجاشي" يعني أنه أخبرص بموته قبل أن يصلهم خبرها ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيص نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات والنجاشي هو أصحمة ملك الحبشة قوله: "وعن سر عمير" هو عمير بن وهب وسره هو ما تمالأ عليه هو وصفوان بن أمية من قتله ص وقد تسارا ذلك وشارطه صفوان عليه فلما جاء إلى النبي ص سأله ما يقصد فقال لا شيء فأخبره النبي ص بما دار بينه وبين صفوان من التمالؤ على قتله والمشارطة فأسلم عمير من توه، قوله:"والحسين" هوابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء، فقد أخبر النبي ص أنه سيقتل بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه، قوله:"والحسن" هو أخو الحسين رضي الله عنهما فقد قال فيه ص إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين فكان كما قال.

ووصـــفه شـــأن ســـهيل لعمـــر وأهـــل مؤتـــة وصـــائد البقـــر

هو سهيل بن عمرو بعثته قريش إلى رسول الله ص في صلح الحديبية فراوض رسول الله ص في ذلك وصار يمد يده إليه ص وعمر بن الخطاب يرى ذلك فأغضبه وهم أن يلحقه بالسوء فنهاه ص وقال عسى أن يقوم مقاما لا تذمه، فلما مات النبي ص قام في أهل مكة مقام أبي بكر في أهل المدينة، فخطب الناس بنحو خطبة أبي بكر في أهل المدينة وثبتهم وقوى بصائرهم ، وهذا هو المقام الذي أشار إليه ص. قوله: "وأهل مؤتة" أي وكذلك وصفه شأن أهل مؤتة وهو بعث يتألف من ثلاثة آلاف بعثه رسول الله ص إلى قتال شرحبيل بن عمرو الغساني وهو من أمراء قيصر على الشام في جمادى من سنة ثمان، وسببه أن شرحبيلا قتل الحارث بن عمير وكان أرسله النبي ص إلى صاحب بصرى، فلما بلغوا مؤتة من أرض الشام تلقتهم جموع كثيرة من الروم فقاتلوهم حتى قتل الكثير منهم وقد أخبر النبي ص بذلك قبل أن يصل خبرهم، ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ص نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان... حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم، فكان كما قال ص، والمراد بالسيف هو خالد بن الوليد اصطلح عليه الجيش بعد قتل أمرائه. قوله: "وصائد البقر" هو أكيدر صاحب دومة الجندل بعث إليه النبي ص خالد بن الوليد وقال له: إنك تجده يصيد البقر فلما كان ليلة بلوغ خالد لمكانه جلس

أكيدر وزوجته في عرصة الدار فجاء قطيع من بقر الوحش فصار يتحكك بالجدران فقال أكيدر لزوجته لم أر كهذه الليلة وهذا البقر وكانت ليلة مقمرة، فقالت له صاحبته: هلا خرجت لتصيد بعضهن فخرج يطاردهن، فالتقى به خالد في تلك الساعة فأسره، وقيل إنه أسلم ، وقال أبو نعيم وابن منده في كتابيهما في معرفة الصحابة أنه أسلم وأهدى للنبي ص جبة سيراء فوهبها لعمر، وقال ابن الأثير: الهدية والمصالحة صحيحان أما الإسلام فغلطا فيه فإنه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير ولما صالحه عليه السلام عاد إلى حصنه وبقي فيه، ثم إن خالدا حاصره زمن أبي بكر فقتله مشركا، قاله أحمد بن محمد الشمني في "مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا".

والـــــريح والناقـــــة والغســـــيل والضـــرس والقلبـــين والغلـــــول

كان النبي ص في إحدى غزواته فهبت ريح شديدة فزع منها الناس فقال ص: إنما هبت لموت منافق، فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا الأمر كذلك. قاله في الشفا. قوله: "والناقة" يشير به إلى ما رواه ابن إسحاق وغيره أن النبي ص في غزوة تبوك ضلت ناقته، فقال بعض المنافقين هلا علم مكانها إذا كان نبيا، فلما التقى ص بمن قال ذلك قال: إني لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد أخبرني أنها في وادي كذا معلقة بخطامها في شجرة، فبعث من أتى بها. قوله: "والغسيل" هو حنظلة بن أبي عامر استشهد يوم أحد فأخبر النبي ص أن الملائكة غسلته، وقال اسألوا زوجته عن شأنه فسألوها قالت كان جنبا فغسلت شقه وعجله النفير عن الشق الآخر. قوله: "والضرس" هو ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ص قال لقوم من جلسائه: ضرس أحدكم في النار أعظم من جبل أحد، قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة. قوله: "والقلبين" - بضم القاف - أي السوارين، يشير إلى ما قاله ص لسراقة بن مالك: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟، فلما أوتي بهما عمر ألبسهما إياه، وقال: الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة. قوله: "والغلول" يعني وأعلم بخبر الغلول: والغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل القسم، فقد روي أن رجلا يقال له "كركرة" غل شملة، فأخبرهم النبي ص بذلك ففتش ووجدت عنده، وكذلك أعلم بالذي غل خرزة من خرز يهود فوجدت في رحله. قاله في الشفا.

وعضـــو زيـــد وأويـــس وأري مبلـــغ أمـــة النـــذير المنـــــــذر

هو زيد بن صوحان قال النبي ص أن عضوا منه يسبقه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد، قاله في الشفا. قوله: "وأويس" هو أويس القرني التابعي

المشهور، فقد روى مسلم من حديث أسيد بن جابر عن عمر بن الخطاب في قصة أويس القرني أن رسول الله ص أخبرهم أنه هو خير التابعين وأنه كان به برص فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضعا قدر الدرهم من جسده – قيل ليتذكر دائما نعمة الله عليه- وأخبر أنه بار، وقال لعمر: فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، وقد وجد هذا الرجل في زمن عمر بن الخطاب على الصفة والنعت الذي ذكره ص. قوله: "وأري مبلغ.. الخ" قال في الشفا: روي أنه ص قال: "زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها"، قال في الشفا: ولذلك امتدت في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك.

وخبـــر الكتـــاب لا المقـــدس ووصـــفه للقـــوم بيـــت المقـــدس

قوله: "لا المقدس" وصف للكتاب: أي غير المقدس بل هو الكتاب النجس الممقوت، لأن المراد به الصحيفة التي كتبت فيها قريش مقاطعة بني هاشم ونبذهم حتى يبرءوا من رسول الله ص يعني أن من جملة ما أخبر به ص من المغيبات خبر تلك الصحيفة فقد ثبت أنه ص قال لعمه أبي طالب: إن تلك الصحيفة أكلتها الأرضة جميعا إلا ما فيها من اسم الله واسم نبيه، فأخبر أبو طالب قريشا بذلك ففتحوها فوجدوها كما قال ص. قوله: "ووصفه .. الخ" يعني أن مما تقدم من إخباره بالمغيبات وصفه ص لأبي بكر وغيره بيت المقدس، وذلك صبيحة ليلة الإسراء ولم يره قبل فطلب منه أبو بكر أن يصفه له وقد كان يعرفه فوصفه له كما يعرفه ولم يترك منه شيئا، وفي الحديث أنه رفع له حتى صار معاينا له فلم يخطئ منه شيئا، والله تعلى أعلم.

(فصل فيما اختصه الله به من العصمة والحفظ والنصر):

وعصـــم الشـــر مـــن الوســـواس ذي المكـــر والإغـــواء والإلبـــاس

قال القاضي عياض في الشفا: واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ص من الشيطان وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوساوس، وروى الدارقطني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ص: "ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة" قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: "وإياي.. ولكن الله تعلى أعانني عليه فأسلم"، وفي رواية "فلا يا مرني إلا بخير"، قال: وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ

يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين، كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي ص وأسره، ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه ص: إن الشيطان عرض لي – قال عبد الرزاق في صورة هر- فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان: {رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي} فرده الله خاسئا.

ومـــن أبـــي جهـــل وكـــالعوراء والنفـــر الســـاعين بالإيـــذاء

يعني أنه ص كما عصمه الله من الشيطان وكفاه الأذى منه عصمه كذلك من الناس وكفاه من أذاهم، قال تعالى: {والله يعصمك من الناس}، وقال: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا}، وقال: {أليس الله بكاف عبده}: قيل: أي بكاف محمدا ص أعداءه المشركين، وقال تعالى: {إنا كفيناك المستهزئين}، وأخرج الحافظ أبو عيسى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ص يحرس حتى نزلت هذه الآية: {والله يعصمك من الناس}، فأخرج رسول الله ص رأسه من القبة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل.

قول الناظم رضي الله عنه: "ومن أبي جهل" يعني أن من كفاية الله له وعصمته ما وقع لأبي جهل معه، فقد ذكر ابن إسحاق وغيره أن أبا جهل جاء بصخرة إلى رسول الله ص وهو ساجد ليطرحها عليه فلزقت بيده، ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له فانطلقت يداه، وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه، فقال إنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي ص ذاك جبريل لو دنا لأخذه. قوله: "وكالعوراء" هي حمالة الحطب زوجة أبي لهب، فقد كفاه الله شرها، فقد ذكر ابن إسحاق أنه لما بلغها نزول {تبت يدا أبي لهب} وذكرها بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم أتت رسول الله ص وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر، وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه ص، فقالت: أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. وذكر عبد بن حميد قال: كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله ص فكأنما يطؤها كثيبا أهيل. قوله: "والنفر الساعين.. الخ" هو ما روي عن الحكم بن العاص قال: تواعدنا على قتل النبي ص فخرجنا ليلة لذلك حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى

أهله، ثم تواعدنا ليلة أخرى، فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالتا بيننا وبينه، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله ص فجئنا منزله فاستمعنا له فافتتح وقرأ {الحاقة ما الحاقة} إلى قوله: {فهل ترى لهم من باقية} فضرب أبو جهم على عضدي وقال: انج وفرا هاربين، فكانت من مقدمات إسلام عمر. ذكره في الشفا.

وغـــورث الخاتـــل وابـــن مالـــك حـــين أجـــاره مـــن المهالـــك

أي وكذلك منعه الله من شر غورث ابن الحارث، وقصته مروية في الصحيح وهي أن النبي ص كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه غورث هذا – أي مغتنما فرصة توحده ـ واخترط سيفه ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: الله عز وجل فرعدت يده وسقط سيفه فأخذه النبي ص، وقال: "من يمنعك مني؟" قال: لا أحد، فعفا عنه ص فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس، فنزل في ذلك قوله تعالى: {إذ هم قوم..} الآية.. وقيل نزلت في غيره. قوله: "وابن مالك.. الخ" هو سراقة بن مالك الذي تصدى للنبي ص حين جعلت قريش مائة ناقة لمن رده إليها لما خرج هو وأبو بكر في الهجرة، فأنذر بهم سراقة هذا فركب جوادا عنده، فلما كان قريبا منهما عثر الجواد حتى سقط فركبه أيضا ثم سقط مرة أخرى حتى ساخت قوائمه في الأرض فعلم بذلك أنهما ناجون فدعاهم بالأمان فكتبوا له كتاب أمن ووعدهم أن يخفي أمرهم ويرد كل من طلبهم وفعل، ذلك ما يعنيه الناظم بقوله: "حين أجاره.. الخ"، والقصة مشهورة وسيذكرها الناظم في باب الهجرة.

وأنســـي الراعـــي المجـــد بـــالخبر نحـــو قـــريش حـــين مكـــة حضـــر

ذكر القاضي عياض في الشفا: أن راعي غنم علم بمكان النبي ص وأبي بكر فترك غنمه وذهب مسرعا نحو مكة ليدل عليهما قريشا لينال الجائزة فلما بلغ مكة نسي ما كان أتى به حتى رجع إلى غنمه فسبحان القادر على ما يشاء.

ومـــن حيـــي وابـــن قـــيس إذ وفـــد وعـــامر وبـــيس مالـــه قصـــد

"حيي" هو ابن أخطب اليهودي من بني النضير، فقد حكى السمرقندي أن النبي ص خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية، فقال له حيي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا، فجلس النبي ص مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتآمر حيي مع قومه على قتله فأعلم جبريل النبي ص بذلك فقام كأنه يريد

حاجته حتى دخل المدينة، قوله: "وابن قيس.. الخ" هو أربد بن قيس وفد هو وعامر بن الطفيل على النبي ص المدينة متمالئين على قتله فقال عامر لأربد: أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت بالسيف ففعل عامر ما قال ولم ير أربد فعل شيئا، فلما كلمه في ذلك قال أربد: والله ما هممت بضربه إلا وجدتك بيني وبينه، أفأضربك؟ قوله: "وبيس ما قصد" يعني بيس ما قصد أربد وعامر بوفادتهما.

وصاحب الشواظ والرحى ومن طمس والمضروب صدرا فسكن

صاحب الشواظ هو شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد، فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه، قال: فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي النبي ص فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي، وقال لي: ادن فقاتل، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي، ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه. قوله: "والرحى" يعني صاحب الرحى وهو عمرو بن جحاش القرظي ، فقد روي أن النبي ص خرج هو وبعض أصحابه إلى بني قريظة فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش ليطرح عليه رحى ليقتله فانصرف النبي ص إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم، وقيل: إن قوله تعالى: {إذ هم قوم ...}الآية نزلت في هذه القصة. قوله: "ومن طمس" أي ذهب بصره، حكى السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي ص ليقتله فطمس الله على بصره فلم يره وقد سمع قوله، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه ونزل في هذه القصة على قول البعض: {إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا} الآيتين.. وفي قصة أبي جهل المتقدمة. قوله: "والمضروب صدرا.. الخ" هو فضالة بن عمرو، روي عنه أنه قال: أردت قتل النبي ص عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، فلما دنوت منه قال: أفضالة ، قلت: نعم! قال: ما كنت تحدث به نفسك؟ قلت: لا شيء، فضحك واستغفر لي، ووضع يده على صدري، فسكن قلبي، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه.

والله أعطاه عظيم النصر بالرعب قدام مسير شهر

أخرج البخاري عن جابر أن النبي ص قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحدا قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى

الناس عامة، وأخرجه أيضا أحمد عن أبي أمامة، قال ابن حجر في فتح الباري: مفهوم الحديث أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة، ولا أكثر منها، أما دونها فلا، قال: لكن لفظ الحديث في رواية عمرو بن شعيب: ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر، فالظاهر اختصاصه به مطلقا، وهذه الخصوصية حاصلة له ص على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال.

أمـــــده الإلـــــه بالملائكـــــه إذ غـــادروا فئـــة بـــدر هالكـــه

قال تعالى: {ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين}، وجاء من طريق سعيد عن قتادة قال: أمد الله المسلمين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وعن الربيع بن أنس قال: أمد الله المسلمين يوم بدر بألف ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف.

وقـــد أراهـــم صـــحبه كـــالجن وأخـــذ الشـــيطان قصـــد الســـجن

الضمير في قوله: "أراهم" للملائكة ، يعني أن النبي ص أرى أصحابه بعض الملائكة وذلك في أماكن مختلفة، فقد ورد أنه أرى حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه، وروي في الصحيح أن أصحابه ص رأوا جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان، ورأى ابن عباس وأسامة بن زيد وغيرهما عنده ص جبريل في صورة دحية – قاله في الشفا-، ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض، ومثله عن غير واحد، ذكره عياض، قال: وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر، ورأى بعضهم تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب، ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وهذا من خصائصه ص وكراماته وباهر آياته، قوله: "كالجن" يعني أن من ذلك أيضا أنباؤه مع الجن وطاعتهم له، ورؤية كثير من أصحابه لهم ،قال تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن..}الآيتين، قال القاضي عياض في الشفا: وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: بينا نحن جلوس عند النبي ص إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي ص فرد عليه وقال ص: نغمة الجن من أنت؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لا قيس بن

إبليس، فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل، وأن النبي ص علمه سورا من القرآن، وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي ص فقال له: تلك العزى، قوله: "وأخذ الشيطان.. الخ" هو ما رواه غير واحد أن النبي ص قال: إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان: {رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي}، فرده الله خاسئا، وهذا باب واسع جدا، وذكر في الشفا أن عبد الله بن مسعود رأى الجن ليلة الجن، وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط ، والله تعالى أعلم.

وقد رأى جبريل مرتين في صورته بإذن ربه الحفي

أخرج الترمذي من طريق مسروق عن عائشة رضي الله عنها لم ير محمد ص جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة بأجياد، والعلم عند الله تعالى، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا: لم أره – يعني جبريل - على صورته التي خلق عليها إلا مرتين، وبين أحمد في حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خلق عليها، والثانية كانت عند المعراج اهـ.

(فصل فيما اختصه الله به من العلوم والمعارف):

وجمع الوهاب للكريم ما ليس محصورا من العلوم
مثل اطلاعه على القرون مع مصالح الدنا والدين
والاحتوا على لغات العرب والطب والحساب ثم النسب

قال القاضي عياض في الشفا: ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله وصفات أعيانهم إلى أن قال: إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها، ثم قال: إلى الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه ص فيها قدوة وأصولا في علمهم

كعلم التعبير كقوله في علم الطب: المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة وإن كنا لا نصححه لضعفه، وقوله: "خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي، وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين"، وفي العود الهندي سبعة أشفية منها: ذات الجنب، وقوله: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه فإن كان لا بد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس" وقوله في علم النسب والقرون الماضية لما سئل عن سبإ أرجل هو أم امرأة أم أرض؟ فقال: "رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة" الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك، وقوله: "حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها ، والأزد كاهلها وجمجمتها ، وهمدان غاربها وذروتها"، وقوله في الحساب إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وقوله في الحوض زواياه سواء، وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان، وقوله في الخط لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للعمل، هذا مع أنه ص كان لا يكتب ولكن أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله: "لا تمدوا بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ" رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس، وكقوله لمعاوية وكان يكتب بين يديه ص: ألق الدواة عن يمينك وحرف القلم ، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم، وهذا وإن لم تصح الرواية أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة ، وأما علمه ص بلغات العرب وحفظ معاني أشعارها فأمر مشهور، وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم غير العرب، وانظر كتابه إلى همدان: "إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفائها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والفصيل والفارض الداجن، والكبش الحواري وعليهم فيها الصالغ"، وقوله لنهد: "اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة" وكقوله في حديث عطية السعدي: "إن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة" قال: فكلمنا رسول الله صبلغتنا. وقوله في حديث العامري حين سأله: سل عنك: أي سل عما شئت، وهي لغة بني

عامر. فلما كان هؤلاء كلامهم على هذا الحد، وبلاغتهم على هذا النمط، وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم، ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون، وكقوله في الحديث: "سنه.. سنه" وهي حسنة بالحبشية، وقوله: "ويكثر الهرج" وهو القتل بها، وقوله في حديث أبي هريرة: "اشكنب درد" أي وجع البطن بالفارسية، قاله في الشفا، هذا وما جمعه الله تبارك وتعالى لسيدنا محمد ص من المعارف والعلوم واللغات لا يعلم حقيقته، ولا يقدر على حصره إلا الذي خصه بذلك، ولا يحتاج في إثبات ذلك إلى سرد الأمثلة الدالة عليه، فكل من كان في عهده ص ثبت عنده ذلك بالمشاهدة والعيان، ولم يزل الإخبار بذلك منتشرا بكل زمان ومكان، فقلوب المسلمين وغيرهم معتقدة ذلك بالإجماع من دون وقوع خلاف فيه أو نزاع صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

بـــاب هجرتـــه ص

الهجرة على وزن فعلة بكسر الفاء وسكون العين اسم من هاجر، قال في فتح الباري: وأصل الهجرة هجر الوطن وأكثر ما يطلق على من رحل من البادية إلى القرية. اهـ. وتطلق في الشرع على الذهاب من بلد يخاف فيه من الفتنة في الدين، واختلف هل هي مطلوبة في كل زمان أم لا، ففي البخاري أن عائشة رضي الله عنها سئلت عن الهجرة فقالت: لا هجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ص مخافة أن يفتن عليه فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام واليوم يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية، وفيه أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: لا هجرة بعد الفتح، وروي عن عبد الله بن السعدي لا تنقطع الهجرة، قال البغوي في شرح السنة ويحتمل الجمع بين ذلك بأن يقال لا هجرة بعد الفتح أي من مكة إلى المدينة، وقوله لا تنقطع الهجرة أي من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام، وقال الخطابي كانت الهجرة إلى النبي ص في أول الإسلام مطلوبة ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى: {والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا}، فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب، أما النبي ص فقد هاجر من مكة إلى المدينة بعد أن أذن له فيها بقوله تعالى: {وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا}

أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم عن ابن عباس وذكر الحاكم أن خروجه ص من مكة كان بعد العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها وجزم ابن إسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما، وكذا جزم به الأموي في المغازي قال وخرج لهلال ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه قال في فتح الباري، قلت وعلى هذا خرج يوم الخميس وأما أصحابه فتوجه معه منهم أبو بكر وعامر بن فهيرة كما سيأتي للناظم رضي الله عنه قال الناظم:

واجتمعوا في دار ندوة قريش وافترقوا في قتله حمقا وطيش
ثم أتى جبريل قال لا تنم على الفراش وعلي بات ثم
ورصدته فئة الكفار فأخذ الله على الأبصار
فقام تاليا وعنهم خرجا وذر فوقهم ترابا ونجا

الضمير في قوله: "واجتمعوا" وقوله: "وافترقوا" لم يكن له مفسر مذكور إلا أنه علم المراد منه وهم قريش الكفار فهو كقوله تعالى: {حتى توارت بالحجاب} فالمراد الشمس ولم يتقدم ذكرها ولم يتأخر، وملخص ما أشار الناظم له هو أن قريشا لما علموا أنه صبايعته سبعون رجلا من الخزرج والأوس وصار أتباعه يزيدون اجتمعوا في دار الندوة وهي الدار التي بنى قصي بن كلاب وصاروا لا يعقدون أمرا ولا يحلونه إلا فيها فاشتورا فيما يفعلون به ص ويقال إن الشيطان تمثل لهم في صورة شيخ من نجد وقال لهم سمعت بما اجتمعتم من أجله فأتيتكم معينا أو نحو ذلك فقال البعض أرى أن نخرجه من بلدنا مكة إلى بلد آخر فقال الشيخ النجدي هذا ليس برأي ولئن فعلتموه ليغزونكم هو وأتباعه وليغلبن عليكم فروا رأيا غير هذا ، وقال بعض أرى أن يحبس في دار ولا ندعه يخرج منها فلم يرض النجدي بهذا ولم يتفقوا عليه، وصاروا كلما أبدوا رأيا سفهه النجدي وعابه حتى تكلم الخبيث أبو جهل وقال عندي رأي فيه استمعوا له قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قبائل قريش الإثنتي عشرة شابا ونعطيه سيفا ونقول لأولئك الشبان الإثنى عشر أرصدوه في داره حتى يقوم يصلي فاضربوه كلكم ضربة رجل واحد لا يسبق بعضكم بعضا فيقتل متفرقا دمه في القبائل فلا تقدر بنو هاشم على محاربتهم جميعا فترضى منا بالدية فنعطيها لهم فنستريح منه فصفق الشيخ النجدي وقال نعم الرأي هذا ورضوه كلهم فافترقوا مجمعين على تنفيذ هذه الخطة، فنزل جبريل على النبي ص وأمره أن لا ينام في داره تلك الليلة المسماة لتنفيذ الرأي وأمر النبي ص عليا فنام في مكانه مسجى بثوب أخضر ليراه الراصدون فيظنوه محمدا ص وخرج النبي ص مارا بهم يتلوا ياسين إلى

قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون وأخذ قبضة من تراب فقذفهم بها فأخذ الله على أبصارهم فلما أصبحوا وقام الذي كان يظن أنه محمد ص فإذا هو علي بن أبي طالب علموا الخيبة والفشل وسألوا عليا رضي الله عنه عن النبي ص أين توجه فقال لا أدري، ومن أصابه مما قذفهم به النبي حصاة قتلوا كلهم يوم بدر كفارا والعياذ بالله كما ذكر الناظم وغيره، وقد أشار القرآن إلى ما ذكر بقوله: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} قاله القرطبي وغيره.

ولم تصب منهم حصاة خاسرا إلا توى يوم القليب كافرا
واستخلف ابن العم حتى أدى عنه الودائع التي استردا

ابن العم هو علي بن أبي طالب ذكر ابن إسحاق وغيره أن النبي ص خلفه بعد ذهابه من مكة ليودي عنه الودائع التي كانت مودعة عنده ويلحق به

وأمر اللذ أوتي التوفيقا جبريل أن يستصحب الصديقا

"اللذ" بسكون الذال لغة في الذي والمراد محمد ص يعني أن جبريل أمر النبي صأن يصحب الصديق في هجرته أي يذهب معه ففي البخاري أن أبا بكر تجهز للهجرة إلى المدينة قبل أن يؤذن للنبي ص فيها فقال له النبي ص على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ص ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله ص فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ص لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال فإني قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله بأبي أنت قال رسول الله ص نعم فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله ص بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين.

فجهزا ولحقا بغار بمكة ومكثا في الغار
ثلاثة وقيل بضعة عشر يوما والاول هو الذي اشتهر

قال البخاري قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله ص وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال، قوله: "وقيل بضعة عشر يوما" روى أحمد والحاكم من رواية طلحة النضري قال قال رسول الله ص لبثت مع صاحبي يعني أبا بكر في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا ثمر البرير، قال الحاكم معناه مكثنا في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما مختفين من الكفار، قوله: "والأول.. الخ" يعني أن القول بمكثهما في الغار ثلاث ليال فقط هو الذي اشتهر وهو الصحيح لأنه هو الذي في الصحيح قال ابن حجر لا يصح حمل حديث أحمد والحاكم على حالة الهجرة لما في الصحيح كما تواتر من أن عامر بن فهيرة كان يروح عليهما في الغار باللبن ولما وقع لهما في الطريق من لقي الراعي كما في حديث البراء في هذا الباب ومن النزول بخيمة أم معبد وغير ذلك فالذي يظهر أنها قصة أخرى والله تعالى أعلم قاله في فتح الباري.

وما درى خروجه إلا علي ... وأهل هذاك العتيق المعتلي
وإذ تفقدت قريش النبي ... بمكة ابتغوه كل مطلب
وبعثوا القافة حتى انقطعا ... لما أتوا ثورا فلاقوا جزعا
وجعلوا مائة ناقة لمن ... أتى به وهو بغار استكن
يدعوا عليهم بعمى الأبصار ... فجعلت تضرب حول الغار
حتى لو أن واحدا منهم نظر ... لقدميه لرأى خير البشر
وأقبلوا بالبيض والعصي ... والعنكبوت أيما بذي
صدت بنسج باضت الحمامتان ... عليه مع أنهما وحشيتان
وقال بعض ادخلوا وقالا ... أمية ابن خلف المختالا
إن به لعنكبوتا أقدما ... من مولد النبي حمقا وعمى

قال ابن إسحاق ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ص أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر أما علي فإن رسول الله ص فيما بلغني أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ص الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله ص ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ص، قوله: "وإذ تفقدت..الخ" ذكر موسى بن عقبة عن الزهري قال مكث رسول الله ص بعد الحج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر. ثم إن مشركي قريش اجتمعوا . فذكر القصة المتقدمة وفيها وبات علي على فراش النبي ص يوري عنه وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه فلما أصبحوا إذاهم بعلي وقال في آخره فخرجوا يطلبونه في كل وجه

و"ابتغوه" في البيت بمعنى طلبوه أي بحثوا عنه و"كل مطلب" مفعول مطلق من ابتغوه، قوله: "وبعثوا القافة.. الخ" القافة جمع قائف الذي يقتص الأثر قال موسى بن عقبة فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، وفي مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر بن علي المروزي شيخ النسائي من مرسل الحسن في قصة نسج العنكبوت نحوه، وذكر الواقدي أن قريشا بعثوا في إثرهما قائفين أحدهما كرز بن علقمة فرأى على الغار نسج العنكبوت فقال هاهنا انقطع الأثر وسمى أبو نعيم في الدلائل القائف الآخر سراقة بن جعشم ولم يسمه الواقدي، قوله: "وجعلوا مائة ناقة.. الخ" يعني أن قريشا أشاعوا في كل ناحية أن من أتى بالنبي ص إليهم يعطونه دية كاملة مائة ناقة ففي البخاري عن ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صوأبي بكر دية كل منهما لمن قتله أو أسره وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند الطبراني وخرجت قريش حين فقدوهما في بغائهما وجعلوا في النبي صمائة ناقة، قوله: "وهو بغار" آخر البيت إلى انتهاء الموالي له قال بنيس في شرح الهمزية وروي أنه ص قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار، قوله: "حتى لو أن.. الخ" جاء في الصحيح عن أنس قال أبو بكر يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا فقال له ص ما ظنك باثنين الله ثالثهما، قوله: "وأقبلوا بالبيض.. الخ" هو ما قاله بنيس ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن منهم بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر إلى الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له مالك؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد، وقد روي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت، وذكر في المواهب عن الدلائل أن رسول الله ص لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك حتى قيل:

ودود القز إن نسجت حريرا يجمـــل لبسه في كل شي

فإن العنكبوت أجل منـــها بمـا نسجت على رأس النبي

وأخرج أبو نعيم أنه ص نهى عن قتل العنكبوت وقال إنه جند من جنود الله، وأخرج ابن سعد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ص قال جزى الله العنكبوت عنا خيرا فإنها نسجت على فم الغار، قال المناوي وهذا في عنكبوت خاص وهو ما لا يؤذي أما ما يؤذي فيقتل ندبا، أخرج أبو داوود في مراسيله أنه صقال العنكبوت شيطان فاقتلوه اهـ.

والصـــاحب اســـتبكى رآه وهمـــا فـــي الغـــار رجـــلاه تقطـــرت دمـــا
ودخـــل الصـــديق فيـــه قبـــل ولســـعه لـــه الشـــفاء التفـــل
وإذ رأى منـــه أشـــد الحـــزن شـــفقة قـــال لـــه لا تحـــزن

يعني أن النبي صلما أراد أن يدخل الغار قال له صاحبه أبو بكر تريث حتى أدخل قبلك لئلا يكون في الغار ما يؤذي، أخرج ابن مردويه عن جندب بن سفيان قال لما انطلق أبو بكر مع رسول الله ص إلى الغار قال له أبو بكر لا تدخل يا رسول الله حتى أستبرئه فدخل أبو بكر الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم عن اصبعه وهو يقول:

هل أنت إلا أصبـع دمـــيت وفي سبيـل الله ما لقيـــت

وهذا مخاطرة منه رضي الله عنه بروحه وتغرير بنفسه في محبة محبوبه ص وعند ذلك يفتح باب الوصل ويباح التمتع بالشهود للمشتاقين ويرحم الله القائل:

ومن لم يخاطر في هـواه بروحـه فذاك برؤيا الحسن لا يتمتـــع

قول الناظم رضي الله عنه: "وإذ رأى منه .. الخ" فاعل "رأى" ضمير يعود عليه ص والضمير المجرور بـ "من" لأبي بكر يعني أن النبي ص لما رأى الحزن بأبي بكر شفقة أي خوفا عليه لا على نفسه ص ولا من جبنه قال له لا تحزن إن الله معنا ، قال في شرح الهمزية روي أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ص وقال إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة فعندها قال له رسول الله ص لا تحزن إن الله معنا يعني بالمعونة والنصر فأنزل الله سكينته عليه أي على أبي بكر لأنه كان منزعجا وأيده يعني النبي ص بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيتهما، وقيل إن أبا بكر لما رأى الكفار وهو في الغار ذكر ذلك للمصطفى ص فقال لو جاءونا من هنا خرجنا من هنا فنظر أبو بكر الغار وقد انفرج من الجانب الآخر وإذا البحر وسفينة بجانب الغار، قال في المواهب انظر لما رأى رسول الله ص حزن الصديق قد اشتد لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن إن الله معنا فكانت

تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الإسلام والثاني في بذل النفس، ولما وقى الرسول ص بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الأمصار ثاني اثنين إذ هما في الغار، ولقد أحسن حسان حيث قال لما قال له النبي ص هل قلت في أبي بكر شيئا:

إذا تـذكرت شـجوا مـن أخـي ثقـة فـاذكر أخـاك أبـا بكـر بمـا فعـلا
خيـــر البريـــة أتقاهـــا وأعـــدلها بعـد النبـي وأوفاهـا بمـا حمـلا
والثـاني التـالي المحمـود مشـهده وأول النـاس مـنهم صـدق الرسـلا
وثـاني اثنين فـي الغـار المنيف وقد طـاف العـدو بـه إذ صـعد الجـبلا
وكـان حـب رسـول الله قـد علمـوا مـن الخلائـق لـم يعـدل بـه بـدلا

وكـان عبـد الله أعنـي ابـن أبـي بكـر بكيـد مكـة يـاتي النبـي
عنـد جنـون الليـل ثـم بسـحر يـاتي قريشـا يتسـمع الخبـر
وكـان مـولى ذا العتيـق عـامر يـريح شـاء إذ يجـن الكـافر
فـي كـل ليلـة علـى المـولى الجليـل واسـتاجرا نجـل أريقـط دليـل
وهـو علـى ديـن الـذين رامـوا طـه ولـم يعـرف لـه إسـلام
فـدفعا راحلتيهمـا لـه وواعـداه الغـار إذ أجلـه
ثلاثـة ثـم أتـاهم بهمـا صـبح ثـلاث ومضـى معهمـا
نجـل فهيـرة وذا الـدليل فأخـذ السـاحل والنـزول

جاء في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها عن الهجرة قالت ثم لحق رسول الله ص وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستاجر رسول الله ص وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق الساحل، قوله: "ولم يعرف له إسلام" هو ما قاله بنيس بلفظه وقال السهيلي في الروض ولم يكن إذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق

صحيح أنه أسلم من بعد ذلك وفي الإصابة لابن حجر ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد اهـ. وفي نور النبراس أنه صحابي أسلم بعد هذه القصة، قوله: "والنزول" مبتدأ خبره قوله:

علـــى الخزاعيـــة أم معبـــد عاتـــك بنـــت خالـــد فـــي مجهـــد
فســـام منهـــا لبنـــا أو لحمـــا فلـــم يجـــد قـــال النبـــي الأســـمى
وعنـــدها شـــاة عـــن الغـــنم قـــد خلفهـــا الجهـــد تبـــارك الصـــمد
أبـــذه در؟ فقالـــت أجهـــد مـــن ذا فقـــال إيتـــوا بهـــا محمد
فمســـح الضـــرع فـــدرت فـــدعا بقـــدح جماعـــة قـــد وســـعا
فشـــربوا ومـــرة أخـــرى علـــل حلـــب فيـــه المصـــطفى بعـــد نهـــل
فغـــادروه عنـــدها وذهبـــوا فقـــل مـــا لبـــث أن جـــاء أبـــو
معبـــد ســـائقا عجافـــا ثـــم قـــال مـــن أيـــن ذا؟ ولا حلـــوب بـــل حيـــال
فقصـــت القصـــة ثـــم وصـــفت خيـــر الـــورى أحســـن وصـــف عرفـــت
فقـــال هـــذا صـــاحب البطحـــاء لـــو رأيتـــه اتبعـــت ذا الـــذي نفـــوا
والشـــاة هـــذي بقيـــت إلـــى زمـــان عمـــر تحلـــب لـــدى غيـــر الأوان

أم معبد التي نزل الوفد المبارك بخيمتها أول منزل لهم بعد الغار فيما يظهر من النظم هي عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خزاعة، وهي أخت حبيش بن خالد - له صحبة – وقد قدمت أم معبد المدينة ومعها ابن لها قد بلغ السعي فمر في المدينة على مسجد رسول الله ص وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق إلى أمه يشتد فقال لها يا أماه إني رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بني ويحك هو رسول الله ص، وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية عن رسول الله صولا يعرف اسمه وكان منزل أم معبد بقديد قاله السهيلي في الروض الأنف، وأما قصة مروره ص بخيمتها فهي شهيرة ذكرها غير واحد، قول الناظم رضي الله عنه: "فقصت القصة.. الخ" يحكى أن أبا معبد لما سألها من أين لها هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب قالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه يا أم معبد فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب فقالت: "رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، حسن الخلق، مليح الوجه، لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كان منطقه خرزات نظم يتحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين،

فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدا، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لاعباس ولا مفند" فقال بعلها هذا صاحب قريش الذي تطلب ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا اهـ. رواه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل ثم إن الحافظ البيهقي اتبع هذا الحديث بذكرتفسير غريبه قال: قولها ظاهر الوضاءة أي ظاهر الجمال وأبلج الوجه أي مشرقه ومضيئه ولم تعبه ثجلة قال أبو عبيد هو كبر البطن وقال غيره هو كبر الرأس ولم تزر به صعلة هو صغر الرأس وأما الوسيم فهو حسن الخلق وكذلك القسيم أيضا والدعج شدة سواد الحدقة والوطف طول شعر أشفار العين وفي صوته صحل وهو بحة يسيرة وأما قولها أحور فمستغرب في صفة النبي ص وهو قبل في العين يزينها لا يشينها كالحول وقولها أزج قال أبو عبيد هو المتقوس الجاجبين وقولها إذا صمت فعليه الوقار أي الهيبة عليه في حال صمته وسكوته وإذا تكلم سما أي علا على الناس وعلاه البهاء أي في حال كلامه حلو المنطق فصل أي فصيح يفصل الكلام ويبينه لا نزر ولا هذر أي لا قليل ولا كثير كان منطقه خرزات نظم يعني من حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه قولها وأبهى الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب أي هو مليح من بعيد ومن قريب وذكرت أنه لا طويل ولا قصير بل هو أحسن من هذا ومن هذا وأنه ليس بعابس أي ليس يعبس ولا يفند أحدا أي لا يهجنه ويستقل عقله بل جميل المعاشرة حسن الصحبة صاحبه كريم عليه وهو حبيب إليه ص.

ثم تصدى للنبي الأكرم سراقة بن مالك بن جعشم
لدى قديد فبكى الصديق قال أتينا فدعا المصدوق
بدعوات ساخ منها الطرف قال ادعوا لي وأنا لا أجفو
فركب الجواد ثم جاء ثم أراه كيد من أساء

البخاري : قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: جاءنا كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم، فقلت له إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة

فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأوهيت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام فجعلت تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ص وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ص فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ص وفي رواية أبي خليفة: قد علمت يا محمد أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه والله لأعمين عليك من ورائي ـ في مكان فناديتهم بالأمان ـ وفي رواية ابن إسحاق فناديت القوم أنا سراقة بن مالك بن جعشم أنظروني أكلمكم فو الله لا آتيكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه، وفي حديث بن عباس مثله وزاد وأنا لكم نافع غير ضار وفي رواية بن إسحاق في آخر الحديث فكتب لي كتابا في عظم أو ورقة أو خرقة ثم ألقاه إلي فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت وفي رواية موسى بن عقبة مثله وعندهما فرجعت فسئلت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا فرغ من حنين بعد فتح مكة خرجت لألقاه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك فقال يوم وفاء وبر ادن فأسلمت، وفي رواية صالح بن كيسان نحوه، وقال ابن إسحاق قال أبو جهل لما بلغه ما لقي سراقة لامه في تركهم فأنشده

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمدا نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه

ومر بالعبد أخي العناق وضرعها بالمسح ذو انطلاق
فشربوا وأسلم الراعي لما شاهد من آي الهدى واستكتما

قال بنيس في شرح الهمزية: ولما ارتحل المصطفى صعن أم معبد مر بعبد يرعى غنما فاستسقاه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير أن هنا عناقا حملت

أول العام وما بقي لها لبن، قال ادع بها فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا بمحلب فسقى أبا بكر ثم الراعي ثم شرب، فقال الراعي من أنت؟ فقال محمد بن عبد الله رسول الله، قال الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال إنهم يقولون ذلك، قال فأشهد أنك نبي وأن ما جئت به حق . رواه أبو نعيم.

وسلكوا عسفان ثم أمجا لقفا مجاحا مرجحا إذ خرجا
مدلجة تعهن فالجداجد ثم عبابيب أو العبابد
وفاحة أو فاجة وقدموا على ابن حجر أيضا أوس فاعلموا
وحمل النبي أوس إذ نزل نبينا حين أتى على جمل

أكثر النسخ من هذا النظم وخصوصا العتيقة منها خالية من هذه الأبيات الأربعة، والغالب على ظني أنها طارئة عليه فهي لا تحمل عندي لهجة الشيخ الوالد رضي الله عنه، وما ذكره ناظمها من تعيين طريقه ص هو وأبو بكر في خروجهما غير واف بما ذكره ابن إسحاق من ذلك. قال ابن إسحاق فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أريقط سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ثم سلك بهما على أسفل أمج ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديدا ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لقفا قال ابن هشام ويقال لفتا قال ابن إسحاق ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة محاج ويقال مجاج فيما قال ابن هشام ثم سلك بهما مرجح محاج ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين ثم بطن ذي كشر ثم أخذ بهما على الجداجد ثم على الأجرد ثم سلك بهما ذا أسلم من بطن أعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد ويقال العبابيب فيما قال ابن هشام قال ابن إسحاق ثم أجاز بهما الفاجة ويقال الفاحة فيما قال ابن هشام قال ابن هشام ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم فحمل رسول الله صرجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاما له يقال له مسعود بن هنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام حتى هبط بهما بطن رثم ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

وحين أخبر الخروج الحنفا إنطلقوا ينتظرون المصطفى
يغدون في كل غداة حتى يردهم حر الهجير شتى
فانقلبوا يوما وقد أطالوا وعند ما أووا إذا مقال
أيا بني قيلة هذا الجد فبادرته بالسلاح تعدو
ومنهما النزول كان بقبا على بني عمرو بن عوف النجبا
فقام للناس أبو بكر وقد قعد صامتا هدى الله الصمد
فطفق الناس يجلون العتيق إلى أن الشمس أصابت الرفيق
وإذ أتى العتيق حتى ظللا عليه بالردا درى من جهلا

قال البخاري: قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ص لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ص وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صمن مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ص وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، وفي رواية عبد الرحمن بن عويم يا بني قيلة هذا جدكم ...إلخ. وقيلة بفتح القاف وسكون التحتانية هي الجدة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة، قال ابن شهاب فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ص بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الإينين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ص صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ص يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ص فأقبل أبو بكر فظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صعند ذلك .

ثم القدوم في ربيع الأول لليلتين خلتا قول جلي
وقيل في الضحى كيوم ولدا والعلما فيه اختلافهم بدا

يعني أن اليوم الذي قدم فيه رسول الله ص وأبو بكر المدينة مختلف فيه بين العلماء لاختلاف الروايات فيه، قيل قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول كما في رواية جرير ابن حازم عن ابن إسحاق، وقدم الناظم رضي الله عنه هذا القول ووصف بأنه جلي، وقيل قدمها ضحى يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت منه كيوم مولده ص، وهو ما في رواية إبراهيم بن سعد عن إبن

إسحاق، وروى موسى ابن عقبة عن ابن شهاب: قدم المدينة أول يوم من ربيع الأول. وقيل في النصف كما عند الزبير في خبر المدينة عن ابن شهاب وقيل كان قدومه في سابعه. ذكر هذا كله ابن حجر في الفتح.

وأرخـــوا بـــأمره مـــن حـــين هجـــرة ذي الهـــراوة المكـــين
وقيـــل إن عمـــرا أول مـــن أرخ وهـــو للمحـــرم ركـــن

قوله: "بأمره" يعني بأمر النبي ص. قال في فتح الباري وروى الحاكم في الإكليل من طريق ابن جريج عن أبي سلمة عن ابن شهاب الزهري أن النبي ص لما قدم المدينة أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول. قال ابن حجر وهذا معضل والمشهور خلافه وأن ذلك كان في خلافة عمر وأشار الناظم إلى ذلك بقوله: "وقيل إن عمرا...إلخ". وذكروا في سبب عمل عمر التاريخ أشياء منها ما أخرجه أبو نعيم والحاكم أن أبا موسى كتب إلى عمر إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وبعضهم أرخ بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وذلك سنة سبع عشرة فلما اتفقوا قال بعضهم ابدؤوا برمضان فقال عمر بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه. وروى أحمد وأبو عروبة في الأوائل والبخاري في الأدب والحاكم من طريق ميمون بن مهران قال وقع لعمر صك محله شعبان فقال أي شعبان ألماضي أو الذي نحن فيه أو الآتي ضعوا للناس شيئا يعرفونه فذكر نحو الاول، وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب قال جمع عمر الناس فسألهم عن أول يوم يكتب التاريخ فقال علي من يوم هاجر رسول الله ص وترك أرض الشرك، ففعله عمر. وروى ابن أبي خيثمة من طريق ابن سيرين قال قدم رجل من اليمن فقال رأيت باليمن شيئا يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر فهذا أحسن فأرخوا فلما جمع الناس قال قوم أرخوا للمولد وقال قائل للمبعث، وقال قائل من حين خرج مهاجرا وقال قائل من حين توفي فقال عمر أرخوا من خروجه من مكة إلى المدينة ثم قال بأي شهر نبدأ فقال قوم من رجب وقال قائل من رمضان فقال عثمان أرخوا المحرم فإنه شهر حرام وهو أول السنة وهو منصرف الناس من الحج قال وكان ذلك سنة سبع عشرة وقيل سنة ست عشرة في ربيع الأول، فيستفاد من مجموع هذه الآثار أن الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي وأن التاريخ كان بأمر من عمر.

وبقبـــا أقـــام عشـــرين معـــا ثنتـــين أو عشـــرا ثـــوى وأربعـــا
وأســـس المســـجد فـــي قبـــاء علـــى التقـــى إمـــام الأنبيـــاء
أول مســـجد فـــي الإســـلام بنـــي ومســـجد صـــلى بـــه فـــي العلـــن
جماعـــة وللجماعـــة بُنـــى وغيـــره قبـــل يخـــص مـــن بنـــى

"قبا" بالقصر والمد قرية من العوالي على فرسخ من مسجد النبي ص. يعني أنه اختلف في قدر إقامته ص في بني عمرو بن عوف بقباء ففي حديث بن شهاب المتقدم فلبث رسول الله ص في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صالمدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف قال فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، وقال في فتح الباري وعن قوم من بني عمرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوما حكاه الزبير بن بكار، وفي مرسل عروة بن الزبير ما يقرب منه، وروى هذا أيضا ابن شهاب عن مجمع بن حارثة قاله موسى بن عقبة، وروى موسى عن ابن شهاب أقام فيهم ثلاثا، والله تعالى أعلم. قوله:"وأسس المسجد...إلخ." قال ابن شهاب في حديثه المتقدم وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ص وهو مسجد قباء. قوله: "أول مسجد ..إلخ." روى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال لما قدم النبي ص فنزل بقباء قال عمار بن ياسر ما لرسول الله ص بد من أن يجعل له مكانا يستظل به إذا استيقظ ، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بني قال ابن حجر يعني بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي ص فيه بأصحابه جماعة ظاهرا، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناها فقد روي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه.

وأقبلـــوا يـــوم العروبـــة ضـــحى وأدركـــت خيـــر نبـــي صـــفحا
لـــدى بنـــي ســـالم ثـــم صـــلى ومعـــــه المائـــــة لـــــيس إلا
بـــبطن رانونـــا الغبيـــب المســـجد بنـــوه بالحجـــار غيـــر أكتـــد

قال ابن إسحاق فأقام رسول الله ص بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أي ذلك كان. فأدركت رسول الله صالجمعة في

بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادي رانوناء ـ فكانت أول جمعة صلاها في المدينة. قوله:"غير أكتد." بسكون الدال للقافية أي غير مرتفع جدا والله تعلى أعلم.

وركب النبي بعد الراحله ... لطيبة وأردف الثاني له
وحيثما يسأل عن المكين ... قال العتيق رجل يهديني
إذ هو ذو شبيبة لا يعرف ... وذاك معروف هناك يؤلف
وليس فيمن هاجروا إلا أبا ... بكر الرضا من استحال أشيبا

"الراحلة" الناقة "والثاني له" هو أبو بكر {ثاني اثنين} وقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال أقبل نبي الله ص إلى المدينة وهو مردف أبابكر وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ص شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير. قوله: "وليس فيمن هاجروا ...إلخ". أخرج البخاري عن أنس خادم النبي ص قال: قدم النبي صوليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم.

وكلما مر بدار ودعي ... إلى المقام عندها قال دع
سبيلها فإنها مأموره ... مرخى زمام هذه المأموره
تنظر يمنة ويسرة إلى ... دار بني النجار ثم انتقلا
بعد بروكها إلى دار أبي ... أيوب ثم منه ثارت بالنبي
وبركت حيث البروك الأول ... وأرزمت وقال هذا المنزل
واحتمل الرحل أبو أيوب ... لبيته معه أبو الحبيب
وكان بالعلو إذ هو خلا ... بزوجه قال النبي بالعلا
أحق مني فأتى وحلفا ... بالله لن يسكن فوق المصطفى
وكانت الدار بناء تبع ... من قبل للمكرم المشفع
ثم تدوولت وصارت لأبي ... أيوب واستوصى كتابا للنبي

قال ابن إسحاق فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة ـ لناقته ـ فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني بياضة تلقاها زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة أتاه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد

والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم أخواله دنيا ـ أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ـ اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة، قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلو سبيلها ، فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده صوهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ثم من بني مالك بن النجار وهما في حجر معاذ بن عفراء ـ سهل وسهيل ابني عمرو ـ فلما بركت ورسول الله ص عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ص واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت وزمت ووضعت جرانها فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ص، قوله:"معه أبو الحبيب" يعني معه زيد بن حارثة فهو حب النبي ص وأبو حبه وقد ذكر في الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية أن أبا أيوب خالد بن زيد وزيد بن حارثة احتملا رحله ص إلى دار أبي أيوب، قوله:"وكان بالعلو إلخ.." جاء في حديث أبي أيوب عند الحاكم وغيره أنه أنزل النبي ص في السفل ونزل هو وأهله في العلو ثم أشفق من ذلك فلم يزل يسأل النبي ص حتى تحول إلى العلو ونزل هو وزوجه إلى السفل قاله في فتح الباري. قوله:"وكانت الدار بناء تبع ..إلخ." قال ابن حجر يقال إن تبعا لما غزا الحجاز واجتاز يثرب خرج إليه أربعمائة حبر فأخبروه بما يجب من تعظيم البيت وأن نبيا سيبعث يكون مسكنه يثرب فأكرمهم وعظم البيت بأن كساه وكتب كتابا سلمه لرجل من أولئك الأحبار وأوصاه أن يسلمه للنبي ص إن أدركه فيقال إن أبا أيوب من ذرية ذلك الرجل حكاه ابن هشام في التيجان.

وأشـــرقت طيبـــة بالقـــدوم لمـا سـرى السـرور فـي الحيـزوم
وخـــرج الجـــوارِ للحبيـــب يقلـــن فـــي دار أبـــي أيـــوب
نحـــن جـــوار مـــن بنـــي النجـــار يـــا حبـــذا محمد مـــن جـــار
ونـــادت الغلمـــان فـــي الســـبيل جـــاء رســـول ربنـــا الجليـــل

جاء في حديث لأنس بن مالك أخرجه الترمذي وغيره وقد تقدم أول الكتاب لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ص المدينة أضاء منها كل شيء وخرجت ذوات الخدور وجلعت النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وجعلت نساء بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار
فمرحبا بالنبي المختار ومرحبا بسيد الأبرار

فقال لهن رسول الله ص أتحببنني؟ قلن إي والله فقال: والله إني أحبكن ، قال الطبراني وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ص، وقد حق لهم والله أن يقولوا ما قالوا ويزدحموا لشهود تلك الطلعة المباركة التي هي الأصل في كل خير وبركة ويقول قائلهم:

أبرق بدا من جانب الغور لامع أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
نعم أسفرت ليلى فصار بوجهها نهار به نور المحاسن طالع

ووعك الصديق مع بلال يدعوا على الكفار بالإهلال
وسبعة من الشهور قد ثووا لدى أبي أيوب والخلف رووا

"وعك" بضم أوله وكسر ثانيه أصابه الوعك وهو الحمى، في البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله صالمدينة وعك أبو بكر وبلال قالت: فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فجئت رسول الله ص فأخبرته فقال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة، قوله:"يدعو على الكفار ..إلخ." أي بلال الإهلال رفع الصوت قال ابن حجر في شرح الحديث المتقدم عند إنشاد بلال وزاد المصنف في آخر كتاب الحج من طريق أبي أسامة عن هشام به ثم يقول بلال اللهم العن عتبة

بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء، يرفع عقيرته في الحديث أي يرفع صوته ببكاء أو بغناء. قوله: " وسبعة من الشهور..إلخ". ذكر ابن سعد أن أبا أيوب لما نقل رحل النبي ص إلى منزله قال النبي ص المرء مع رحله. وأن أسعد بن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده، وذكر أيضا أن مدة إقامته عند أبي أيوب كانت سبعة أشهر قاله في فتح الباري. قوله:"والخلف رووا" يعني أن بعضهم ذكر في مدة إقامته صفي دار أبي أيوب غير ما تقدم ولم أقف على من صرح بذلك إلا أن ظاهر كلام ابن إسحاق في السيرة يشير إلى أن مدة إقامته ص عنده كانت ثلاثة عشر شهرا فقد قال فأقام رسول الله صبالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة حتى بني له فيها مسجده ومساكنه.

وحيثما أدركت الصلاة صلى وقال الرحمة المهداة
عند بناء المسجد الميمون أيا بني النجار ثامنوني
بحائط لكم فقالوا لسنا نريد إلا الله بيع الأسنى
بعشرة من الدنانير وقد أداه من مال العتيق المعتمد
وكان قد أتى من البطحاء بكل ماله إلى الغراء
وكان في المسجد نخل وخرب مع مقابر فسوو الخرب

"الرحمة المهداة" هو النبي ص، ومعنى المهداة أي التي أهداها رب العالمين لخلقه أي أعطاها. قوله:"وحيثما أدركت ..إلخ." أدركت بمعنى حان وقتها وظاهره والله تعالى أعلم أنه كان يصلي قبل بناء مسجده في دار أبي أيوب أو في أي مكان أدركته الصلاة فيه كما هو أيضا ظاهر حديث أنس الذي رواه البخاري وفيه قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم. قوله:"أيا بني النجار ..إلخ." هو مقول قال والمسجد الميمون هو مسجده ص قال أنس في هذا الحديث ثم إنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملإ بني النجار فجاؤوا فقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. قوله :"بيع الأسنى" أي فحصل وتم بيع الأسنى أي المربد أي الأعلى لأنه صار مسجد النبي ص بعشرة من الدنانير، وقد جاء في حديث ابن شهاب السابق ذكره الذي رواه البخاري تعليقا ثم دعا رسول الله ص الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صأن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا ولامنافاة بين هذا وما في حديث أنس من قولهم لا نطلب ثمنه إلا من الله، قال ابن حجر فيجمع بأنهم لما قالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله سأل عن من يختص بملكه منهم فعينوا له الغلامين فابتاعه منهما فحينئذ يحتمل أن

يكون الذي قالوا له لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن، وعند الزبير بن بكار أن أبا أيوب أرضاهما، وذكر ابن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري أن النبي صأمر أبا بكر أن يعطيهما ثمنه، قال وقال غير معمر أعطاهما عشرة دنانير، وهو ما درج عليه الناظم رضي الله عنه، قوله:" وكان قد أتى...إلخ." البطحاء هي مكة المشرفة والغراء هي المدينة المنورة يعني أن أبا بكر جاء إلى المدينة بماله جميعا فلم يترك منه شيئا بمكة وهذا ما قاله ابن إسحاق في السيرة فقد أخرج عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما خرج رسول الله صوخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه، قالت فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت قلت كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا، قالت فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيه ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت يا ابت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك. قوله:"وكان في المربد..إلخ." الخرب بكسر أوله وفتح ثانيه أو بالعكس هي الخروق المستديرة في الأرض وقوله: "فسووا الخرب" يعني أن المسلمين سووا تلك الخروق بأن هدموها وكنسوا لها الأرض ونحو ذلك، وهذا ما في حديث أنس المتقدم فإنه قال فيه: فكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فأمر رسول الله ص بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع، قال فصفوا النخل قبلة المسجد قال وجعلوا عضادتيه حجارة قال جعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ص معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجره.

انتهى من البخاري.

وقد انتهى ما وفقني الله إليه من الكتابة على نظم والدنا وشيخنا المسمى بالأخلاق وأعتذر لكل من وقف عليه ممن يعتذر له من تقصيري وقصوري، طالبا منه إصلاح كل خطإ مقطوع به وستر كل عيب تنبه له. فما قدمته أولا في المقدمة من إقراري بعدم تأهلي لما قصدته أمر حقيقي ما هو من قبيل هضم النفس بلى:

ولكن البلاد إذا قشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

مع أني لم آل جهدا في تحقيق المطلوب، وتحسين المكتوب، وأسأل الله تعالى الكريم الوهاب المنان بديع السماوات والأرض ذا الجلال و الإكرام أن ينفعني به ويجعله لي ذخرا عنده وينفع به من قرأه أو طالعه أو سعى في تحصيله إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

فائدة:

قال الشعراني في الميزان وغيره إن كل ما ورد مما هو في فضائل سيدنا محمد ﷺ ونحو ذلك لا ينبغي البحث عنه بل يقبل كله لعظمة الجناب. والله تعالى أعلم.

كان الفراغ منه ضحوة يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من شهر الله رجب من عام 1415 هجرية على صاحبها أتم الصلاة والسلام.

بقلم: أحمد بن حبيب بن أحمد بن محمذفال بن متالي بن محمذن بن أحمد بن أعمر بن أبج.

الفهرست

العنوان: الصفحة:

شكر ..وتقدير.....3
تعريف بالناظم.....4
تعريف بالشارح.....7
مقدمة النظم.....10
فصل في النسب الشريف.....13
فصل في أوصافه الخلقية والخلقية.....13
فصل في جملة من أخلاقه ﷺ.....29
فصل في ذكر بعض مما خصه الله به 62
فصل في حفر زمزم.....64
إخبار الأحبار والرهبان بمبعثه ﷺ.....66
فصل في مولده ﷺ.....74
فصل في مبعثه ﷺ.....75
فصل.....80
باب المعجزات.....137
فصل في كلام الشجر والحيوان.....148
فصل في إجابة دعائه ﷺ.....163
فصل..... 167
فصل فيما اختصه الله به من العصمة 173
فصل فيما اختصه الله به من العلوم والمعارف.....178
باب هجرته ﷺ..... 180

محفوظة جميع الحقوق لمحظرة أهل متالي

شيخ المحظرة الأستاذ المصطفى ولد حبيب ولد متالي